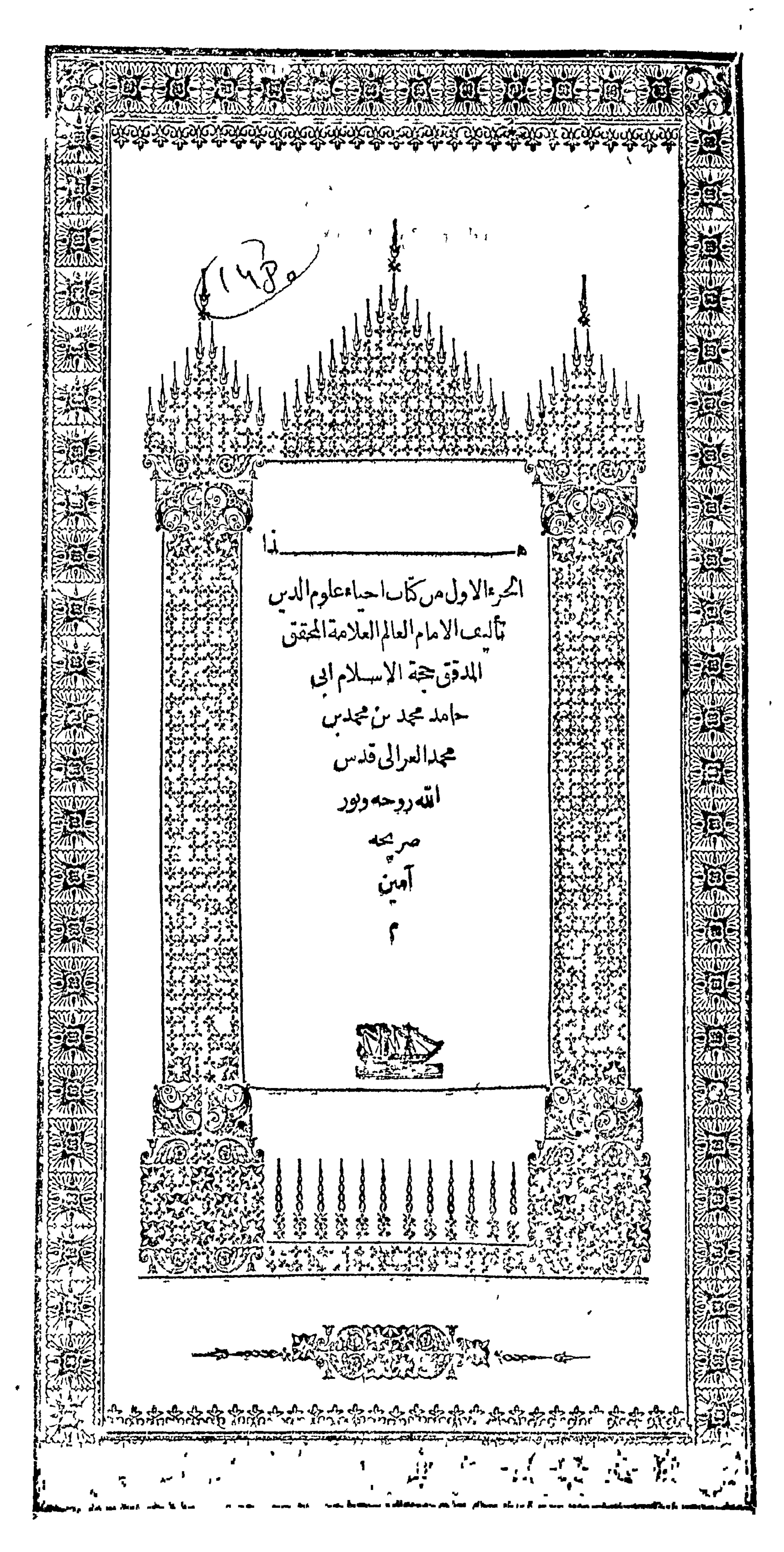
صحيفه

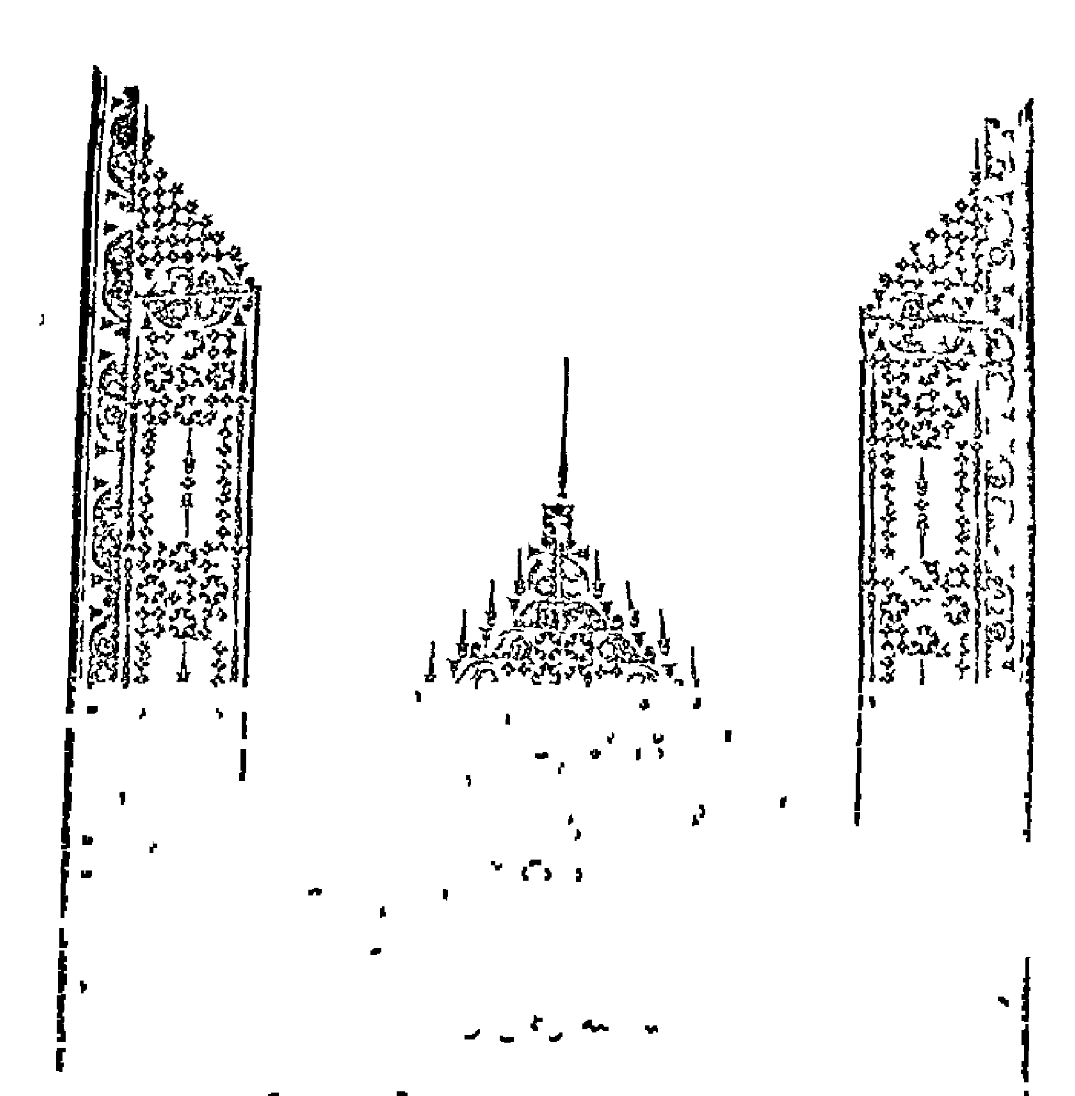
صحيفه

تم فهرست الجزء الاول بحمد الله وعونه



هذا

الجزء الاول من كتاب احياء علوم الدين
تأليف الامام العالم العلامة المحقق
المدقق حجة الاسلام ابى
حامد محمد بن محمد بن
محمد الغزالى قدس
الله روحه ونور
ضريحه
آمين



واصلي وأسلم على رسله ثانيا ٭ صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين ٭ واستخيره
تعالى ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين ٭ وانتدب لقطع
تعجبك رابعا أيها العاذل المغالي في العذل بين زمرة الجاحدين ٭ المسرف في التقريع
والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ٭ فلقد حل عن لساني عقدة الصمت
وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع
اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم
الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده
الله تعالى به من تزكية النفس واصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من اضاعة العمر
يائسا عن تمام جاجتك في الحيرة وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع
صلوات الله عليه وسلامه أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه
ولعمري انه لا سبب لاصرارك على التكبر الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير
من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل فان الامر اد ٭ والخطب جد ٭ والآخرة
مقبلة ٭ والدنيا مدبرة ٭ والاجل قريب ٭ والسفر بعيد ٭ والزاد طفيف ٭ والخطر عظيم
والطريق سد ٭ وماسوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد

وسلوك

وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد * فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر منهم الزمان * ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان * واستغواهم الطغيان * واصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا * فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا * حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى فى اقطار الارض منطمسا * ولقد خيلوا الى الخلق أن لا علم الا فتوى حكومة تستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطعام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام * أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام * اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام * وشبكة للحطام * فاما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه فى كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا * وصار نسيا منسيا * ولما كان هذا ثلما فى الدين ملما * وخطبا مدلهما * رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما * احياء لعلوم الدين * وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين * وايضاحا لمناهى العلوم النافعة عند النبيين * والسلف الصالحين * وقد اسسته على اربعة ارباع وهى ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف أولا عن العلم الذى تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الاعيان بطلبه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم * وأميز فيه العلم النافع من الضار اذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب * وانخداعهم بلامع السراب * واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب

(ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب)

كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد وكتاب اسرار الطهارة وكتاب أسرار الصلاة وكتاب أسرار الزكاة وكتاب أسرار الصيام وكتاب أسرار الحج وكتاب آداب تلاوة القرآن وكتاب الاذكار والدعوات وكتاب ترتيب الاوراد فى الاوقات

(وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب)

كتاب آداب الاكل وكتاب آداب النكاح وكتاب أحكام الكسب وكتاب الحلال والحرام وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق وكتاب العزلة وكتاب آداب السفر وكتاب السماع والوجد وكتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة

(وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب)

كتاب شرح عجائب القلب وكتاب رياضة النفس وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وكتاب آفات اللسان وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل وكتاب ذم الجاه والرياء وكتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغرور

(وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب)

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والانس والرضى وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت

فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل في الفقهيات

وأما ربع العادات فأذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغنى عنها متدين

وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم أذكر سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والاخبار والآثار

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة امور * الاول حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه * الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه * الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه * الرابع حذف ما كرروه واثبات ما حرروه * الخامس تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الافهام لم تتعرض لها في الكتب أصلا اذ الكل وان تواردوا على منهل واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبه لامر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن ايراده في الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة ارباع أمران * (أحدهما وهو الباعث الاصلي) * أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لان العلم الذي يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء صلوات الله عليهم مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه * وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على

سبيل التمثيل والاجمال علماً منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فمالهم سبيل الى العدول عن نهج التأسي والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر أعني العلم بأعمال الجوارح والى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب * والجاري على الجوارح اما عادة واما عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عادة وعبادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب واخلاق النفس انقسم الى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة اقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الاقسام *(الباعث الثاني)* أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به الى المباهات والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع والمتزي بزي المحبوب محبوب * فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً في استدراج القلوب * ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم * موضوعاً في الجداول والرقوم * وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذباً لهم الى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حياة الابد أهم من التلطف في اجتذابه الى الطب الذي لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح المتوصل به الى حياة تدوم ابد الآباد فأين منه الطب الذي يعالج به الاجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في اقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد انه كريم جواد

(كتاب العلم وفيه سبعة أبواب)

(الباب الاول) في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

(فضيلة العلم)

شواهدها من القرآن قوله عز وجل شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاء ونبلاً وقال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات * قال ابن عباس رضي الله عنه للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل قل هل يستوي الذين

يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به نبه على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم يعني العلم وريشاً يعني اليقين ولباس التقوى يعني الحياء وقال عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال عز وجل بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان (وأما الاخبار) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر للعالم ما في السموات والارض وأي منصب يزيد على منصب من يشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت وفقه في الدين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما أراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والرياء وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة أيسر من موت عالم وقال عليه الصلاة والسلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من حمل من أمتي اربعين حديثاً لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيهاً عالماً وقال صلى الله عليه وسلم من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم وقال صلى الله عليه

وسلم

وسلم العالم أمين الله سبحانه فى الارض وقال صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتى اذا صلحوا صلح الناس واذا افسدوا افسد الناس الامراء والفقهاء وقال عليه السلام اذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى الى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال صلى الله عليه وسلم فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوّة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هى تلو النبوّة وفوق الشهادة مع ما ورد فى فضل الشهادة وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله تعالى بشئ أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال صلى الله عليه وسلم خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه وقال صلى الله عليه وسلم فضل المؤمن العالم على المومن العابد بسبعين درجة وقال صلى الله عليه وسلم انكم اصبحتم فى زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقيل يا رسول الله أىّ الاعمال أفضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل أىّ العلم تريد قال صلى الله عليه وسلم العلم بالله سبحانه فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله وقال صلى الله عليه وسلم يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء انى لم أضع علمى فيكم لا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم نسأل الله حسن الخاتمة ※ (وأما الآثار) ※ فقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق وقال على أيضا رضى الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لا يسدّها الا خلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نظما

ما الفخر الا لاهل العلم انهم ※ على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ※ والجاهلون لاهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا ※ الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الاسود ليس شئ أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضى الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال

العليا فهل في المدرك فاك الزهاد قل في السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم
يجعل عمر السالم من الناس لان الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم
فالانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا
بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور
اوسع بطنا منه ولا يجامع فان أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا
للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري أي شئ أدرك من فاته العلم وأي شئ فاته من أدرك
العلم وقال عليه الصلاة والسلام من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي خيرا منه فقد
حقر ما عظم الله تعالى وقال فتح الموصلي رحمه الله أليس المريض اذا منع الطعام
والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام
يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد
الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله
بها أبطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وان كان واقعا فاذا
حط الموت عنه أعباء الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك
كاحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر
أو الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال
الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال
ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه موت رواته فوالذي نفسي
بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم
فان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس رضي الله عنه تذاكر العلم بعض
ليلة أحب الي من احيائها وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه
الله وقال الحسن في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ان الحسنة
في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الاشياء
تقتني قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل أراد بغرق
السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما
ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رحمة الله عليه من شرف العلم
أن كل من نسب اليه ولو في شئ حقير فرح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه
يا أيها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز
وجل بردائه فان أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به
ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز
لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم
واعتقني فقلت بأي شئ احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة
زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن ابي بكر كتب الي أبي بالعراق عليك بالعلم فانك
ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكي ذلك في وصايا لقمان

لانه قال يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهرى رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه الا ذكران الرجال

(فضيلة التعلم)

(أما الآيات) فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين وقوله عز وجل فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (وأما الاخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع وقال صلى الله عليه وسلم لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه الصلاة والسلام العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسئلوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن الا بالعلم وقال عليه الصلاة والسلام من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الانبياء فى الجنة درجة واحدة (واما الآثار) فقال ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس اذا رأيته رأيت احسن الناس وجها واذا تكلم فأعرب الناس لسانا واذا أفتى فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكماء انى لا أرحم رجالا كرحمتى لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لان اتعلم مسئلة أحب الى من قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضى الله عنه موت الف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعى رضى الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك اقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلى فقال يا هذا ما الذى قمت اليه بأفضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضى الله عنه من رأى ان الغدو الى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله

(فضيلة التعليم)

أما الآيات) فقوله عز وجل ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والمراد هو

لتعليم والارشاد وقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا يكتمونه وهو ايجاب للتعلم وقوله تعالى وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وقال صلى الله عليه
وسلم ما آتى الله عالما علما الا واخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين ان يبينوه للناس
ولا يكتمونه وقال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال تعالى ادع الى
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة (وأما
الاخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه الى اليمن لأن يهدي
الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم من تعلم بابا من
العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا وقال عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وعمل
وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات وقال رسول صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا
تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا
فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذي
لا يتعدى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن
يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى
اذا لم يبق الا رؤساء جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال صلى الله عليه
وسلم من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم نعم
العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلمه اياها
تعدل عبادة سنة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله
سبحانه وما والاه أو معلما أو متعلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وملائكته
وأهل سمواته وأرضه حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس
الخير وقال صلى الله عليه وسلم ما أفاد المسلم أخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه
فبلغه وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من
عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين احدهما
يدعون الله عز وجل ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال أما هؤلاء فيسئلون الله
فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل
اليهم وجلس معهم وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى
والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ
والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا
منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ انتهى فالاول
ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما وقال صلى الله عليه
وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به الحديث وقال صلى الله عليه
وسلم الدال على الخير كفاعله وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله

عزوجل حكمة فهو يقضى بها و يعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير وقال صلى الله عليه وسلم على خلفاءى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي و يعلمونها عباد الله (واما الآثار) فقد قال عمر رضى الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضى الله عنهما معلم الناس الخير يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله و بين خلقه فلينظر كيف يدخل وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسئله انسان فقال اكروا لى لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء رضى الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال ليس احد يسئلنى عن شئ وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أى انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمة الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بامة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان آباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم ادلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عزوجل وبه يعبد وبه يوحد ويمجد وبه يتورع وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق

(فى الشواهد العقلية)

اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ومالم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها والفضيلة مأخوذة من الفضل وهى الزيادة فاذا تشارك شيآن فى امر واختص أحدهما

غيره فقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس
افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو
وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة
في الجسم ونقصان في المعنى وليست من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته
لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة ان أخذته بالاضافة الى سائر
الاوصاف كما ان للفرس فضيلة ان أخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو
فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من
غير اضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والانبياء بل الكيس من الخيل
خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم أن الشيء النفيس المرغوب
فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا فما
يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما
حجران لا منفعة لهما ولولا ان الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء
بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي
يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها
سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا
الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى
دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به وأعظم
الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وأفضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن
يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل الا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة
في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا أفضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء ايضا
بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة
ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك
ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم
مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة
بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم
مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها وأما فضيلة
التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل
فكان تعليمه افادة للافضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام
للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن
اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا الا باعمال
الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام * أحدها اصول لا قوام
للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن
والسياسة وهي للتألف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها * الثاني

ماهي

ماهى مهيأة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحداداة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات بأعداد آلتها كالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها الثالث ماهى متممة للاصول ومرتبة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام أمر العالم الارضى مثل أجزاء الشخص بالاضافة الى جملته فانها ثلاثة اضرب ايضا اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشراين والاعصاب والاورده واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات اصولها وأشرف اصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة فى استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والآخره على أربع مراتب . الاولى وهى العليا سياسة الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا فى ظاهرهم وباطنهم . والثانيه الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم . والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصه فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستعادة منهم ولا تنتهى قوتهم الى التصرف فى ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع . والرابعه الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط فأشرف هذه الصناعات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلاثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التى بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهى فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتى بيانه اذ به تقبل امانة الله وبه يتوصل الى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الارض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله تعالى وهو من أجل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له فى الانفاق منه على كل محتاج اليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى

(الباب الثانى) فى العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ما هو فرض
عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين الى أى حدّ هو
وتفصيل علم الآخره

(بيان العلم الذى هو فرض عين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال أيضا صلى الله
عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم
فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق
نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد
ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال
والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقائع
النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم
كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز
وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان
وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا
اللفظ عن عمومه وقال أبو طالب المكى هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى
الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله الخ
الحديث لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذى
ينبغى أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه فى خطبة
الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة
والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل
العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم
معناهما وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك
لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير
اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث
ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار
من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين
عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت بدليل انه
لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله عز وجل غير عاص له وانما يجب غير ذلك بعوارض
تعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض
إما أن تكون فى الفعل واما فى الترك واما فى الاعتقاد أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة
نهاره الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فان كان
صحيحا وكان بحيث لو صبر الى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت
بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم

على

على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم أن وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتمادى الى رؤية الهلال أو شاهدين فان تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم يملك الا الابل لم يلزمه الا تعلم زكاة الابل وكذلك فى سائر الاصناف فاذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع أن فعله على التراخى فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغى لعلماء الاسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه أيضا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج فى علم سائر الافعال التى هى فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير أو جالسا فى الغصب أو ناظرا الى غير ذى محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل والشرب فيجب تعليمه حتى اذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع و بعضها يخطر بالسماع من أهل البلد فان كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو ألقى اليه الباطل لوجبت ازالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضا ولكن فى حق من يتصدى له فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه

وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار فإذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه والله أعلم

(بيان العلم الذي هو فرض كفاية)

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات

واما

واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه
﴿أما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان﴾ فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها
ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة ﴿أما المحمودة فلها
اصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي أربعة اضرب الضرب الاول الاصول وهي
اربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام واجماع الامة وآثار الصحابة
والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثالثة وكذا الاثر فانه
ايضا يدل على السنة لان الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا
بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن
فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على
وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم
من هذه الاصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى
فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام لا يقضي القاضي وهو غضبان
أنه لا يقضي اذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما لمرض وهذا على ضربين أحدهما يتعلق
بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق
بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضي عند
الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب أعني جملة
كتاب أحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها
وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول من هذا الكتاب والضرب الثالث المقدمات
وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن يلزم
الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر الا
بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آله ومن الآلات علم كتابة الخط الا أن ذلك ليس ضروريا اذ
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم امّيا ولو تصوّر استقلال الحفظ بجميع ما يسمع
لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا الضرب الرابع المتممات
وذلك في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القرآن ومخارج الحروف والى
ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده أيضا على النقل اذ اللغة بمجرّدها لا تستقل به
والى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر
وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول
السنة ايضا وأما المتممات في الآثار والاخبار فالعلم بالرجال واسمائهم وانسابهم واسماء
الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم
بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها
محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء
بعلماء الدنيا فاعلم ان الله عز وجل اخرج آدم عليه السلام من التراب واخرج ذريته من

سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم
إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدأهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم
وخلق الدنيا زاداً للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت
الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست
الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم
بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم
السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في
الدنيا ولعمري إنه متعلق أيضاً بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة
الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس
وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق
الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين
في الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة
فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك
الطريق إلى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيء ثالث ومعرفة طرق
الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة
ويدل على ذلك ما روي مسنداً لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف فالأمير
هو الإمام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك
العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان
يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق
الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير
متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال فإن قلت هذا إن استقام لك في أحكام
الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع
العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من
بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال
الآخرة ثلاثة الإسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه
فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في
غيرها أظهر أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس
يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه للذي
قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذراً بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه
بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع
عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف ممتد
إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة

ومال

ومال وذلك فى الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم جعل أثر ذلك فى الدم والمال
وأما الآخرة فلا تنفع فيها الاموال بل أنوار القلوب وأسرارها واخلاصها وليس ذلك من
فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض فى الكلام والطب وكان خارجا عن فنه
* وأما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة اذا أتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا
فى جميع صلاته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر فى حساب معاملاته فى السوق
الا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كما أن القول باللسان فى الاسلام لا ينفع
ولكن الفقيه يفتى بالصحة اى ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه
القتل والتعزير فأما الخشوع واحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر
لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه * واما الزكاة فالفقيه ينظر الى
ما يقطع به مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم
بأنه برئت ذمته وحكى أن أبا يوسف القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول
ويستوهب مالها اسقاطا للزكاة فحكى ذلك لابى حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه
وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية ومثل هذا
هو العلم الضار وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع
مراتب. الاولى الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة وهو الذى يخرج بتركه الانسان
عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع
الصالحين وهو التوقى من الشبهات التى تتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم
دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب . الثالثة ورع
المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم
لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع
عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن أكل الشهوات
خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى الى مقارفة المحظورات . الرابعة ورع الصديقين
وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة
قرب عند الله عز وجل وان كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى الى حرام فهذه الدرجات كلها
خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح فى العدالة
والقيام بذلك لا ينفى الاثم فى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت
قلبك وان أفتوك وان أفتوك وان أفتوك والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية
العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح
طريق الآخرة فان تكلم فى الاثم من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى
كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل فى كلامه شئ من الطب والحساب والنجوم وعلم
الكلام وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر وكان سفيان الثورى وهو امام فى علم الظاهر
يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف فى العلم العمل

به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الاعمال فان قلت لم سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وان الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه احدها أنه علم شرعي اذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع . والثاني أنه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون . والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر اعمال الجوارح ومنشأها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فمنشأهما صفاء في المزاج والاخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف علم طريق الآخرة فان قلت فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة (فالقسم الاول) علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة أو كبر وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيأ وينشد على قوله

وارض لمن غاب عنك غيبته . فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل اسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول

السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جوف السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس فى معانى هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وان الذى اعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى امورا عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صداؤها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء صلوات الله عليهم فى جميع احوالهم فبقدر ما ينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله تعالى عليه بشئ منها الا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا هو العلم الخفى الذى اراده صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله تعالى فاذا نطقوا به لم يجهله الا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فان الله عز وجل لم يحقره اذ آتاه اياه (وأما القسم الثانى) وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب أما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضى والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التى بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله سبحانه فى سلب ما اعطى

والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة ، وأضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شئ منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا وفي حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفطن يعلم أنه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا أن الطب ليس يتيسر الوصول به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله تعالى المستعان واليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب كان الامام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما اغفلناه وكان احمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد رحمه الله قال لي السري شيخي يوما اذا قمت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع

عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب
حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى أن من حصل الحديث والعلم
ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت فلم تورد في اقسام العلوم
الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم
الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما
مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق
لها وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع
وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شئ منه مألوفا في العصر الاول وكان الخوض
فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى
القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم
الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع
اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود وسنذكره في الباب الذي يلي هذا ان شاء
الله تعالى (واما الفلسفة) فليست علما برأسها بل هي اربعة اجزاء . احدها الهندسة
والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما الى علوم
مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما
كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد
بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم الثاني
المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم
الكلام . والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل
في الكلام ايضا والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر
وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما برأسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل
البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة . والرابع الطبيعيات وبعضها
مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث
عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا أن
الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في
جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما
علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على
الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما
احدثت حاجة الانسان الى استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم
الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو
ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم فليعلم
المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فاذا تجرد الحارس
للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم اذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق

الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا وليس عند
المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهي من جملة أعمال ظاهر
القلب واللسان وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله تعالى
وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد
أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله
سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع
المحسنين فإن قلت فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش
المبتدعة كما أن حد البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه إلى
حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان
نازلتان بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون
وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة
إلى علم الدين فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق
تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من
درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرضت
بذكرهم على تقدمهم وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم
بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس
بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشيء وقر في صدره كما
شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر
النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه
لأسباب ودواع يطول شرحها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف
من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم إلا بضعة عشر
رجلا ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب
إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا
والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات
تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام
إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالك لا تحرص على معرفة
ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب
صبيغا بالدرة لما أورد عليه سؤالا في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره
وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل
عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق
رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضي الله عنه
بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى

الله عزوجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه احد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من اراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فاولئك اهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله سبحانه وتعالى به والسلطان متوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب الى الله عزوجل بعلمه ٭ واقسام ما يتقرب به الى الله تعالى ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو في حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل

خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به ٭ في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله تعالى وقد شوهد من احوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الآن نذكر من احوال فقهاء الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في اعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وابو حنيفة وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمسة خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهي التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان اريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين فنورد الآن من احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة اما الامام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على انه كان عابدا ما روي أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم قال الربيع كان الشافعي رحمه الله يختم القرآن في

رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وكان لمو نظي أحد اصحابه يختم القرآن في رمضان في كل يوم مرة وقال الحسن الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة الا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب الا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكانما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في اسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة اذ طرح الشبع لاجلها ورأس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلاله ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعي رضي الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له الا تجيب رحمك الله فقال حتى ادري الفضل في سكوتي أو في جوابي فانظر في مراقبته للسانه مع أنه اشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء واعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعي الينا وقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شئ في انائه فيحرص أن يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها وقال الشافعي رضي الله عنه كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم واما زهده رضي الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة فانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء في موضع خارج من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان اليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء لان من احب شيأ امسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما روى أنه روى سفيان بن عيينة حديثا في الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات افضل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نذكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رأيت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه خرجت انا وهو والحارث بن لبيد الى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الاية هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت

الشافعي رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه
فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت
قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف
عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم مشى وانصرفا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق
فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة اذ مر بي رجل فقال لي يا غلام أحسن وضوءك أحسن
الله اليك في الدنيا والاخرة فالتفت فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي
وجعلت أقفو أثره فالتفت الي فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيأ
فقال لي اعلم أن من صدق الله نجا . ومن اشفق على دينه سلم من الردى . ومن زهد في
الدنيا قرت عيناه بما راه من ثواب الله تعالى غدا . أفلا ازيدك قلت نعم قال من كان فيه
ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ
على حدود الله تعالى ألا اريدك قلت بلى فقال كن في الدنيا زاهدا وفي الاخرة راغبا
وأصدق الله تعالى في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو
الشافعي فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية
خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله عز وجل فانه انما يخشى الله
من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم
والاجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الاخرة المستخرجة من القرآن والاخبار
اذ حكم الاولين والاخرين مودعة فيهما . واما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الاخرة
فتعرفه من الحكم المأثورة عنه روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة
عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت
اعمالهم وقال الشافعي رحمه الله اذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضى من تطلب
وفي اي ثواب ترغب ومن أي عقاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء تذكر فانك اذا
تفكرت في واحده من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء
وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال الشافعي رضي الله عنه من لم يصن نفسه
لم ينفعه علمه وقال رحمه الله من اطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا له
محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله عز وجل وروى أن عبد القاهر
ابن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل
في الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال للشافعي يوما أيما أفضل الصبر أو
المحنة او التمكين فقال الشافعي رحمه الله التمكين درجة الانبياء ولا يكون التمكين الا بعد
المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر مكن ألا ترى ان الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام
ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن ايوب عليه السلام ثم مكنه
وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا والتمكين افضل الدرجات قال الله عز
وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض وايوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن
قال الله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم الاية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل

على تبحره في أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين الى الله تعالى من الأنبياء
والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون الرجل عالما قال
اذا تحقق في علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما فانه قيل
لجالينوس انك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة فقال انما المقصود منها واحد
وانما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الافراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على
علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة * وأما ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه
الله تعالى فيدل عليه ما روي عنه أنه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب
الى شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزه القلب عن
الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت
أحدا قط فأحببت أن يخطئ وقال ما كلمت أحدا قط الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان
ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق
على لساني أو على لسانه وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني الا هبته
واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته
فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه
الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا
ولهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأى الراؤون مثل الشافعي رحمه الله تعالى وقال
أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعي
رحمه الله تعالى فانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من
العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى
الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه قال له ابنه أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا
الدعاء فقال أحمد يا بني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس
فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول ما مس أحد بيده محبرة الا
وللشافعي رحمه الله في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ
أربعين سنة الا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد
فيه ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب
نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي رحمه الله تعالى في مناقب
الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين (وأما الامام مالك رضي الله عنه) فانه كان
أيضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن
جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله
تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر
فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث
فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك
العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على

قوة معرفته بجلال الله تعالى ❊ وأما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال
في الدين ليس بشئ ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله اني شهدت مالكا وقد سئل عن
ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري ومن يرد غير وجه الله تعالى
بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه اذا
ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما احد أمنّ علي من مالك وروى أن أبا جعفر المنصور
منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من
الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك
رحمه الله ما كان رجل صادقا في حديثه ولا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة
ولا خرف ❊ وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدي امير المؤمنين سأله فقال
له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة ابن أبي عبد الرحمن يقول نسب
المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا
فأخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله ينبغي أن تخرج معنا فاني
عزمت على أن احمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن
فقال له اما حمل الناس على الموطأ فليس اليه سبيل لان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه
وسلم اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال عليه الصلاة والسلام المدينة تنفي خبثها كما
ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني
انك انما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته الي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت اليه الاموال الكثيرة من
اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده
وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان
عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعي رحمه
الله أنه قال رأيت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رأيت احسن
منه فقلت لمالك رحمه الله ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا أبا عبد الله فقلت دع
لنفسك منها دابة تركبها فقال اني استحي من الله تعالى ان أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله
عليه وسلم بحافر دابة فانظر الى سخائه اذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة
المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روى عنه أنه قال
دخلت على هارون الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف الينا حتى يسمع
صبياننا منك الموطأ قال فقلت اعز الله مولانا الامير أن هذا العلم منكم خرج فان انتم
اعززتموه عز وان انتم اذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد
حتى تسمعوا مع الناس (واما ابو حنيفة رحمه الله تعالى) فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا
بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه ❊ وأما كونه عابدا فيعرف بما روي عن

ابن المبارك أنه قال كان ابو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة وروى حماد بن أبي سليمان انه كان يحيي الليل كله وروى أنه كان يحيي نصف الليل فمر يوما في طريق فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال لآخر هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال أنا استحيي من الله سبحانه أن اوصف بما ليس في من عبادته * وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن عمرو بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب قال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من اعظم الناس امانة واراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى وروى أنه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروى عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه أنه قيل لابي حنيفة قد امر لك امير المؤمنين ابو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اى هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التي اودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك فلقد كان شحيحا على دينه وروى أنه دعي الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح لهذا فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فما اصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء * واما علمه بطريق الآخرة وطريق امور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف لله تعالى وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من احوال الائمة الثلاثة (واما الامام احمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى) فأتباعهما اقل من اتباع هؤلاء وسفيان اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الائمة الثلاثة وتأمل أن هذه الاحوال والاقوال والافعال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان او يثمرها علم آخر أعلى واشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا

(الباب الثالث) في ما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما و بيان تبديل اسامي العلوم وهو الفقه والعلم

والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها

(بيان علة ذم العلم المذموم)

لعلك تقول العلم هو معرفة الشئ على ما هو به وهو من صفات الله تعالى كيف يكون الشئ علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وانما يذم فى حق العباد لاحد أسباب ثلاثة (الاول) أن يكون مؤديا الى ضرر ما أما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية فى مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة احوال غريبة فى الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب فى كونه علما مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حريز اذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشئ على ما هو عليه ولكنه مذموم لاداته الى الضرر (الثانى) ان يكون مضرا بصاحبه فى غالب الامر كعلم النجوم فانه فى نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابى وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب اذ قال عز وجل الشمس والقمر بحسبان وقال عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثانى الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكرت النجوم فأمسكوا واذا ذكر أصحابى فأمسكوا وقال صلى الله عليه وسلم أخاف على امتى بعدى ثلاثا حيف الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر * وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم أمسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه * احدها أنه مضر بأكثر الخلق فانه اذا القى اليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة وانها الآلهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح

قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها الى
مشاهدة الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب
القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب
القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب فهذا احد اسباب النهي عن
النجوم وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا
ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم
فلقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم
وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب
ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على
حقائقها فان اتفق ان قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم تقدر اخطأ
ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من
الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه
ومجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح
ان السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية
هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم
ايضا ۔ وثالثها انه لا فائدة فيه فأقل احواله انه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر
الذي هو أنفس بضاعة الانسان في غير فائدة وذلك غاية الخسران فقد مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال
بماذا فقالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال صلى الله عليه
وسلم انما العلم آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة فاذا الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام
خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فانما قدر كائن ولا احتراز منه غير ممكن بخلاف
الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا
لانه جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة ولا خطر فيه (السبب الثالث) الخوض في علم
لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها
وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون عليها
ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبياء والاولياء فيجب
كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق فكم من
شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله احسن في الدين مما صار
اليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلوى اللطيفة
بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس
شكا الى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك الى دواء
الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف
العظيم وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا تأكل

ولا

ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الاشياء والاستقلال ولا تكثر اللهج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك انى أبحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليه فأي ضرر في التفكر في العلم فانما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شئ تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته. واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها وكذلك الانبياء اطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الاخروية فلا تتحكم على سنتهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضي عقله ان يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والاعمال وافادتها صفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقي الى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله اكثر وأعظم مما في الادوية والعقاقير وكما أن العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع أن التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات فأخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله تعالى زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك الى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار وقال أيضا صلى الله عليه وسلم قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع

(بيان ما بدل من ألفاظ العلوم):

اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة

وبدلوها ونقلوها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول
وهي خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسامي محمودة
والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها انقلبت الآن إلى معان مذمومة فصارت
القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم (اللفظ
الأول الفقه) فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع
الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات
المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه ولقد كان اسم
الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس
ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء
الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا
رجعوا إليهم وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق
والعتاق واللعان والسلم والإجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على
الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى لهم
قلوب لا يفقهون بها وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى ولعمري إن الفقه والفهم في
اللغة اسمان بمعنى واحد وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى
لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم
سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو
نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم وقال صلى الله عليه وسلم علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا
عليه وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمه الله أي أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله
تعالى فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والأقضية وقال
صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة
الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه
ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى
من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب قال فالتفت إلى يزيد
الرقاشي وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم
وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن
ونتفقه في الدين ونعدد نعم الله علينا تفقها فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها قال صلى الله
عليه وسلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها
كثيرة وروي أيضا موقوفا على أبي الدرداء رضي الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه
فيكون لها أشد مقتا وقد سأل فرقد السبخي الحسن عن شيء فأجابه فقال إن الفقهاء
يخالفونك فقال الحسن رحمه الله ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك إنما الفقيه
الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف
نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك

الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الاحكام
الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان اطلاقهم له
على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له
والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم
الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال
متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي
هو اسم محمود في الشرع (اللفظ الثاني العلم) وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى
وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود
رحمه الله لقد مات تسعة اعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه
وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع
الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن
لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا
أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله
تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم
الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله
بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من اهل
الطلب للعلم (اللفظ الثالث التوحيد) وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام
ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها
بتكثير الاسئلة واثارة الشبهات وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم انفسهم بأهل
العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه
الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الاول بل كان يشتد منهم النكير على من كان
يفتح بابا من الجدل والمماراة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة الظاهرة التي تسبق
الاذهان الى قبولها في اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو
العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وان فهموه
لم يتصفوا به وهو أن يرى الامور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الاسباب
والوسائط فلا يرى الخير والشر كله الا منه جل جلاله فهذا مقام شريف احدى ثمراته
التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب
عليهم والرضاء والتسليم لحكم الله تعالى وكانت احدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضي
الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني وقول آخر لما مرض
فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي اني فعال لما اريد وسيأتي في كتاب
التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد
عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب
بالكلية فالقشر الاول هو أن تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا

للسلب الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره
والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر
القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق
حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من
الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره
ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى وكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله
تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم أبغض إله عبد في الأرض
عند الله تعالى هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم
وإنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات
أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات
إليهم فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يسخط على غيره فلقد كان التوحيد
عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر قنع منه وكيف
اتخذوا هذا معتصماً في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي
يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهت
وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن
وجه قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه
إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر
السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجهاً إليه تعالى عن أن تحده الجهات
والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه
متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه
واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والأرض
وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه
وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وليس المراد به
القول باللسان فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله
تعالى المترجم عنه وهو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه (اللفظ الرابع الذكر
والتذكير) فقد قال الله تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقد ورد في الثناء على
مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل
وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا
سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً ألا هلموا إلى بغيتكم
فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم فنقل ذلك إلى
ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح
والطامات أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس إلى القصاص
وقالوا لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي

الله

الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجنى الا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثورى نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الاعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحي فقال لم أنا فى سنة وأنت فى كذب أنا الاعمش وما حدثتك وقال أحمد أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال وأخرج على رضى الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه اذ كان يتكلم فى علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى روى الحث عليه فى حديث أبى ذر رضى الله عنه حيث قال حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية أنفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التى تتطرق اليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر وان كان صدقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أحوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى به بأسا فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ الى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطى عليها فان العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر فكلنا بصدد المعاصى فلا غرو ان عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدرى فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع الى القصص المحمودة والى ما يشتمل عليه القرآن ويصح فى الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق الى الحق فهذه من نزغات الشيطان فان فى الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن

الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الاعراب . واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فان أولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا فان كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر أصحابك فقال لا ما هؤلاء أصحابي انما هم أصحاب المجلس ان أصحابي هم الخواص . وأما الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية (أحدهما) الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين ابن منصور الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا امثال هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا تعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وان سمع ذلك منه فلعله

كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كالوسيع وهو يقول اني انا الله لا اله الا أنا فاعبدني فانه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية (الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفقهونه الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير اهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم أن للحكمة حقا وان لها اهلا فأعط كل ذي حق حقه واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر آخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد أصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل اهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله تعالى وان ألق عصاك أي كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغي أن يلقيه وفي قوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار في الاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له وكأبي جهل وأبي لهب وغيرهما من

الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق الناس
الى ابقائه وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول
الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور يدرك بالتواتر والحس
بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى امور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك
حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شئ من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين
ولا عن الحسن البصرى مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى
عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو أن يكون
غرضه ورأيه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير أن
يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغى أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر
القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين
معان وستة وسبعة ويعلم ان جميعها غير مسموع من النبى صلى الله عليه ر
قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه اللهم فقهه فى الدين و
التأويل ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة
بالالفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق الى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع
والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق
الشرع كمن يضع فى كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم
ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على
متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر فى تأويل هذه الالفاظ أطم وأعظم لانها مبطلة
للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت ك
صرف الشيطان دواعى الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة فكل ذلك من تلبيس
علماء السوء بتبديل الاسامى فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير
التفات الى ما عرف فى العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى
حكيما فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر ر
بالغفلة عن تبديل الالفاظ (اللفظ الخامس) وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار
يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوا
ئ فى شوارع الطرق والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى يؤتى ا
من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وقال صلى الله عليه وسلم
الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها فانظر ما الذى كانت الحكمة عبا
عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء ا
فان شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى
الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أ
وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء وقد عرفت العلم المحمود والمذموم

ومثار

ومثار الالتباس واليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى والذين يحيون ما أماتوه من سنتى وفى خبر آخر هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم وفى حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثورى رحمه الله اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم أنه مخلط لانه ان نطق بالحق أبغضوه

(بيان القدر المحمود من العلوم المحموده)

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل أحوال البدن فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه فى دين ولا دنيا اذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفيس مذموم ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل عنه وأما القسم المحمود الى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه الى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذى لا يدرك غوره وانما يحوم المحومون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم هذا فى أول الامر ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضه وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالانبياء والاولياء ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها * وأما العلوم التى لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات فان فى كل علم منها اقتصارا وهو الاقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له الى آخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا

لعمرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك فإن
كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عين عليك بحسب ما يقتضيه
حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم
الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم إذ لا ينفك بشر عن الصفات
المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات
وإهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء
ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال
وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر
البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها
وقلع مغارسها من القلب وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب
لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع إلى طلاء الظاهر من
يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به
الأمراض فإن كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم
العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر بك ذلك إلى المقامات
المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود
والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين وإن لم تفرغ من
ذلك لم تنبت ذلك فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفي زمرة الخلق من قد قام بها فإن
مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب
داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا
ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به وإن فرغت من نفسك
وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الإثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك
وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله
تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم
الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل
بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلم
على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا
للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة
لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه
فاقتصر من سائر علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على
غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق
بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في
الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ
ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد

ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له الى انتهاء العمر وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه ما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر معه على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه بأن تضيف اليه ما خرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها اهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقة ومقصود حفظ السنة يحصل رتبة الاقتصار معه بمعتقد مختصر وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذه الكتب والاقتصاد فيه ما يبلغ فيه قدر مائة ورقة وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيأ يسيرا فقل ما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابا ما وهو عاجز عنه وانما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة وأما العامى اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد اليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس وهو من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار لتنبعث منهم الدعوى بالمكافاة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لا فى معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس وأما الخلافيات التى أحدثت فى هذه الاعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها فى السلف فاياك وان تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة

ممن صنع الحرفيه زمانا ٭ وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله رشده ٭ وأطلعه على عيبه فهجره ٭ واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليه مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل بطلب الصيت والجاه ويعتل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا يصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك فيما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال صارت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث في معنى قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله تعالى فاحذرهم وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم تغلق عليهم باب العمل وتفتح لهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور أبغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم وفي الخبر ما أوتي قوم المنطق الا منعوا العمل والله أعلم

(الباب الرابع) في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغني فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتوليه القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الاعصار عز العلماء

واقبال

وأقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فأسربوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز
ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة
وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح
لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين
وبعد أن كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله
تعالى فى كل عصر من علماء دين الله وقدكان اكثر الاقبال فى تلك الاعصار على علم
الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها فى الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من
الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع
الحجج فيها فغلبت رغبته الى المناظرة والمجادلة فى الكلام واكثروا فيه التصانيف وزينوا
فيه طرق المجادلات فى الكلام فأكب الناس على علم الكلام واستخرجوا فنون
المناقضات فى المقالات وزعموا ان غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع
المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام
المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب
الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات
الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه
الى المناظرة فى الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهما على
الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعى
وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله
تعالى وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد
أصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات
والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الآن وليس ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعد
من الاعصار وهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو
مالت نفوس أرباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة أو الى علم آخر من العلوم
لمالوا أيضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل وزعموا ان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان
لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

(بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رحمهم الله تعالى)

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن
الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر
هكذا كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسئلة الجد
والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا أخطأ كما نقل من اجهاض
المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل
عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله

تعالى ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان * الاول أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلوة في نفسه ويتجرى في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي أستر عورة من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات الى الله تعالى عصى به فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات مالم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب * الثاني أن لا يرى فرض الكفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم منها وعصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنه لهلك الناس واذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملات لا قائم بها فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسئلة لا يتفق وقوعها فهي ان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد أن يتقرب الى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى أنس رضي الله عنه انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عليه السلام اذا ظهر الادهان في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في أراذلكم * الثالث أن يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم والائمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وانما يفتي فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه فأي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه فانه ربما يفتي بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها

قط بل ربما يترك المسئلة التي فيها وجهان أوقولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مثبوتا ٭ الرابع أن لا يناظر الا في مسئلة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا نرى المناظرين مهتمين بانتقاد المسائل التي نعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة بأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار أو لانها ليست من الطبول فلا نطوّل فيها الكلام والمقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية الى القرب لا أن يطول ٭ الخامس أن تكون المناظرة في الخلوة أحب اليه وأهم من المحافل وبين أظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة أجمع للهم واحرى لصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أو مبطلا وأنت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب واذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام ٭ السادس أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرّفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر كان يشكره ولا يذمه وكان يكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى ان امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الاشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألوني عن شئ وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعد على الامير فاعله لم يفهم فأعادوا عليه وأعاد الجواب فقال ابن مسعود وأنا اقول ان قتل فأصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى أن يقال فأصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر الى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم اذا اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق ٭ السابع أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل

المتدعم بما ناله ولقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا أيضا نقض كلامك الاول فلا يقبل منك
فان الرجوع الى الحق أبدا يكون مناقضا للباطل ويجب قبوله وأنت ترى أن جميع
المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات والمحاولات حتى يقيس المستدل على أصل
بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا
ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصر المعترض
ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها ولا يلزمني ذكرها ويقول
المستدل عليك ايراد ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على ان لا يلزمه ويتوخى
مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني
أعرفه ولا أذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معناه وانما يدعيه
ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال
عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم
ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن
ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف أن اظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه
واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني أي في شرع الجدل الذي أبدعناه بحكم التشهي والرغبة
في طريق الاحتيال وعلة المصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم في الشرع فانه
بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات
السلف رضي الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع أحد من
الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى أثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من
هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه ٭ الثامن أن
يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من
مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعا
في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية
ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو
مستول على قلبه وهو أعدى عدو له ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة
غيره في المسائل التي المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان
وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها
ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق

٭(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق)٭

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والشرف
والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع
الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة
من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب
الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذي خير بين

الاعراض

الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الاخبار والآيات فى ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فما دام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر فى الدنيا أو يظن أنه أحسن منه كلاما وأقوى منه نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو فى العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد واعظم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى أنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم فى الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبى والمكار الخداع منهم بأنه يبغى صيانة عز العلم وأن المؤمن منهى عن الاذلال لنفسه فيعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد فى ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته فى نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة فى غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله فى ايراده واصداره ثم لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لا يقلعه مد الدهر الى آخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه فيحكى عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم

عن ابي وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر من الثناء
على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن
قوله لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الامور وأنا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول
وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج
كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع
عورات الناس وقد قال تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه
وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن
احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه ويخجله اذا
مست اليه حاجة حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر
على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به
ان كان متماسكا واستحسن ذلك منه ويعده من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الافصاح
به ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن قوم من اكابر المناظرين المعدودين
من فحولهم ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب
لنفسه فهو بعيد من اخلاق المؤمنين فكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره
لا محالة ما يسوء اقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما
بين الضرائر فكما ان احدى الضرائر اذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها
واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه
يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري
بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم في السراء
والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا
أدري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور
أن ينسب الانس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات وناهيك بالشر شرا
أن يلزمك اخلاق المنافقين ويبرئك عن اخلاق المؤمنين والمتقين ومنها النفاق فلا
يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم
واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد اليهم باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم
وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من سمع منهم أن ذلك كذب وزور
ونفاق وفجور فانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه فقد
قال صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا
بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم رواه الحسن
وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على
المماراة فيه حتى ان ابغض شئ الى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر
تشمر لجحده وانكاره بأقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه
حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية

الاعراض

الاعراض عنه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض
منها بالبعض والمراء فى مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له
بيتا فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة وقد سوّى الله
تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال تعالى ومن أظلم ممن
افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله
وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد فى استمالة قلوبهم وصرف
وجوههم والرياء هو الداء العضال الذى يدعو الى أكبر الكبائر كما سيأتى فى صفات
الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر
خصال من امّهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام
المؤدّى الى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم
الاستاذين والقذف الصريح فانّ اولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين وانما
الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم من بعضها
مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب
معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له فى الدرجة ثم يتشعب من كل
واحدة من هذه الخصال العشر عشر اخرى من الرذائل لم نطوّل بذكرها وتفصيل آحادها
مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة
والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردّد اليهم والاخذ من حرامهم
والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء
والخوض فيما لا يعنى وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء
الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم فى صلاته ما صلى وما الذى يقرأ ومن الذى يناجيه
ولا يحس بذهاب الخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة
مع أنها لا تنفع فى الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك
من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى
ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من موادّ هذه الاخلاق وانما غايته
اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ
أيضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهى لازمة أيضا
للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم
على الاقران وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة
فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد أو يحييه حياة الابد ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم أشدّ الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته
نجا منه رأسا برأس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد
فلا ينفك عن الملك أو الهلك وهو كطالب الملك فى الدنيا فان لم يتفق له الاصابة لم يطمع

فى سلامة الاردال بل لا بد من لزوم أفصح الاحوال فان قلت فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير مارغب الصبيان فى المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم ان الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة فى نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الامر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضئ به غيره فصلاح غيره فى هلاكه فأما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق الى الله سبحانه ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من أى الاقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له فلا تظن ان الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ما ينفى عنك الريبة فيه ان شاء الله تعالى

الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم

(أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن ينظم تفاريقها عشر جمل)

(الوظيفة الاولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وهى عبادة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وأنجاس الاوصاف قال صلى الله عليه وسلم بنى الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى فى القلب الا بواسطة الملائكة وما كان

لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم
المقدسون المطهرون المبرؤون عن الصفات المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا
يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طيبا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت
هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق
بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير
الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء
والابرار اذ معنى الاعتبار أن يعتبر بما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل
مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعتبر بها الى التنبيه لكونه أيضا عرضة للمصائب
وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى أصل الدنيا عبرة
محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء
الله تعالى ومن الكلب أيضا الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة
الى الروح الكلبية وهي السبعية واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا
والتكالب عليها والحرص على المال والتمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في
الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني
والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص
على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى أموالهم ذئبا
عاديا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة أسد وقد وردت بذلك
الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والابصار فان قلت كم من طالب رديء
الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما أبعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب
للسعادة فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي سموم قاتلة مهلكة وهل رأيت
من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا انما الذي تسمعه من المترسمين حديثا يلفقونه
بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شئ قال ابن مسعود رضي
الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم
الخشية لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكأنه أشار الى أخص ثمرات العلم
ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله أي ان
العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه وألفاظه فان قلت
اني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة
الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم
الآخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من
حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب الى الله تعالى وقد سبق الى هذا اشارة
وسيأتيك فيه مزيد بيان وايضاح ان شاء الله تعالى * (الوظيفة الثانية) أن يقلل علائقه
من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل

الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك
قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه
على خطر والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه
واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزرع * (الوظيفة الثالثة) أن لا يتكبر
على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي اليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصيحته
اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب
والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها
فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا
أن نفعل بأهل بيت نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس
من أخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن
تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين
الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم
يفرق بين أن يرشده الى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى
أشد من ضراوة كل سبع والحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن
ساقها اليه كائنا من كان فلذلك قيل العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي
فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
أو ألقى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة
على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقي اليه بحسن
الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كأرض ميتة نالت
مطرا غزيرا فتشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق
في التعليم فليقلده وليدع له رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة
تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه
الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه
من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك
لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم
فقال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في
مراددته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيا واختيارا
دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله تعالى فاسألوا
أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالسؤال مأمور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما أذن المعلم
في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى
عليه السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان
الكشف وما لم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل أوان

السؤال

السؤال وقد قال على رضى الله عنه ان من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته فى الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تأخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشى له سرا ولا تغتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ امر الله تعالى ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته (الوظيفة الرابعة) أن يحترز الخائض فى العلم فى مبداء الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه من الادراك والاطلاع بل ينبغى أن يتقن اوّلا الطريقة الحميدة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغى الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار رأى واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله يعدّ فى عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوى الى النظر فى الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظنّ بعض الضعفاء أن الاقتداء بالاقوياء فى ما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أن وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفى ذلك قال بعضهم من رآنى فى البداية صار صديقا ومن رآنى فى النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظرين انها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو افضل الاعمال على الدوام وتشبيه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة تضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويعلل بأن اضعاف هذه النجاسة قد يلقى فى البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدرى المسكين أن البحر بقوّته يحيل النجاسة ماء فتنقلب النجاسة باستيلائه الى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله الى صفتها ولمثل هذا جوّز للنبى صلى الله عليه وسلم ما لم يجوّز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوّة ما يتعدّى منه صفة العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدّى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله تعالى فى طلب رضاهنّ فما افلح من قاس الملائكة بالحدادين (الوظيفة الخامسة) أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال تعالى واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر فى الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى ه (الوظيفة السادسة) ان لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويبتدى بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان يأخذ من كل شئ احسنه ويكتفى منه بشمه ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه الى استكمال العلم الذى هو اشرف العلوم وهو علم الآخرة اعنى قسمى المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى الى رتبة ايمان أبى بكر رضى الله عنه الذى لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندى أن ما يعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى الا فى صنعة الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره والعجب ممن سمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغى أن يتئد فى هذا فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك فى الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رأى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد احدهما رقعة فيها ان احسنت كل شئ فلا تظنن انك احسنت شيأ حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفى يد الآخر كنت قبل ان اعرف الله تعالى اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب ه (الوظيفة السابعة) أن لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى الى ما هو فوقه فينبغى ان لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين اصحابه فيه ولا بخطأ واحد او آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها اصل لادركه اربابها وقد مضى كشف هذه الشبهة فى كتاب معيار العلم وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر والكل خطأ بل ينبغى ان يعرف الشئ فى نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة

به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف
اهله • (الوظيفة الثامنة) أن يعرف السبب الذى به يدرك اشرف العلوم وان ذلك يراد به
شيئان احدهما شرف الثمرة والثانى وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب
فان ثمرة احدهما الحياة الابدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف
ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها وان نسب
الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار أدلته
وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا تبين أن
اشرف العلوم العلم بالله عزوجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى
هذه العلوم فاياك وان ترغب الافيه وان تحرص الاعليه (الوظيفة التاسعة) أن يكون
قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفى المآل القرب من الله سبحانه
والترقى الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال
والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لامحالة الاقرب
الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم
أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه
فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا
فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور
والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردئ ومنهم الذى
يسقيهم الماء ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك احد منهم عن اجر اذا كان
قصده اعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم وكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية
واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين فلا
تظن ان ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا الانبياء ثم الاولياء ثم
العلماء الراسخون فى العلم ثم الصالحون على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى بالعلم أى علم كان نفعه ورفعه
لامحالة • (الوظيفة العاشرة) أن يعلم نسبة العلوم الى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على
البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شأنك فى الدنيا والآخرة واذا
لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر
ما يجرى مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن
مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان
لا يعرف فى هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله سبحانه
والنظر الى وجهه الكريم اعنى النظر الذى طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم
العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذى علق عتقه
وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت واتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان

ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقل فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقا الرق فقط دون سعادة الملك فله بلا به أصناف من الشغل، الاول تهيئة الاسباب نشراء الناقه وخرز الراوية واعداد الزاد والراحله والثانى السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله فى كل مقام منازل من أول اعداد الاسباب الى آخره ومن أول سلوك البوادى الى آخره ومن أول أركان الحج الى آخره وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام قسم يجرى مجرى أعداد الزاد والراحله وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز عنها الاولون والآخرون الا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغنى علم المنازل وطرق البوادى دون سلوكها لا يغنى علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه فى تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك الطريق اذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة وأما الفوز بالسعادة فلا ينالها الا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعمون فى جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين له نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعنى انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن هى اقوى وأجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك فى ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه فى ضبط الناس على منهج العدل والسياسة فى ناحية الفقيه واما اسباب الصحة فى ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار

به الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة فان قلت لم شبهت
علم الطب والفقه بأعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعي الى الله تعالى لينال قربه هو
القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار الله عزوجل
لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع
يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة
لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل
لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من
هذه الاجرام المرئية وانما هو أمر الهي كما قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر
ربي وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر اعضاء
البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة
لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارض والجبال اذ أبين ان يحملنها
وأشفقن منها من عالم الامر ولا تفهم من هذا تعريضا بقدمها والقائل بقدم الروح مغرور
جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده
والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانها من امر الرب فمنه مصدرها واليه
مرجعها وأما البدن فمطيته التي يركبها ويسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى
كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل عمل
مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى أن الطب كذلك فانه قد يحتاج
اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في أنه
لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش
وحده اذ لا يستقل بالسعي وحده في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ وفي
تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة
ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل
من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من
داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل
يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الاخلاط طب وعلم طريق
اعتدال احوال الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية
فالمتجرد لعلم الفقه والطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها
وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي
تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط
التي تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق اصلاح القلب الموصل الى
علم المكاشفة كنسبة أولئك الى سالكي طريق الحج اوملابسي اركانه فتأمل هذا اولا
واقبل النصيحة مجانا ممن قامت عليه غاليا ولم تصل اليه الا بعد جهد جهيد شديد وجراءة
تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا

القدر كاف في وظائف المتعلم

(بيان وظائف المرشد المعلم)

اعلم أن للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال
استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال
إنفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف
أحواله فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني
عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف
الأحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات فإنه كالشمس
تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم
ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم والمسن الذي يشحذ غيره
ولا يقطع والإبرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق
كما قيل

ما هي إلا ذبالة وقدت ٭ تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه (الوظيفة
الأولى الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما أنا لكم مثل الوالد لولده بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين
ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود
الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة
الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة
أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك
وإهلاك نعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد
كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك إن
كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا
فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق
من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين إلى
الأمصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق في طريقه
ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة في
سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم
خارجون عن موجب قوله تعالى إنما المؤمنون إخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى
الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (الوظيفة الثانية) أن يقتدي بصاحب
الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا
بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة
لازمة لهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها

كالذى يعيرك الارض لتزرع فيها النفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم مانلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا فان المال وما فى الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ومثله هو الذى يقوم فى العرض الاكبر مع المجرمين ناكسى رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين الى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل تأييد وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جمارا له فى حاجاته ومسخرا بين يديه فى أوطاره فان قصر فى حقه ثار عليه وصار من اعدى اعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيى من ان يقول غرضى من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات . (الوظيفة الثالثة) ان لا يدع من نصح المتعلم شيأ وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبهه على ان يطلب العلوم للتقرب الى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذى يطلبه فان كان هو علم الخلاف فى الفقه والجدل فى الكلام والفتاوى فى الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التى قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يتثمر له طمعا فى الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه فى اثناء الامر أو آخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدى الى الصواب فى الآخرة حتى يتعظ بما يتعظ به غيره ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع فى هذه العلوم فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة فى القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا فى الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد والله المستعان

وقد روي أن سفيان الثوري رحمه الله حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجرا لأبناء الدنيا
يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا (الوظيفة الرابعة) وهي من
دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا
يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث
الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو
مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء وينبهك
على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا
بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس الفاضلة والأذهان
الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما
لا يعزب عن فطنته (الوظيفة الخامسة) أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في
نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم
الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم
الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من
الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم
واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا بعلوم فينبغي
أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة (الوظيفة السادسة) أن يقتصر
بالمتعلم على قدر فهمه ولا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في
ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس
منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم فليبث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال
صلى الله عليه وسلم ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم
وقال علي رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق
رضي الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلى كل أحد
هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى
عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها
فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم
منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب
فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم
القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقهه وكتمته فليلجمني فقد
قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره
أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق (شعر)

أأنثر درا بين سارحة النعم ٭ فأصبح مخزونا براعية الغنم
لأنهم أمسوا جاهلين لقدره ٭ فلا أنا أضحي أن أطوقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه ٭ وصادفت أهلا للعلوم وللحكم

نشرت مفيدا واستفدت مودة ** والا فمخزون لدى ومكتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ** ومن منع المستوجبين فقد ظلم

(الوظيفة السابعة) ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه اذ يظن كل احد أنه أهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حماقة واضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعات التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص * (الوظيفة الثامنة) ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وأرباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيأ وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود اعوج واذا اعوج العود اعوج الظل ولذلك قيل في المعنى

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ** عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكبر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه والله أعلم

(الباب السادس) في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكون

المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم لانا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال من الائمة المضلين وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الابد أو لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة (واما الآثار) فقد قال عمر رضي الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فأيقظوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله اني لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وانشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ⁂ ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه ⁂ بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطوف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة الا أنهم أنكروا بعد المعرفة اذ قال الله يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به

فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وكذلك العالم الفاجر فان بلعام اوتى كتاب الله تعالى فاخلد الى الشهوات فشبهه بالكلب أى سواء اوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتى الميزان مهما رجحت احداهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين احدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فان من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع فى غير مطمع فهو جاهل بشرائع الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته * وفى اخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى ان احرمه لذيذ مناجاتى يا داود لا تسأل عنى عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى واولئك قطاع الطريق على عبادى يا داود اذا رايت لى طالبا فكن له خادما يا داود من رد الى هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى ابن معاذ انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلبت الدنيا بهما وقال سعيد بن المسيب رحمه الله اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فهو لص وقال عمر رضى الله عنه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك ابن دينار رحمه الله قرأت فى بعض الكتب السالفة ان الله تعالى يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه وكتب رجل الى أخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى اهل العلم فى نور علمهم وكان يحيى ابن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم

كسروية وابوابكم طاهرية واحفافكم حالوتيه ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونيه وما ئمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعه المحمدية قال الشاعر

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاه لها ذئاب

(وقال آخر)

يا معشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظن ان ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا الى وذفن بشر من الحارث بضعه عشر ما بين قمطره وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشتهى أن احدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت أن تحدث فاسكت فاذا لم تشتهه فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل نعم فى الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال الثورى فتنه الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والاخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون كلهم مغرورون الا المخلصين والمخلصون على وجل حتى يدرى ما ذا يختم لهم به وقال ابو سليمان الدارانى رحمه الله اذا طلب الرجل الحديث اوتزوج اوسافر فى طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العاليه اوطلب الحديث الذى لا يحتاج اليه فى طلب الاخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن كيسان البصرى ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنه وروى ابو هريره رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنه يوم القيامه وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الاخره بالخشوع والزهد فقال عز وجل فى علماء الدنيا واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال تعالى فى علماء الاخره وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون فى زمرة الانبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أوحى الله عز وجل الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل

ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياى يخادعون وبى يستهزؤن لافتحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا قليلا فذلك تصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا قليلا فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباده واخذ به طمعا واشترى به ثمنا قليلا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس وأشد من هذا ما روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس موسى له خبرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل اسود فقال لموسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم فقال هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن ترده الى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا فأوحى الله عز وجل اليه لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين وأغلظ من هذا ما روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا فى رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفى الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شئ من علمه او تهون بشئ من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ أنف فذلك فى الدرك السابع من النار وعليك بالصمت فيه تغلب الشيطان واياك أن تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب وفى خبر آخر ان العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروى أن الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصراف الحسن من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا

بذلك انه من جلس مجلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجلسوا عند كل عالم الا الى عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة قال تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن الآية فعرف أهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء مالم يكن هو أول عامل به قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون وقال تعالى في قصة شعيب وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي رحمه الله شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغني ان الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما ✽ اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ✽ فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها ✽ وأنت اكثر منهم رغبة فيها

(وقال آخر)

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ✽ عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم مالم تعلم وقال ابن السماك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جريء على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله

وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نعرب وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت وكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلاث بهن ينهدم الزمان احداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء ولا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حتى تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله فما أخصب الالسن يومئذ وما أجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضي الله عنه انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم أن مثل العالم مثل القاضي وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار وقال كعب رحمه الله يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه اذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله وكيف ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوّفا حتى يموت وما عمل وقال سري السقطي اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت في النوم قائلا يقول لي الى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لاحفظه فقال حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك رحمه الله ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى

حتى يمشي فلا تؤثرن عليه شيئاً وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزل القرآن ليعمل به
فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل
كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها مع قوله وفي
مثله قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال
منافق في القرآن ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في
الطاعة مجتنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من تعرض
عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا
حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية
وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روي أن رجلا
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في
رأس العلم فقال وما رأس العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم
قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم
قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هناك ثم
تعال نعلمك من غرائب العلم بل ينبغي أن يكون المعلم من جنس ما روي عن حاتم
الاصم تلميذ شقيق البلخي رضي الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ
ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثماني مسائل قال شقيق له انا
لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسائل قال يا استاذ لم أتعلم
غيرها واني لا أحب أن أكذب فقال هات هذه الثماني المسائل حتى أسمعها قال حاتم
نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل
الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال
أحسنت يا حاتم فما الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل وأما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق فأجهدت
نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق
فرأيت أن كل من معه شيء له مقدار وقيمة عنده رفعه وحفظه وادخره ثم نظرت في قول
الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع في يدي شيء له مقدار وقيمة
وجهته الى الله ليبقى لي عنده الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم
يرجع الى المال والى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى
قول الله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما
الخامسة اني نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا
وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه فتركت
عداوة الخلق عني السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل
بعضهم بعضا فرجعت الى قول الله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا

فعاديته

فعاديته وحده واجتهدت فى أخذ حذرى منه لان الله تعالى شهد عليه أنه عدولى فتركت عداوة الخلق غيره *السابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فعلمت انى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت مالى عنده *الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صنعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله عزوجل فهو حسبى قال شقيق يا حاتم وفقك الله تعالى فانى نظرت فى علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم وهى تدور على هذه الثمان المسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له الا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التى بعث الله بها الانبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم ما يتعلمون الا الكلام ومنها ان يكون غير مائل الى الترفه فى المطعم والمشرب والتنعم فى الملبس والتجمل فى الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل الى الاكتفاء بالاقل فى جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع فى علماء الآخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكى عن أبى عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الى الرى ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا تريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فانى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر الى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجىء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى فلما جئنا الباب فاذا هو مشرف حسن فبقى حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار حسناء قوراء واذا بزة وسعة وستور فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذى هو فيه واذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ اليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة قال نعم فقال ما هى فقال مسئلة أسألك عنها قال سل قال قم واستو جالسا حتى اسألك فاستوى جالسا قال حاتم علمك هذا من اين اخذته فقال من الثقات حدثونى به قال عن من قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن من قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عن من قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عزوجل قال حاتم ففيما اداه جبرائيل عليه السلام عن الله عزوجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واداه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه

الثقات اليك هل سمعت فيه من كان في داره اسراف وكانت سعتها اكثر كان له عند
الله عز وجل المنزلة اكثر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب
في الآخرة واحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة قال له حاتم وانت بمن
اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله ام
بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب
على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من
عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان
الطنافسي بقزوين أكثر توسعا منه فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا
رجل أعجمي أحب ان تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم
وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فأتي به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا
فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى اتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما اريد فقام الطنافسي
وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه اربعا اربعا فقال الطنافسي يا هذا اسرفت قال له
حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك اربعا فقال حاتم يا سبحان الله العظيم انا في كف من ماء
اسرفت وانت في جميع هذا كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم فدخل
منزله فلم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا
يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن اعجمي ليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلاث
خصال اظهر بهن على خصمي افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطأ واحفظ نفسي
ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك الامام احمد بن حنبل فقال سبحان الله ما اعقله قوموا بنا
اليه فلما دخلوا عليه قالوا له يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الله
لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم
وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا اسلمت ثم سار الى المدينة
فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فاين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما
كان له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور
انما كانت لهم بيوت لاطئة في الارض قال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه
وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك
قال حاتم لا تعجل علي انا رجل أعجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا
مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله
تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله صلى الله
عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه فهذه حكاية حاتم
الاصم رحمه الله تعالى وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك
في مواضعه والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس
به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من

مراعاتها

مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وأمور أخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لايسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما سيأتي بيانه * وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن أنس رضي الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن أنس * أمّا بعد فقد بلغني انك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت اليك المطى وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام * فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس الى يحيى ابن يزيد سلام الله عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة في الشفقة والادب امتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فأمّا ما ذكرت لي اني آكل الرقاق وألبس الدقاق واحتجب وأجلس على الوطىء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق واني لاعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وافتى بأنه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى نفسه ايضا على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراآة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه أو يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم او يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او ان يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا يعني من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن قال

صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ
ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع أبعده الله تعالى قيل أفلا نقتلهم قال صلى الله
عليه وسلم لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك
وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على
الأمير فيصدقه بالكذب ويقول له ما ليس فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد
خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه أنس وقيل للأعمش لقد أحييت العلم لكثرة من
يأخذه عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الإدراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين
فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه
الله إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص وقال الأوزاعي ما من شيء أبغض
إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين
يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء وقال مكحول الدمشقي رحمه الله من تعلم
القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا إليه وطمعا في ما لديه خاض في بحر من نار
جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه
فيقال هو عند الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على
دينكم حتى جربت ذلك إذ ما دخلت قط على السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج
فأرى عليها الدرك وأنتم تعلمون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه
ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافا مع أني لا آخذ منهم شيئا ولا أشرب لهم شربة
ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما
يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك
نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد بن أبي وقاص رضي
الله عنه قال وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو
مثلك في الصحبة والقدم في الإسلام فلو أتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد أحاط بها قوم
والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها قالوا يا أبانا إذن نهلك هزلا قال يا بني لأن أموت
مؤمنا مهزولا أحب إلي من أن أموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله إذ علم أن
التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان وفي هذا إشارة إلى أن الدخول على السلطان
لا يسلم فيه أحد من النفاق البتة وهو مضاد للإيمان وقال أبو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش
أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه
فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام
حلو إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم
ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن
يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال

العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا اشتغلوا فاذا اشتغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا
وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى الحسن اما بعد فأشر علىّ بأقوام استعين بهم على
امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلا يريدونك وأما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن
عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا فى عمر بن عبد العزيز
رحمه الله وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب
طلب غيرهم ومخالطتهم ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك
والفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن اسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من اهل مكة
والشام وغيرهم اما لميلهم الى الدنيا واما لمخالطتهم السلاطين ومنها أن لا يكون مسارعا
الى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا
بنص كتاب الله أو بنص حديث أو اجماع أو قياس جلى أفتى وان سئل عما يشك فيه قال
لا ادرى وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان
كان فى غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفى الخبر العلم ثلاثة كتاب
ناطق وسنة قائمة ولا أدرى قال الشعبي لا أدرى نصف العلم ومن سكت حيث لا يدرى
لله تعالى فليس بأقل اجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل اشد على النفس فهكذا
كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم كان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال اذهب
الى هذا الامير الذى تقلد امور الناس فضعها فى عنقه وقال ابن مسعود رضى الله عنه انّ
الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال حجة العالم لا أدرى فان اخطأها فقد
اصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله ليس شئ اشدّ على الشيطان من عالم يتكلم
بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشدّ علىّ من كلامه ووصف بعضهم الابدال
وقال كلهم فاقة وكلامهم ضرورة أى لا يتكلمون حتى يسئلوا واذا سئلوا ووجدوا
من يكفيهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة
الخفية للكلام ومر على وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقالا هذا
يقول اعرفونى وقال بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه وكان
ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال أبو حفص
النيسابورى العالم هو الذى يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيامة من أين أجبت
وكان ابراهيم التيمى اذا سأل عن مسألة يبكى ويقول لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الى وكان
ابو العالية الرياحى وابراهيم بن ادهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر
اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم ما أدرى أعزير نبى ام لا وما أدرى
أتبع ملعون ام لا وما ادرى ذو القرنين نبى ام لا ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن خير البقاع فى الارض وشرها قال لا ادرى حتى نزل عليه جبرائيل عليه السلام
فسأله فقال لا أدرى الى أن اعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها السوق
وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن
تسع وكان ابن عباس رضى الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان فى

الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من أن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احد يسأل عن حديث اوفتيا الا ود أن اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسألة تعرض على احدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى تعود الى الاول وروى أن اصحاب الصفة اهدى الى واحد منهم رأس مشوي وهم في غاية الضرر فأهداه الى الآخر واهداه الآخر الى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسندا عن بعضهم انه قال لا يفتي الناس الا امير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوصية والوديعة والفتيا وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتيا اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة اشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثة امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس الآية ورأى بعض العلماء واحدا من اصحاب الرأي بالكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه واعرض عنه وقال ما وجدناه شيأ وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في المسألة لو وردت على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت دأب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الحديث اذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب السلاطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم اصحاب الزوايا المتفرقون المتفردون وكان يقال مثل احمد ابن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمان المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقيل اذا كثر العلم قل الكلام واذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان الى ابي الدرداء رضي الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس رضي الله عنه اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا سئل يقول سلوا جابر ابن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي

كفامن حصى ورماهم به وقال تسألون عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم ومنها أن يكون
اكثر هتمامه تعلم علم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق
الرجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضى الى المشاهدة ودقائق
علوم القلوب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تفى لك بل
الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة
والباطنة والجلوس مع الله عز وجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة
والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم
طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر
على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الالباب
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم اورثه الله علم مالم يعلم وفى بعض الكتب
السالفة يابنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به الى الارض ولا فى تخوم
الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا
بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا الى بأخلاق الصديقين اظهر العلم فى قلوبكم حتى
يغطيكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد
من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الاية ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم
على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال صلى الله
عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا
احببته كنت سمعه الذى يسمع به الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تخطر
على قلب المتجردين للذكر والفكر يخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل
المفسرين ولا يكشف ذلك الا للمريد المراقب ولو عرض ذلك على المفسرين استحسنوه
وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه
وكذلك فى علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم
من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق
له من حسن العمل وفى وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه فى حديث طويل
القلوب أوعية وخيرها اوعاها للخير والناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة
وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن
وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال
ينقصه الانفاق والعلم دين يدان به يكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد
وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم
احياء والعلماء أحياء باقون مابقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه ان ههنا علما جما
لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل
بنعم الله على اوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لاهل الحق لكن ينزرع الشك

في قلبه أول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك أو منهوما باللذات سلس القياد
في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار فما الهوى أقرب شبها بهم الأنعام
السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر
مكشوف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم وأين أولئك هم
الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله
تعالى بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم
على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما
استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك
أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال
واشوقاه إلى رؤيتهم فهذا الذي ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي
يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية
اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليقين الإيمان
كله فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على
الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال
صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة
قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته
العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه
ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن من أقل ما أوتيتم اليقين
وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية
لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل
حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد
أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار
الله تعالى في القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات
والسعادات فإن قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولا ثم
الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك
يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ
ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات * الأول أن يعتدل التصديق
والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا
وهو مجهول الحال عندك فإن نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفي بل يستوي
عندك إمكان الأمرين ويسمى هذا شكا * الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع
الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه
بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فإن نفسك تميل إلى

الحكم

الحكم فيه اثبات ولانفي بل يستوي عندك امكان الامرين ويسمى هذا شكا * الثاني ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا * الثالث أن تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذا رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطأ امامه نفر عن قبوله * الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك فيه وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم ازلي ضروريا مثل العلم بأن الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهي ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدي الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء وسواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرنا فشرط اطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك * (الاصطلاح الثاني) اصطلاح الفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا شك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان

الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن انما أردنا بقولنا ان من شأن علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسلط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المحكم عليها المتصرف فيها فاذا فهمت هذا علمت ان المراد من قولنا أن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت بالخفاء والجلاء في الاصطلاح الاول فلا ينكر ايضا أما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر أعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك أيضا عنه لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما جميعا التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لان السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالادلة الكثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما من فلان أي معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين في بعضه فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما وردت به الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم من اوله الى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في احصائها ولكني أشير الى بعضها وهي امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الايمان غلبة ازالت عنه الغضب على الوسائط والرضى عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم

بالتوقيع

بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثانى وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وان القدرة الازلية هى المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضاء والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها واليقين بأن ذلك يأتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصى الى العقاب كنسبة السموم والافاعى الى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يتجنب المعاصى قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة فى التقوى والتحرز عن كل السيئات وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان فى خلوته متأدبا فى جميع أعماله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا فى جميع أعماله متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة اذ تحقق ان الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكالئة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق فى القلب مثل الاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار وكالانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاصل والاساس وله مجارى وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتى ذلك فى ربع المنجيات ان شاء الله تعالى وهذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله تعالى

وكانت صورته دليلاً على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في
السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما ألبس الله عبداً لبسة أحسن من خشوع في
سكينة فهي لبسة الأنبياء وسيما الصالحين الصديقين والعلماء وأما التهافت في الكلام
والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر
والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين
عن الله دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قاله سهل التستري رحمه الله عالم بأمر
الله تعالى لا بأيام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم
بالله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى
وبأيام الله تعالى وهم الصديقون والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم وأراد بأيام الله
أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن
أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا
للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا
تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله عبداً علماً إلا آتاه
معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله علماً
وزهداً وتواضعاً وحسن خلق فهو إمام المتقين وفي الخبر إن من خيار أمتي قوماً يضحكون
جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف عذابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في
السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة
وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من
طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فإنه ممقوت في السماء والأرض وروي
في الإسرائيليات أن حكيماً صنف ثلثمائة وستين مصنفاً في الحكمة حتى وصف بالحكيم
فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقاً ولم تردني من ذلك بشيء
وإني لا أقبل من نفاقك شيئاً فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق
وواكل بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وفقت
لرضاي وحكى الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى
الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى
الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطي وروي أنه قيل يا رسول الله أي
الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله تعالى قيل فأي
الأصحاب خير قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيته ذكرك
قيل فأي الأصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت
لم يعنك قيل فأي الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال
صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله قيل فأي الناس شر قال اللهم غفراً قالوا أخبرنا
يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم العلماء إذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم إن
أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم فكراً في الدنيا وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة

اكثرهم بكاء في الدنيا وأشدّ الناس فرحا في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا وقال علي
رضي الله عنه في خطبة له ذمّتي رهينة وأنا زعيم انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا
يظمأ على الهدى سنخ أصل وان أجهل الناس من لا يعرف قدره وان أبغض الخلق الى
الله تعالى رجل قمش علما أغاريه في اغباش الفتنة سماه اشباه الناس وارادلهم عالما
ولم يعش في العلم يوما سالما تكثر واستكثر فما قل منه وكفى خير مما كثر والهى حتى
اذا ارتوى من ماء آجن فأكثر من غير طائل جلس للناس مفتيا التخليص ما التبس
على غيره فان نزلت به احدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأى فهو من قطع الشبهات
في مثل نسج العنكبوت لا يدرى اخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات
لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي منه الدماء
ويستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فوّض
اليه أولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا
وقال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب
وقال بعض السلف العالم اذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة
بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم
العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء
الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضي الله عنه لقد عشنا
برهة من الدهر وان أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فنعلم حلالها
وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يتوقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى
احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدرى ما آمره وما
زاجره وما ينبغي أن يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل معناه كنا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون
القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا
وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الامّة وقيل خمس من
الاخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز
وجل الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الاصل
فأما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وأما الخشوع فمن قوله تعالى
خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا وامّا التواضع فمن قوله تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد
فمن قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولما تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام
فقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل
لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسد

الاعمال وتشويش القلوب وهيج الوسواس وسير السر فان أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لا يعرف الشر من الناس يقع ولان الاعمال الفعلية قريبة وأقربها وأعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى آنا والقلب واللسان وانما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما تغلب مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات في الحكومات والاقضية وربما في وضع أمور تمضي الدهور ولا تقع أبدا وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان في القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرها في أن تسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل تتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد في القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كانوا يقولون يارسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن الاعمال وفضائل الاعمال وكنت اقول يارسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني اسأله عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله عنه ايضا قد خص بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بأعداد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة ليصلي عليها نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله هو دأب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال

الطرق شتى وطرق الحق مفردة * والسالكون طريق الحق أفراد

لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم ✽ فهم على مهل يمشون قصاد
والناس فى غفلة عما يراد بهم ✽ فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق بطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزوع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة فى هذا الطريق ولذلك قيل انه كان فى البصرة مائة وعشرون متكلما فى الوعظ والتذكير ولم يكن ممن تكلم فى علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة منهم سهل التسترى والصبيحى وعبد الرحيم وكان يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذى لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب ومنها أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وانما يقلد الصحابة رضى الله عنهم من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد وأن يكون لسر فيه فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغى ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما ما من أحد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبى بن كعب ثم خالفهما فى الفقه والقراءة جميعا وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منه ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورا ادراكها فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل فى الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم فى الاكثر عن الخطأ واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شئ منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة من التابعين رضى الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن

وعن السد والتذكر وقالوا احفظوا كما حفظوا ولذلك كره أبو بكر وجماعة من
الصحابة رضي الله عنهم شكل القرآن في المصحف وقالوا كيف نفعل شيئا ما فعله رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء
ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى اشار عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن
خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في
كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن في
مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع ما لم
تفعله الصحابة رضي الله عنهم وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في
الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم
ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية ثم كتاب الموطأ بالمدينة
لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام
وكثر الخوض في الجدال والغوص في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص
والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب
علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا
الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة
عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم
تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة
هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الآخرة
مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا على الخواص منهم كانوا اذا قيل لهم فلان
أعلم أم فلان يقولون فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق
بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن
بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته الى الجنون فالاولى
أن يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومن المهمات أن يكون شديد التوقي من محدثات الامور
وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم
وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه اكثر
همهم أكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الاوقاف
والوصايا وأكل مال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة ام كان في الخوف
والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الاثم وجليله
والحرص على ادراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم
الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابه واعرفهم
بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا اتبعنا لهذا الدين
لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان يكترث بمخالفة اهل العصر في موافقة اهل عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح

نفوسهم

تقويمهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة سواه
ولذلك قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو رأي سيئ زعم ان الجنة لمن رای
مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار
وان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه
وقد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن افعالهم ويقتفي آثارهم
متعرض لاجر عظيم فكذلك كونوا وقد روی عن ابن مسعود موقوفا ومسندا انه قال
انما هما اثنتان الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله تعالى واحسن الهدى هدی
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان
كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل
ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط
اهل الفقه والحكم وجانب اهل الزلل والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته
وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله
وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود رضي الله
عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أنتم في زمان خيركم
فيه المسارع في الامور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة
الشبهات وقد صدق فمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض
فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضي الله عنه اعجب من هذا ان معروفكم
اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير
ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فأكثر معروفات هذه
الاعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله عنهم اذ من غرر المعروف في زماننا تزيين
المساجد وتجميرها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة
فيها ولقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد
كان الاولون قل ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل
والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان ذلك
من المنكرات ومن ذلك التلحين في القرآن والاذان ومن ذلك التعسف في النظافة
والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل
الاطعمة وتحريمها الى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه قال أنتم اليوم
في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى
وقد كان احمد بن حنبل يقول تركوا السنة وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم
والله المستعان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه
الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم
يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب

فأما الحرام فكان فحسبه طاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما أ
أحدثوه بأنفسهم فإنهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها وكان أ
سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه
في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وفق ما في نفسه وإنما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآرا
قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل
حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان المنبر في
العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال يا مروان ما هذه ا
فقال إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصو
فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك اليوم وإنما أنك
ذلك عليه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والا
على قوس أو عصى لا على المنبر وفي الحديث المشهور من أحدث في ديننا ما ليس منه
فهو رد وفي خبر آخر من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل
يا رسول الله وما غش أمتك قال أن يبتدع بدعة ويحمل الناس عليها وقال صلى ا
عليه وسلم إن لله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى
وسلم لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابتداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من
يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في
وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت
عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال غيره الحق ثقيل من جاو
ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط
الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالي وقال ابن عباس رضي الله عنهما
الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها وقال الله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال
تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكلما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم مما جاوز
قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو (وحكي) عن إبليس لعنه الله أنه بث
جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا إليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا
ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد أتعبونا فقال إنكم لا تقدرون عليهم
قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم
فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء
نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل
الله سيئاتهم حسنات فقال إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم
لسنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم
بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم
حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فا
واتخذوها دينا لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعدا

ان شاؤا فان قلت من ابن عرف قائل هذا ما قاله ابليس ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام أن يخطر لهم على سبيل الوارد عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة واياك ان يكون حظك من هذا العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون انهم احاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله تعالى ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكار الانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خائض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله عز وجل ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم فانما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على أكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سيأتي في كتاب العزلة بيانه ان شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما او كانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة او سماع غيبة او سكوت على منكر وان احسن احواله ان يفيد علما او يستفيده ولو تأمل علم أن المستفيد انما يريد أن يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له على ذلك وردءا وظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص له في البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكن أحد رجلين اما متصفا بهذه الصفات أو معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور ونسأل الله تعالى أن لا يجعلنا ممن تغره الحياة الدنيا ولا يغره

بالله الغرور
(الباب السابع) في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه
(بيان شرف العقل)

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل
والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور
من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا
والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى إن أعظم
البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه
لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
الشيخ في قومه كالنبي في أمته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته
بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر
الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك قصد بعض
المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته
الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وإن كان
ذلك باطنا في نفسه بطون العقل فنور العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وإنما القصد
أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله تعالى الله
نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة
فقال تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا وقال سبحانه أومن كان ميتا فأحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله
يخرجهم من الظلمات إلى النور وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم
وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم واعلموا
أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وإن
الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن
الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتر بتعظيم أهل
الدنيا إياكم فإنهم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل فقال له
أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم
علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب فإن قلت فهذا العقل إن كان
عرضا فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان جوهرا فكيف يكون جوهرا قائما بنفسه
ولا يتحيز فاعلم أن هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا الآن ذكر
علوم المعاملة وعن أنس رضي الله عنه قال أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه
وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك
عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال صلى الله عليه وسلم إن
الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى

من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى ويرده عن ردا وما تم ايمان
عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن
خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله فعند ذلك تم ايمانه
وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته
أما سمعتم قول الفجار في النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر رضي
الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام
ما السودد فقال العقل وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت المسائل يوما على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شئ مطية واحسنكم دلالة
ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون فلان اشجع من فلان وفلان ابلى
مالم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا
وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من
العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من اصيب على منازل شتى
فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب
انه صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل
وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل اوفرهم عقلا
وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا قال
بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال صلى الله عليه
وسلم يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما اعطوا من
العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شئ مطية
ومطية المرء العقل ولكل شئ دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد
العقل ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين
العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة
الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسب
اليه ويذكر به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه
وسلم ان أحب المؤمنين الى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده
وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم
عقلا أشدكم لله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وان كان أقلكم تطوعا

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

اعلم أن الناس اختلفوا فى حدّ العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حدّ واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه (فالاول) الوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذى استعدّ به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذى أراده الحارث بن أسد المحاسبى حيث قال فى حدّ العقل أنه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعدّ لادراك الاشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل الى مجرّد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوّى بين الانسان والحمار فى الغريزة والادراكات الحسية فيقال لا فرق بينهما الا أن الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق الله فى الانسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز ان يسوّى بين الحمار والجماد فى الحياة ويقال لا فرق الا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدّر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة فى ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الاجسام فى حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيئات بها استعدت للرؤية وتسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغى أن تفهم هذه الغريزة (الثانى) هى العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حدّ العقل انه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح فى نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان ينكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم (الثالث) علوم تستفاد من التجارب بمجارى الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل فى العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة يقال غبى غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا (الرابع) أن تنتهى قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه

بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أقسام من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان فالاوّل هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاوّل والثاني اذ بقوّة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الاخيرة وهو الغاية القصوى فالاولان بالطبع والآخران بالاكتساب ولذلك قال علي كرم الله وجهه

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ۔ ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والاوّل هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله عز وجل خلقا هو أكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اذا تقرب الناس بأبواب البر والاعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء رضي الله عنه ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك صلى الله عليه وسلم اجتنب محارم الله تعالى وادّ فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك عز وجل القرب والعزة وعن سعيد بن المسيب ان عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه العاقل قالوا أليس العاقل قالوا فمن أعبد الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العاقل قالوا فمن أفضل الناس فقال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا ذليلا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما الاطلاق للاستعمال وانما أطلق على العلوم من حيث انها ثمراتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاوّل والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه العلوم كلها متضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الارض فانه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بأن يساق اليه شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص الى مقر والى جاحد ولذلك قال

تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله بل معناه ان اعتبرت أحوالهم تشهد بذلك نفوسهم و بواطنهم فطرة الله التى فطر الناس عليها أى كل آدمى فطر على الايمان بالله عز وجل بل على معرفة الاشياء على ماهى عليه أعنى أنها كالمتضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة انقسم الناس الى قسمين الى من أعرض ونسى وهم الكفار والى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها لغفلة ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وتسميته هذا النمط تذكرا ليس ببعد وكان التذكر ضربان احدهما ان يذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر ان يذكر صورة كانت متضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الآيات ويتعسف فى تأويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه فى الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما تغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذى يدخل دارا فيعثر فيها بالاوانى المصفوفة فى الدار فيقول مالهذه الاوانى لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها فى مواضعها وانما الخلل فى بصرك فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الآية وسمى ضده عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا وهذه الامور التى كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه وهذه حقائق ما يطلق اسم العقل عليها

(بيان تفاوت الناس فى العقل)

قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والاهم المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم فى مكانين وكون الشئ الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك وأما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال

الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على
ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك
الرباء واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد
تكون نسبة التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء
عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه فى العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان
يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن لما كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون
الخوف جند العقل وعدة له فى قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك
المعاصى من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصى وأعنى به العالم الحقيقى دون أرباب
الطيالسة وأصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل
وان كان من جهة العلم فقد سميناهذا الضرب من العلم عقلا أيضا فانه يقوى غريزة
العقل ويكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة
العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة أشد واما القسم الثالث وهو علم التجارب
فتفاوت الناس فيه لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون
سببه اما تفاوت فى الغريزة واما تفاوت فى الممارسة فأما الاول وهو الاصل أعنى الغريزة
فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى
اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى أن
يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم
يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور
البصر والفرق مدرك بين الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عزوجل جارية فى جميع
خلقه بالتدريج فى الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر فى الصبى عند البلوغ دفعة
وبغتة بل تظهر شيأ فشيأ على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر
تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن أن عقل النبى
صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية أو اجلاف البوادى فهو أخس فى نفسه
من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلفت الناس فى فهم العلوم
ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكى يفهم بأدنى
رمز واشارة والى كامل ينبعث من نفسه حقائق الامور دون التعلم كما قال تعالى يكاد
زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم
فى بواطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر النبى
صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك
مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به وهذا النمط من
تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع الصوت بحاسة الاذن
ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث فى الروع ودرجات الوحى
كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظن أن معرفة

درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات
الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خالياً عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم
شيء آخر ولا كل من عرف النبوة والولاية كان نبياً ولا كل من عرف التقوى والورع
ودقائقه كان تقياً وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم
إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع
فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيوناً وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى
ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لا يخفى لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها
وكذلك هذا الاختلاف في النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من
جهة النقل ما روي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يا ربنا هل خلقت شيئاً
أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم
علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فإني خلقت العقل أصنافاً شتى كعدد الرمل فمن
الناس من أعطي حبة ومنهم من أعطي حبتين ومنهم من أعطي الثلاث والأربع ومنهم
من أعطي فرقاً ومنهم من أعطي وسقاً ومنهم من أعطي أكثر من ذلك فإن قلت فما بال
أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم
العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم
يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم
بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم
فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور
ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وإن ذم فما الذي بعده يحمد فإن كان المحمود هو الشرع فبم علم
صحة الشرع فإن علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضاً مذموماً ولا
يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فإنما نريد بالعقل ما يريده
بعين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك
بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق
من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ فهذا القدر كاف في بيان
العقل والله أعلم

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى
من أهل الأرض والسماء يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده
أولاً وآخراً

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول)

(الفصل الأول) في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني

الاسلام

الاسلام فنقول وبالله التوفيق الحمد لله المبدئ والمعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد
والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم
بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم
الى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرّمين بالتأييد والتسديد
المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها الا من ألقى السمع وهو شهيد
المعرّف اياهم في ذاته أنه واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضدّ له منفرد لا ندّ له وانه
واحد قديم لا أوّل له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبديّ لا نهاية له قيوم
لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه
بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الاوّل والآخر والظاهر
والباطن وهو بكل شئ عليم (التنزيه) وانه ليس بجسم مصوّر ولا جوهر محدود مقدّر
وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله
الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس
كمثله شئ ولا هو مثل شئ وانه لا يحدّه المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات
ولا تكتنفه الارضون ولا السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى
الذي أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله
العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش
والسماء وفوق كل شئ الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء كما لا تزيده
بعدا عن الارض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما انه رفيع الدرجات
عن الارض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل
الوريد وهو على كل شئ شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات
الاجسام وانه لا يحل في شئ تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدّس عن أن يحدّه زمان بل
كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه بائن عن خلقه
بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدّس عن التغير والانتقال لا تحله
الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات
كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات
بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما منه للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم
(الحياة والقدرة) وانه تعالى حيّ قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة
ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان
والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وانه
المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق وأعمالهم وقدّر أرزاقهم
وآجالهم لا يشذّ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى
مقدوراته ولا تتناهى معلوماته (العلم) وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تحت
تخوم الارضين الى أعلى السموات وانه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا

في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفا به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال (الارادة) وانه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر ايمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان الا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لامره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمشيئته وارادته فلو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في أزله لوجود الاشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن (السمع والبصر) وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق (الكلام) وانه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات (الافعال) وانه سبحانه وتعالى لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وانه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من انس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه انشاء بعد أن لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه

غيره

غيره فأحدث الخلق بعد ذلك اظهار القدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق فى الأزل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الالام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وانه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له اذ لا يجب عليه لاحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه حق وان حقه فى الطاعات واجب على الخلق بايجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به يعنى الكلمة الثانية وهو الشهادة للرسل بالرسالة وانه بعث النبى الامى القرشى محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشريعته الشرائع الا ما قرره منها وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسئلانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما أول فتنة بعد الموت * وأن يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمة وعدل على الجسم والروح على ما يشاء * وان يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طبقات السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات فى صوره حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات فى صوره قبيحة فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله * وان تؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأرق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوى بهم الى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون الى دار القرار * وان يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر * وان يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه الى مناقش فى الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل الله تعالى من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الاعمال * وان يؤمن باخراج

الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار موحد وان يؤمن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ٭ وان يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم ٭ وان أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ٭ وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين وكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته انه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

(الفصل الثاني) في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم الى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيأ فشيأ فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان ان شرحه في أول نشوه الى الايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو ألقي اليه فلا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيآتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل يضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بان تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين ترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح

مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما يتلقف نفس الاعتقاد تقليدا اذ لا فرق فى التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شئ والاستقلال بالنظر شئ آخر بعيد عنه ثم الصبى اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق اذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه أصلا وان أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور الهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذى وقر فى قلب أبى بكر الصديق رضى الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار لها درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن فى النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفى الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق فى أسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة فى الذكاء والفطنة فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه (مسئلة) فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب اليه فاعلم أن للناس فى هذا غلوا واسرافا فى أطراف فمن قائل انه بدعة وحرام وان العبد ان لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية أو على الاعيان وانه أفضل الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى والى التحريم ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الاعلى رحمه الله سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول لان يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من ان يلقاه بشئ من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر أن أحكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل الكلام على شئ ما ظننته قط ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من ان ينظر فى الكلام وحكى الكرابيسى ان الشافعى رضى الله عنه سئل عن شئ من الكلام فغضب وقال يسئل عن هذا حفص الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما فى الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد وقال أيضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له قال الزعفرانى قال الشافعى حكمى فى أصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ فى

الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر حارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الرأي والبحث وقال احمد رحمه الله علماء الكلام زنادقة وقال مالك رحمه الله أرأيت ان جاءه من هو أجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضا لا تجوز شهادة أهل البدع والاهواء فقال بعض أصحابه في تأويله انه أراد بأهل الاهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الاهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون هلك المتنطعون ثلاث مرات أي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم الى علم الفرائض وأثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا عن القدر وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة وأما الفرقة الاخرى فاحتجوا بأن قالوا ان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها الصحابة رضي الله عنهم فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد أحدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع الى جميع الاسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء في الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وان كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل أدائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وقال تعالى قل هل عندكم من سلطان بهذا أي حجة وبرهان وقال تعالى قل فلله الحجة البالغة وقال تعالى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى قوله فبهت الذي كفر اذ ذكر سبحانه احتجاج ابراهيم ومجادلته وافحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال عز وجل

وتلك

وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وقال تعالى قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وقال تعالى فى قصة فرعون ومارب العالمين الى قوله أولو جئتك بشئ مبين وعلى الجملة فالقرآن من أوله الى آخره محاج مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين فى التوحيد قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفى النبوة وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وفى البعث قل يحييها الذى أنشأها أول مرة الى غير ذلك من الآيات والادلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن فالصحابة رضى الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة فى زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق على بن أبى طالب رضى الله عنه اذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما الى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك فى قتال الكفار أرأيتم لو سبيت عائشة رضى الله عنها فى يوم الجمل فوقعت عائشة رضى الله عنها فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهى امكم فى نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم الى الطاعة بمجادلته ألفان وروى ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر على بن ابى طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الايمان قال عبد الله لو قلت انى مؤمن لقلت انى فى الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الايمان الا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان ونقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة فمن أجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها منى زلة فينبغى أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال أما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة فلو طال اشكال الخصم أو لجاجه لطال فيه الكلام لا محالة والزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيه وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم فى الفقه والتفسير والحديث أيضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التى لا تتفق الا عند الندور اما ادخارا ليوم وقوعها وان كان نادرا أو تشحيذا للخواطر فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم ان الحق فيه أن اطلاق القول بذمه فى كل حال أو بحمده فى كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشئ قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعنى بقولى لذاته ان علة تحريمه وصف فى ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بأنه حرام

ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة
ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم فى وقت
الخيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم
الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذى يقتل قليله وكثيره
والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور
وكأكل الطين وكان اطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفاتا الى
أغلب الاحوال فان تصدى شئ تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس
أن يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته
فى وقت الانتفاع حلال أو مندوب اليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته
فى وقت الاستضرار ومحله حرام وأما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها
عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل فى الابتدا ورجوعها بالدليل مشكوك فيه
ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره فى الاعتقاد الحق وله ضرر آخر فى تأكيد اعتقاد
المبتدعة للبدعة وتثبيتها فى صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على
الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل ولذلك ترى
المبتدع العامى يمكن أن يزول اعتقاده باللطف فى أسرع زمان الا اذا كان نشوءه فى بلد
يظهر فيها الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع
البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين
يستولى على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى
لك الغطاء ويعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به
خصمه وهذا هو الداء العضال الذى استطار فى البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره
المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق
ومعرفتها على ما هى عليه وهيهات فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل
التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث
أو حشوى ربما خطر ببالك ان الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم
قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى
التعمق فى علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا
الوجه مسدود ولعمرى لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور
ولكن على الندور فى أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق فى صنعة الكلام بل منفعته
شئ واحد وهو حراسة العقيدة التى ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات
المبتدعة بأنواع الجدل فان العامى ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا
ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التى قدمناها اذ ورد
الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف الصالح عليها والعلماء يتعبدون
بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة لما فيها من تعبد دينهم ودنياهم كما تعبد

السلاطين

السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدال تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذا مع من وقع في شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يترقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحثة المتكلمين فإن أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الإدراكات وعن الخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان كل واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك

القدر قريب كلام يريد به الاطناب والتقرير عموصا ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتقادات فيها فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فان الخاطر يشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد فيها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وارهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وسائر الحقوق وكالقضاء والولاية وغيرها ومالم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة مالم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فان الحاجة ما كانت ماسة اليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبهة المبتدعة الذين ثاروا في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم به ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال احداها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه والثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما ازالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الاشياء على ما هي عليه وادراك الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات

والاقبال

والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات وهى رحمة من الله عزوجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله (مسئلة) فان قلت هذا الكلام يشير الى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها جلى يبدو أولا وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسر الخالى عن كل شئ من أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا فى أوائل الصبى شيأ وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق الى شأو العلاء ومقامات العلماء والاولياء وذلك ظاهر من أدلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال على رضى الله عنه وأشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم وقال صلى الله عليه وسلم ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العالمون بالله تعالى الحديث الى آخره كما أوردناه فى كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعرى ان لم يكن ذلك سرا فلم منع من افشائه لقصور الافهام عن ادراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عزوجل الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى وفى لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال أبو هريرة رضى الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما احدهما فبثثته واما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر فى صدره رضى الله عنه ولا شك فى ان ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهرها على غيرها وقال سهل التسترى رضى الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلم سر لو ظهر لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة فى حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض فيه وان الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة (مسئلة) فان قلت هذه الآيات والاخبار يتطرق اليها تأويلات فبين كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة

وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن ثم الباطن وإن كان
لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون
الخفي والجلي واحدا فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم المكاشفة
ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فإن العقائد التي ذكرناها من
أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقينها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل
إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا أنه من الأعمال لما
أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر
الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر
الكلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن
قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى
الإيمان بل الأسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها
ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام *(القسم الأول) أن يكون الشيء في
نفسه دقيقا تكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه
إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الروح
وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فإن حقيقته مما تكل
الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظن أن ذلك لم يكن مكشوفا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن
لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض
الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما
سكت عنه بل في صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم
يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما
حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف
ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق
مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبي أو العنين
لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق
والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع
والأكل وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال
أو مما كان له من قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا
في الشرف والكمال فليس في قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من
الفعل والعلم والقدرة وغيره من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون
معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وليس المعنى أني
عجزت عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله ولذلك قال

بعضهم ماعرف الله بالحقيقة سوى الله عزوجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته * ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو أن أحد الاقسام ماتكل الافهام عن ادراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله فى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره * (القسم الثانى) من الخفيات التى تمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ماهو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذى منع أهل العلم من افشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعلان وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنى والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وارادته ومشيئته حق فى نفسه وقد أضر سماعه بقوم اذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضى بالقبيح والظلم وقد ألحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدرة لو أفشى أوهم عند أكثر الخلق عجزا اذ تقصر أفهامهم عن ادراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم (القسم الثالث) أن يكون الشئ بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب وله مصلحة فى أن يعظم وقع ذلك الامر فى قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يقلد الدر فى أعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير أهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم أن ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر الباطن فيتفاوت الناس فى ذلك ومن هذا قال الشاعر فى المعنى

رجلان خياط وآخر حائك . متقابلان على السماك الاعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر . ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى فى الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصور التى تتضمن عين المعنى أو مثله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد وكونه معظما ورمى النخامة فيه تحقير فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار وذلك

من حيث الصورة فقط لم تكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ رأس الحمار لم تكن بحقيقته بلونه وشكله بل بخاصيته وهو البلادة والحمق ومن رفع رأسه قبل الامام فقد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي أو شرعي أما العقلي فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فأمره السلف رحمهم الله على ظاهره من غير تفسير وخالف فيه قوم وقالوا اذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فليست فيها أصابع فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الاصابع وروحها الخفي وكنى بالاصابع عن القدرة لان ذلك أعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار والاول أسلم ومن هذا القبيل في كنايته عن الاقتدار قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا للشيء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه روى أنه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الآية وان معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الاودية هي القلوب وان بعضها احتملت شيأ كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والنفاق فانه وان ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر (القسم الرابع) أن يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللباب والاول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدركه تفرقة بينهما في العلم ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الاحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك في علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام الاربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام ٭ (القسم الخامس)

أن

أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر و يعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني وراء الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى أن يقدر لهما حياة يخلقها الله للسماء وللارض وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والارض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وانه انباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين الى التسخير ومن هذا قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فالبليد يفتقر فيه الى أن يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم أنه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله سبحانه كما يقال وفي كل شئ له آية * تدل على أنه واحد وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شئ الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده و يبقيه ويديم أوصافه و يردده في أطواره فهي تشهد لخالقها بالتقديس يدرك شهادتها ذووا البصائر دون الجاحدين على الظاهر ولذلك قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شئ شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه و يدرك كل واحد بقدر عقله و بصيرته وتعداد تلك الشهادات لا تليق بعلم المعاملة فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لارباب المقامات أسرار واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله زعموا ان ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه حتى منع تأويل قوله كن فيكون وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كون كل مكون حتى سمعت بعض أصحابه يقول انه حسم باب التأويل الا لثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في أرضه وقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله صلى الله عليه وسلم اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رحمه الله انه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الامر عن الضبط

وجاوز حد الاقتصاد اد حد الاقتصاد لا ينضبط فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمروها كما جاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة الى الاقتصاد ففتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه سميعا بصيرا وأولوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة وردوه الى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشف لهم أسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد ابن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وعدم مخالفته له فقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة أمور كثيرة واذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وأنهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب

(الفصل الثالث) من كتاب قواعد العقائد في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فنقول بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة أهل السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول ان لم تتحقق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا

أن

أن كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات أفعاله واثبات صدق الرسل فعلموا أن بناء الايمان على هذه الاركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول * الركن الاول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه يرى وانه واحد * الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة * الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل بالخلق والاختراع وان له تعالى تكليف مالا يطاق وان له ايلام البرئ ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائز وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات * الركن الرابع في السمعيات ومداره على عشرة أصول وهي اثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الامامة وان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الامامة

فأما الركن الاول من اركان الايمان

في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وان الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

(الاصل الاول) معرفة وجوده تعالى أولى ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون الى قوله للمقوين فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل اذا تأمل بأدنى فكره مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى أفي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ولهذا بعث الانبياء كلهم يدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما أمروا أن يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة

عقولهم من مبدأ نشوتهم وفي عنفوان شبهم ولذلك قال عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة برهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بديهة العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني حدوثه عن سبب أما قولنا ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب فجلي فان كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص وأما قولنا العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى ٭ الاولى أن الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها الى تأمل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا ٭ الثانية قولنا انهما حادثان يدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث بطريانه والسابق حادث لعدمه لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس ٭ الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو محدث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعا أو وترا أو شفعا ووترا جميعا أو لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا أو لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما اثبات الآخر ومحال أن يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد وكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية لاعدادها ومحال أن يكون لا شفعا ولا وترا اذ له نهاية فيحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة ٭ (الاصل الثاني) العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل أزلي ليس لوجوده أول بل هو أول كل شئ وقبل كل ميت وحي وبرهانه أنه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه ٭ (الاصل الثالث) العلم بأنه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر فهو الاول

والآخر

والآخر والظاهر والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو اما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده ولو جاز أن ينعدم شئ يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شئ بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل أن ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين جميعا السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده فان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث ﴿(الاصل الرابع) العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمى جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى ﴿(الاصل الخامس) العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا متحيزا بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الالهية للشمس والقمر أو لشئ آخر من أقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم ﴿(الاصل السادس) العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم أحدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا لا يشبه شيأ ولا يشبهه شئ بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شئ وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصور مصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته ﴿(الاصل السابع) العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين واما شمال اوقدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق

للانسان اليدين واحداهما أقوى من الاخرى فى الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى واسم الشمال لما يقابله وسمى الجهة التى تلى اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التى يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان فى الازل مختصا بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن له أبان خلق الانسان ويتعالى عن أن يكون له فوق اذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت اذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلى جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل فى العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا أو عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا فى الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فأما ان يكون مثله أو اصغر منه أو اكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة الى مقدّر و يتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فأما رفع الايدى عند السؤال الى جهة السما فهو لانه قبلة الدعاء وفيه أيضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلا فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ۞ (الاصل الثامن) العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذى أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذى لا ينافى وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدث والفناء وهو الذى اريد بالاستواء الى السما حيث قال فى القرآن ثم استوى الى السماء وهى دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ۞ من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل الى تأويل قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم اذ حمل ذلك بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله فى أرضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن منه جسما مماسا للعرش اما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدى الى المحال فهو محال ۞ (الاصل التاسع) العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئى بالاعين والابصار فى الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى فى الدنيا تصديقا لقوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولقوله تعالى فى خطاب موسى عليه السلام لن ترانى وليت شعرى كيف عرف المعتزلى من صفات رب الارباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف

سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوى البدع والاهواء من الجهلة الاغبياء أولى من الجهل بالانبياء صلوات الله عليهم وأما وجه اجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا أنه أتم وأوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس فى جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس فى مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك * (الاصل العاشر) العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يشابهه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين وأراد أحدهما امرا فالثانى ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثانى مقصورا مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا

* (الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول) *

(الاصل الاول) العلم بأن صانع العالم قادر وانه تعالى فى قوله وهو على كل شئ قدير صادق لان العالم محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له اوعن انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا فى سلك أهل الغباوة والجهل * (الاصل الثانى العلم) بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء صادق فى قوله وهو بكل شئ عليم ومرشد الى صدقه بقوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير أرشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشئ الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف * (الاصل الثالث) العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات بل فى حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات * (الاصل الرابع) العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيئته وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله او بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلابد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد فى الوقت الذى سبق العلم بوجوده لجاز ان يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده فيه * (الاصل الخامس) العلم بأنه تعالى

سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ
عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون
سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل
من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص
في جهته والكمال في خلقه وصنعته أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم
على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيأ ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة
ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا
بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا أذن إذ لا فرق
بينهما (الأصل السادس) أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس
بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام
بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة
بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة
الشعراء حيث قال قائلهم

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن أن يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي
الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم
عبارة عما ليس قبله شيء وأن الباء قبل السين في قوله بسم الله فلا يكون السين المتأخر
عن الباء قديما فنزه عن الالتفات إليه قلبك فلله سبحانه سر في إبعاد بعض العباد ومن
يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس
بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وإن عقل
أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره فليعقل
في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع
الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وإن عقل
كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار
ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات
السموات والأرض والجنة والنار في الحدقة والقلب والورقة فليعقل كون الكلام
مقروءا بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام
فيها إذ لو حلت بكتابة الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه
في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولاحترق (الأصل السابع) أن
الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا
تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا
تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في أبده كذلك منزها

عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدث للاجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير ويبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل " اخلع نعليك بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم * (الاصل الثامن) أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي" اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى. (الاصل التاسع) أن ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الازلي" اذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيف ما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذلك الارادة الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز أن يحدث ارادة بغير ارادة لجاز أن يحدث العالم بغير ارادة * (الاصل العاشر) ان الله تعالى عالم بعلم حي" بحياة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني" بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاوصاف

(الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول).

(الاصل الاول) العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى الله خالق كل شئ وفي قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وفي قوله تعالى وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وأسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات

متماثله وتعلق القدرة بهالذاتها فما الذي نقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من السكون والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الارض والسموات ❊ (الاصل الثاني) أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس بكسب له وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت الحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى في الازل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فبه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها ❊ (الاصل الثالث) أن فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيئته ومنه الشر والخير والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل عليه من جهة العقل ان المعاصي والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة العدو ابليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه والجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته تعالى فليت شعري كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ❊ ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك

اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد اظهار حجته بأن يأمر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال ‹‹ (الاصل الرابع) ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف يتهدف لايجاب أو يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت واما أن يراد به الذي يؤدي عدمه الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه يؤدي الى محال وهو أن يصير العلم جهلا فان أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الاول فقد عرضه للضرار وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم ان مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فاما أن يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب ‹‹ (الاصل الخامس) أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق مالا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ولان الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أبا جهل لا يصدقه ثم أمره بأن يأمره بأن يصدقه في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه فكيف يصدقه في أنه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده ‹‹ (الاصل السادس) ان الله عزوجل ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير اذنه وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه فنقول من زعم أنه يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم فاذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب ‹‹ (الاصل السابع) أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شئ بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليت

سعري عما يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه على مسئلة نعرضها عليهم
وهو أن نفرض مناظرة في الآخرة بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله
سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد
البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يارب لم رفعت منزلته على فيقول
لانه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتني في الصبي فكان يجب عليك أن
تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني
فلم فضلته فيقول الله تعالى لاني علمت انك لو بلغت لاشركت أو عصيت فكان الاصلح
لك الموت في الصبي هذا عذر المعتزلي عن الله عزوجل وعند هذا ينادي الكفار من
دركات لظى ويقولون يارب أما علمت أنا اذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبي فانا
رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع
بأن الامور الالهية تعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال فان قيل مهما
قدر على رعاية الاصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق
بالحكمة قلنا القبيح ما لا يوافق الغرض حتى انه قد يكون الشئ قبيحا عند شخص حسنا
عند غيره اذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه
ويستحسنه أعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض البارئ سبحانه فهو محال
اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يتصور منه التصرف في ملك
الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا
الا مجرد تشهي يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم
بحقائق الاشياء القادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من أين يوجب رعاية
الاصلح وانما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة
ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك على الله سبحانه وتعالى محال ❊ (الاصل الثامن)
أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة
لان العقل وان أوجب الطاعة فلا يخلو اما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل
لا يوجب العبث واما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو اما أن يرجع الى المعبود
وذلك محال في حقه تعالى فانه يتقدس عن الاغراض والفوائد بل الكفر والايمان
والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان واما أن يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه
لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في المآل
الا الثواب والعقاب ومن أين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب
عليهما مع ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان اذ ليس له الى أحدهما ميل ولا به
لاحدهما اختصاص وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة
بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح
والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع
والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب

على النظر والشرع لا يثبت عندى الا بالنظر واست أقدم على النظر أدّى ذلك الى افحام الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا هذا ايضا هي قول القائل للواقف فى موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقى فيقول الواقف لا يثبت صدقك مالم ألتفت وراءى ولا ألتفت وراءى ولا أنظر مالم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة القائل وتهدّفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادى المرشد فكذلك النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تأخذوا منها حذركم أهلكتكم وتعرفوا الى صدقى بالالتفات الى معجزتى فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على ان هلك الناس كلهم أجمعون وانما على البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقول فى المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشئ واجبا ان فى تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدى الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما فى تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر فى الآخرة. (الاصل التاسع) أنه ليس يستحيل بعثة الانبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة فى بعثتهم اذ فى العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدى الى الافعال المنجية فى الآخرة كما لا يهدى الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة و يعرف صدق النبى بالمعجزة. (الاصل العاشر) ان الله سبحانه قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق العجماء وما تفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التى تحدّى بها جامع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله واخراجه كما أخبر الله عزوجل عنهم ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن اذ لم يكن فى قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه أمّيا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب فى أمور تحقق صدقه فيها فى الاستقبال كقوله تعالى لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين وقوله تعالى ألم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدّى النبى صلى الله عليه وسلم ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدى الملك المدّعى على رعيته أنه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضرورى بأن ذلك نازل منزلة قوله

صدقت

(الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول)

(الاصل الاول) الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول (الاصل الثاني) سؤال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له فان النائم ساكن بظاهره ويدرك باطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبرائيل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه (الاصل الثالث) عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة تقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها (الاصل الرابع) الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه الاية ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب (الاصل الخامس) الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة واحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط (الاصل السادس) أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله تعالى اعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (الاصل السابع) أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امام أصلا اذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والامراء على الجنود في

البلاد

البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا أو اذا ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا
فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة الصحابة
كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لم يستجرعلى
اختراعه الا الروافض واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله
سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما
كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة اذ ظن علي رضي الله عنه
أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب أمر
الامامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم
جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال أفاضل العلماء كل
مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة علي ذو تحصيل أصلا .
(الاصل الثامن) أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة
اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة وانما يدرك دقائق الفضل
والترتيب فيه المشاهدون الوحي والتنزيل بقرائن الاحوال ودقائق التفصيل فلولا
فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن
الحق صارف . (الاصل التاسع) أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة
الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من
قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة
من أكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد الى الحق . (الاصل العاشر)
أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق
حكمنا بانعقاد امامته لانا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر
يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل
المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الامام
وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء أهل البغي في بلادهم لمسيس
حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان الاربعة
الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة
ومباينا لرهط البدعة فالله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة
جوده وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

(الفصل الرابع من قواعد العقائد) في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال
والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه
ثلاث مسائل

(مسئلة)

اختلفوا في أن الاسلام هو الايمان أو غيره وان كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد

دونه أو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما شيئان لا يتواصلان وقيل انهما شيئان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر وقد أورد أبو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة والبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي (البحث الاول) في موجب اللغة والحق فيه أن الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة أن الاسلام أعم والايمان أخص وكان الايمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام فاذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا (البحث الثاني) عن اطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل أما الترادف ففي قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان فأجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام فأجاب بذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم او مسلم فرد عليه فأعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما التداخل فما روي أيضا أنه سئل فقيل له أي الاعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال أي الاسلام أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الايمان وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الايمان عمل من الاعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وأفضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو أن يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو

موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فان التسليم بعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره بعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سعد أو مسلم لانه فصل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين واما التداخل فهو موافق أيضا للغة فى خصوص الايمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل فى الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة فى خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان فى جواب قول السائل أى الاسلام أفضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فأدخله فيه واما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف فى الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر فى معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويرادبه الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين. (البحث الثالث) عن الحكم الشرعى وللاسلام والايمان حكمان أخروى ودنيوى اما الاخروى فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد اختلفوا فى أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الايمان ماذا هو فمن قائل انه مجرد العقد ومن قائل يقول أنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف فى أن مستقره الجنة وهذه درجة . والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل فى الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد فى النار وهذا باطل كما سنذكره . الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا فى حكمه فقال أبو طالب المكى العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على أن العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل فى حكم المعاد والعجب أنه ادعى الاجماع فى هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم لا يكفر أحد الا بعد جحوده لما أقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد فى النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس

مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدّق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بدّ أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنى ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وان قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الاعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالاعمال ومات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد في النار ولم يشترط في حديث جبرائيل عليه السلام للايمان الا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق * الدرجة الخامسة أن يصدّق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بدّ أن يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان أن الايمان هو عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن اذ ليس كلمتا الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام والاول أظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا ان المؤمن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم (الدرجة السادسة) أن يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدّق بقلبه فلا نشك في أنّ هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا التي تتعلق بالائمة والولاة من المسلمين لانّ قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظنّ به أنه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه في قلبه وانما نشك في أمر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدّق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدّق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى أو نكح مسلمة ثم صدّق بقلبه هل تلزمه اعادة النكاح هذا محل النظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل أن يقال دنياط بالظاهر في حق غيره لانّ باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله

تعالى

تعالى والاظهر والعلم عند الله تعالى انه لا يحل له ذلك الميراث و يلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام أيضا في جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصد القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم فأقول شبهتهم عمومات القرآن أمّا المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان أتى بكل المعاصي لقوله عزوجل فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله عزوجل والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصدّيقون الآية ولقوله تعالى كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء فقوله كلما ألقي فيها فوج عام فينبغي أن يكون كل من ألقي في النار مكذبا ولقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون فالايمان رأس الحسنات ولقوله تعالى والله يحب المحسنين وقال تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان في هذه الآيات أريد به الايمان مع العمل اذ بينا أن الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بدّ من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كالصريح في أن ذلك لا بدّ منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالاشقى شخصا معينا أيضا وقوله تعالى كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها أي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الآية وقع للاشعري وطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ظهور قرينة تدل على معناها وأمّا المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم قال ثم ننجى الذين اتقوا وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل ما يذكر الله عز وجل العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغى أن تبقى له مشيئة فى مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقوله تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا وقوله تعالى ان الله لا يضيع أجر المحسنين فكيف يضيع أجر أصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا أى لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى أن الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الانسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه انسانا بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن والصحابة رضى الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة فى الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان أى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الانسانية

(مسئلة)

فان قلت فقد اتفق السلف على أن الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان فأقول السلف هم الشهود العدول ومالاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشأن فى فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الايمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشئ لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الانسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بأن الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قائم فى ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فأقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه (الاول) أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودى وصلابته فى عقيدته التى لا يمكن نزوعها منه بتخويف وتحذير ولا بتخييل

ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصراني والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك فى عقده كالاول ولكنهما متفاوتان فى شدّة التصميم وهذا موجود فى اعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقى الماء فى نماء الاشجار ولذلك قال تعالى فزادتهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروى فى بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات فى القلب وهذا لا يدركه الا من راقب أحوال نفسه فى أوقات المواظبة على العبادة والتجرّد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وادراك التفاوت فى السكون الى عقائد الايمان فى هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه عملا مقبلا أو ساجدا لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتى هذا فى ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطائف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حدّ ظنّ بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظنّ آخرون أنه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن أدرك الامرين وأدرك تعدّدهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال

رق الزجاج ورقت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع الى المقصود فان هذا العالم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين أيضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة الى علوم المعاملة الى أن تنكشف عنها بالتكليف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علىّ كرم الله وجهه انّ الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسودّ القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم الآية * (الاطلاق الثانى) أن يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن واذا دخل العمل فى مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك فى زيادة الايمان الذى هو مجرّد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا الى أنه يؤثر فيه * (الاطلاق الثالث) أن يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف

وانسراح الصدر والمشاهدة نور البصيرة وهذا أبعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني أقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تتفاوت طمأنينة النفس اليه فليس طمأنينة النفس الى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها الى أن العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما فان اليقينيات تتفاوت في درجات الايضاح ودرجات طمأنينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي بعض المواضع في خبر آخر مثقال دينار فأي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت

(مسئلة)

فان قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن ان شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون عنه فقال سفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كما أن من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزينا أو سميعا أو بصيرا ولو قيل للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وأي فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل الينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال ان شاء الله فقيل له لم تستثنى يا أبا سعيد في الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا فأنا أعمل في غير معمل وقال ابراهيم بن أدهم اذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل أنا لا أشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة وقيل لعلقمة أمؤمن أنت قال أرجو ان شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله تعالى فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان الى الشك لا في أصل الايمان ولكن في خاتمته وكماله ووجهان لا يستندان الى الشك * الوجه الاول الذي لا يستند الى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم وقال تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد

والتضعيف

والتضعيف لنفس الخبر ومعناه أكد التضعيف اللازم من لوازم الخبر وهو التزكية
وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء * الوجه الثاني التأدب بذكر
الله تعالى في كل حال واحالة الامور كلها الى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه
صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ثم
لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه بل قال تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين
محلقين رؤسكم ومقصرين وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لامحالة وانه شاءه
ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر
عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر السلام
عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه
ولكن مقتضى الادب ذكر الله تعالى وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار
بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا
فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل لك فلان سيزول مرضه
ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكك
الى معنى الرغبة وكذلك العدول الى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الامر
(الوجه الثالث) ومستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى
لقوم مخصوصين بأعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا
الى الشك في كمال الايمان لا في أصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر
والشك في كمال الايمان حق من وجهين أحدهما من حيث أن النفاق يزيل كمال
الايمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى
وجودها على الكمال قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا
الصدق وكذلك قال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب والنبيين فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال
تعالى اولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات وقال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقد قال تعالى
هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث
وقال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا أدناها اماطة الاذى عن الطريق
فهذا يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك
الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم
أنه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض
الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث أبي سعيد الخدري القلوب أربعة قلب أجرد وفيه
سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل
البقلة يمدها الماء العذب الغزير ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد

وأي المنافقين على حكم له بها وفي لفظ آخر دهمت به وقال صلى الله عليه وسلم أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها وفي حديث الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفاء وقال حذيفة رضي الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى أن يموت واني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى انه بريء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه بريء منه فقد قيل للحسن البصري يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا وسمع ابن عمر رضي الله عنه رجلا يعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون انا لا نخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب الي من بلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه اني أخاف الله ان أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء قد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم انهم ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت ولما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو ان انسانا دخل بستانا فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في

المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيأ فأردت أن انكره فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق والنفاق يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور أخر لا يخلو عنها الا الصديقون ٥ (الوجه الرابع) وهو أيضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري أيسلم له الايمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لانه موقوف على سلامة الآخرة ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا صائم قطعا فلو أفطر في اثناء نهاره بعد ذلك اتبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان بكاء اكثر الخائفين لاجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما تظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق أي بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله مامن احد يأمن ان يسلب ايمانه الا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل وقيل في قوله تعالى وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال تعالى ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما وكذلك الايمان بل لا يبعد ان يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شاء الله تعالى اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه الا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها

الارب الارباب جل جلاله فيحسن السلك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الحول عن الايمان وهي آخر ما ختم به كتاب قواعد العقائد تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

(كتاب اسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه واعد لطواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطرافه العالية واكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة (أما بعد) فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان قال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذووا البصائر بهذه الظواهر ان أهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء والقائه وتخريب الباطن وابقائه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات والطهارة لها أربع مراتب (المرتبة الاولى) تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات (المرتبة الثانية) تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام (المرتبة الثالثة) تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة (المرتبة الرابعة) تطهير السر عما سوى الله تعالى وهو طهارة الانبياء صلوات الله عليهم والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الاول وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه

وكثرت عقباته فلا تظن أن هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشرة الاخيرة الظاهرة بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب وتساهلهم في أمر الظاهر حتى أن عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية وحتى أنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين الارض حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصى ثم نفركها في التراب ونكبر وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بطون ارجلنا كنا اذا أكلنا الغمر مسحنا بها ويقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع المناخل والاشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلهم بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النعلين افضل اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعليه باخبار جبرائيل عليه السلام له ان بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء اليها فأخذها منكرا لخلع النعال فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الارض حافيا أو صلى على الارض أو على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم او توضأ من آنية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا عن مواكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه فان قلت افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هيآتهم

وبطاقتهم من المحظورات والمنكرات فأقول حاش لله ان اطلق القول فيه من غير
تفصيل ولكني اقول ان هذا التنظيف والتكلف واعداد الاواني والآلات واستعمال
غلاف القدم والازار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى
ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة
بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى ان صاحبها متصرف
بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما مصيرها
منكرا فأن يجعل ذلك اصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم بني الدين على
النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين او يكون القصد به تزيين
الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين
الاعتبارين اما كونه معروفا فأن يكون القصد منه الخير دون التزيين وان لا ينكر على
من ترك ذلك ولا تؤخر بسببه الصلاة عن اوائل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل
منه او عن علم او غيره فاذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية
ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات فيه لاشتغلوا بنوم
وحديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى لان الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله
تعالى وذكر العبادات فلا بأس به اذا لم يخرج الى منكر او اسراف واما اهل العلم والعمل
فلا ينبغي ان يصرفوا من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم
وتضييع العمر الذي هو انفس الجواهر واعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا تعجب
من ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين ولا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر
على المتصوفة ويزعم انه يتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ الا لما هو اهم
منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا
للمتعلم ولا للعامل ان يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب
المقصورة توهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفراء
المدبوغة وكم من الفرق بين المقصورة والمدبوغة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون
النجاسة اذا شاهدوها ولم يدققوا نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا
يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر
الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه
لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن
لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له
غسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل على خير وذلك العامي
ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي
في تلك الحال والنفس ان لم تشتغل بشيء شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم
صار ذلك عنده هو افضل القربات فوقت العالم اشرف من ان يصرفه الى مثله فيبقى
محفوظا عليه واشرف وقت العامي ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها

وليتعظ

وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الاعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب فى حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل أهم من التدقيق فى أمور الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستبنت ان الطهارة لها أربع مراتب واعلم أن فى هذا الكتاب لسنا نتكلم الا فى المرتبة الرابعة وهى نظافة الظاهر لانا فى الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهى التى تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره

(القسم الاول فى طهارة الخبث) والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة

(الطرف الاول فى المزال)

وهى النجاسة والاعيان ثلاثة جمادات وحيوانات واجزاء حيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها الا الكلب والخنزير وما تولد منهما او من احدهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الآدمى والسمك والجراد ودود التفاح وفى معناه كل ما يستحيل من الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس (الثانى) الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمنى والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعفى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة* الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج * والثانى طين الشوارع وغبار الروث فى الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذى لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او سقطة* الثالث ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة * الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان فى ثوبك أو فى ثوب غيرك فلبسته * الخامس دم البثرات وما يفصل منها من قيح وصديد ودلك ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفى معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التى تدوم غالبا وكذلك أثر الفصد الا ما يقع نادرا من جراح أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون فى معنى البثرات التى لا يخلو الانسان عنها فى أحواله ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل وما أبدع فيها وسوسة لا أصل لها

(الطرف الثانى فى المزال به)

وهو اما جامد واما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم وأما المائعات فلا تزال النجاسات بشئ منها الا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذى لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن

الطهارة بأن يغير علاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فان لم يغير علاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه وكان قريبا من مائتين وخمسين مناوهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد وأما الماء الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريان الماء متفاصلات وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جري الماء أقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها نجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما لا شك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بتعذر الطهارة مكة والمدينة اذ لا تكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر عصر اصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في أنه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالبة تعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة وعدم تغطيه الاواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل الآبار والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير ونجسة ان تغيرت وأي فرق بين أن يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأي معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني والخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان كان قليلا وأي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة أتجري في المياه الجارية في انابيب الحمامات ام لا فان لم تجر فما الفرق وان جرت فما الفرق بين ما تقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية ثم الابول اشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذا قضي بأن ما يجري عليها وان

لم يتغير نجس الى ان يجتمع فى منقع قلتان فأى فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط اشدّ من المجاورة والسادس انه اذا وقع رطل من البول فى قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغرف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعرى فى تعليل طهارته لعدم التعير أولى او بقوّة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وز والهامع تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيها والسابع ان الحمامات لم تزل فى الاعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الايدى والاوانى فى تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الايدى النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوى فى النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معوّلين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شئ الا ما غير طعمه اولونه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مائع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى الكلب يقع فى المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع فى الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء ويتطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه اولونه اوريحه فهذا المعيار وقد اشار الشرع اليه فى الماء القوى على ازالة النجاسة وهو جدير بأن يعوّل عليه فيندفع به الحرج فيظهر معنى كونه طهورا ان يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفى الغسالة وفى الماء الجارى وفى اصغاء الاناء للهرة ولا تظنّ ذلك عفوا اذ لو كان كذلك لكان كاثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور فى الماء القليل واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يحمل خبثا فهو فى نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال انه اراد به انه فى الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الدلالة التى ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفى الحمل اى يقلبه الى صفة نفسه كما يقال للمملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اى ينقلب وذلك لان الناس قد يستنجون فى المياه القليلة فى الغدران ويغمسون الاوانى النجسة فيها ثم يترددون فى انها تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة فان قلت فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يحمل خبثا ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا فلا بدّ من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلى فى امور النجاسات المعتادة الى التساهل فهما من سيرة الاولين وحسما لمادّة الوسواس وبذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه فى مثل هذه المسائل

(الطرف الثالث فى كيفية الازالة)

والنجاسة ان كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس فيكفى اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بدّ من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفوّ عنه بعد الحتّ والقرص وأما الرائحة فبقاؤها يدل على

نقاء العين ولا نعني عنها الا اذا كان الشئ له رائحة فائحة يعسر ازالتها الدلك والعصر مرات متوالية فيان يقوم مقام الحت والقرص في اللون والمزيل للوسواس أن نعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا نشاهد عليه نجاسة ولا نعلمها يقينا يصلى معها ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط الى تقدير النجاسات

(القسم الثاني طهارة الاحداث) ومنها الوضوء والغسل والتيمم و تتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة ان شاء الله تعالى

(باب آداب قضاء الحاجة)

ينبغي ان يبعد عن أعين الناظرين في الصحرا وان يستتر بشئ ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء والعدول أيضا عنها في البناء أحب وان استتر في الصحراء براحلته جاز وكذلك بذيله وأن يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحر وأن يتقي الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وأن يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وان كان في بنيان تقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة رضي الله عنها من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رضي الله عنه رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما وفيه رخصة اذ روى حذيفة رضي الله عنه أنه عليه السلام بال قائما فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال صلى الله عليه وسلم عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك قد وسع في البول في المغتسل اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذي وقال عليه السلام لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وان يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى على ما ينفعني ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وان يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على أسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فيقدر أنه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم فعله أعني رش الماء وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان رضي الله عنه علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ حتى الخراءة أمرنا أن لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وقال رجل لبعض الصحابة من

الاعراب وقد خاصمه لا أحسبك تحسن الخرأة قال بلى وأبيك انى لاحسنها وانى بها الحاذق أبعد الاثر وأعد المدر وأستقبل الشيح واستدبر الريح واقعى اقعاء الظبى وأجفل جفال النعام * الشيح نبت طيب الرائحة بالبادية والاقعاء ههنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه وذلك رخصة ومن الرخصة ان يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك

(كيفيه الاستنجاء)

ثم يستنجى لمقعدته بثلاثة أحجار فان أنقى بها كفى والا استعمل رابعة فان أنقى بها استعمل خامسة لان الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر ويأخذ الحجرة بيساره ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخر ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخر كذلك ويمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة فان عسرت الادارة ومسح من المقدمة الى المؤخرة أجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره وتمسح الحجرة بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع أوفى ثلاثة أحجار أو فى ثلاث مواضع من جدار الى أن لا يرى الرطوبة فى محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجى بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل مالا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة مالم تظهر وكل ماهو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره ان يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ماهذه الطهارة التى اثنى الله بها عليكم قالوا كنا نجمع بين الماء والحجر

(كيفية الوضوء)

اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك فينبغى أن ينوى عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى فى الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال صلى الله عليه وسلم مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا أى صفر الاسنان وكان عليه السلام يستاك فى الليلة مرارا وعن ابن عباس رضى الله

عنه أنه قال لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء
وقال عليه السلام عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب وقال علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بخشب الاراك أو غيره من
قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وإن اقتصر فعرضا
ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة
بالنوم أو طول الأزم أو أكل ما تكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء
مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم
يسم الله تعالى أي لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء ويقول اللهم إني
أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة
الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه
فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بأن يرد الماء إلى الغلصمة إلا أن يكون صائما فيرفق ويقول
اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد
الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم أوجد لي رائحة
الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار
لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ تسطيح
الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل
في حد الوجه النزعتان اللتان على طرفي الجبينين فهما من الرأس ويوصل الماء إلى موضع
التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه
مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء
إلى منابت الشعور الأربعة الحاجبان والشاربان والعذاران والأهداب لأنها خفيفة في
الغالب والعذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبتدأ اللحية ويجب إيصال الماء إلى منابت
اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في
الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية
ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روي
أنه عليه السلام فعل ذلك ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل
عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي
بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فإنه
مستحب له ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء إلى
أعلى العضد فإنهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر
قال عليه السلام من استطاع أن يطيل غرته فليفعل وروي أن الحلية تبلغ مواضع
الوضوء ويبدأ باليمين ويقول اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند

عسل

غسل الشمال اللهم انى أعوذبك أن تعطينى كتابى بشمالى أومن وراء ظهرى
ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رؤس أصابع يده اليمنى باليسرى ويضعهما
على مقدمة الرأس ويمرهما الى القفاثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل
ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشنى برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك
يوم لاظل الاظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحتيه
فى صماخى اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا
ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم
أسمعنى منادى الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم مسح
الرقبة أمان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم فك رقبتى من النار وأعوذبك من
السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من أسفل اصابع
الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول
اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم يوم تزل الاقدام فى النار ويقول عند غسل
اليسرى أعوذبك أن تزل قدمى على الصراط يوم تزل أقدام المنافقين فى النار ويرفع
الماء الى أنصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه الى السماء وقال أشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت
سوأ وظلمت نفسى أستغفرك اللهم وأتوب اليك فاغفرلى وتب على انك أنت التواب
الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين
واجعلنى عبدا صبورا شكورا واجعلنى اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان
من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله
تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة * ويكره فى الوضوء امور منها ان
يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وان يسرف فى الماء توضأ عليه السلام ثلاثا وقال من
زاد فقد ظلم واساء وقال سيكون قوم من هذه الامة يعتدون فى الدعاء والطهور ويقال
من وهن علم الرجل ولوعه بالماء فى الطهور وقال ابراهيم بن ادهم يقال ان أول ما يبتدى
الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس فى الوضوء يقال له
الولهان ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم فى اثناء الوضوء وان يلطم وجهه
بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن
روى معاذ رضى الله عنه أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة رضى الله
عنها أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة ولكن طعن فى هذه الرواية عن عائشة
ويكره أن يتوضأ من اناء صفر وان يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب وقد روى
عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما كراهية اناء الصفر وقال بعضهم أخرجت لشعبة
ماء فى اناء صفر فأبى أن يتوضأ منه ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله
عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغى أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره
وهو موضع نظر الخلق فينبغى أن يستحيى من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو

موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق المذمومة والتحلي بالاخلاق الحميدة أولى وان من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما احذره بالتعرض للمقت والبوار والله سبحانه اعلم

(فضيلة الوضوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم ايضا الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كله حث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من بين اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت اظفاره فاذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفاره ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى ان الطاهر كالصائم قال عليه الصلاة والسلام من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه

(كيفية الغسل)

وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا الا غسل القدمين فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب الماء على راسه ثلاثا ثم على شقه الايمن ثلاثا ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس واللحية ويوصل الماء الى منابت ما كثف منه وما خف وليس على المرأة نقض الضفائر الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلال الشعور ويتعهد

معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره في اثناء ذلك فان فعل فليعد الوضوء وان توضأ
قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد منه
لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عداه من المسائل التي يحتاج اليها في عوارض
الاحوال فليرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ماذكرناه في الغسل امران
النية واستيعاب البدن بالغسل وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى
المرفقين ومسح ما يطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين
والترتيب واما الموالاة فليست بواجبة والغسل الواجب بأربعة بخروج المني والتقاء
الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغسال سنة كغسل العيدين والجمعة
والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق
ولطواف الوداع على قول والكافر اذا أسلم غير الجنب والمجنون اذا أفاق ولمن غسل
ميتا فكل ذلك مستحب

(كيفية التيمم)

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده من بعد الطلب أولمانع له عن الوصول اليه من
سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو لعطش رفيقه أو كان ملكا
لغيره ولم يبعه الا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله
فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد
صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه
ضاما بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ويسوي عند ذلك استباحة
الصلاة ولا يكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خف أو كثف ويجتهد أن
يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد
على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة
ثانية ويفرج فيها بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى
بحيث لا يجاوز أطراف الانامل من احدى الجهتين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر
يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الايمن الى المرفق ثم يقلب بطن كفه
اليسرى على باطن ساعده الايمن ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على
ظاهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه وغرض
هذا التكليف تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك
فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة واذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف
يشاء فان جمع بين فريضتين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة
بتيمم والله أعلم

(القسم الثالث من النظافة) التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان أوساخ واجزاء

(النوع الاول الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية)

الاول ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل

والترجل والتدهين ازالة للشعث والتعب عنه وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر
ويرجله غبا ويأمر به ويقول عليه السلام ادهنوا غبا وقال عليه الصلاة والسلام من
كان له شعرة فليكرمها أى ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث
اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان *
الثانى ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع فى قعر
صماخى اذنيه فينبغى أن يلطف رفق عند الخروج من الحمام فان كثير ذلك ربما يضر
بالسمع * الثالث ما يجتمع فى داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه
ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار * الرابع ما يجتمع على الاسنان وطرف اللسان من
القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما * الخامس ما يجتمع فى اللحية من الوسخ
والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفى الخبر المشهور أنه
صلى الله عليه وسلم كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر وهى سنة
العرب وفى خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين وكان
صلى الله عليه وسلم كث اللحية وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها
وكان على عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفى حديث أغرب منه قالت عائشة
رضى الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته يطلع
فى الحب يسوى من رأسه ولحيته فقلت أو تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب
من عبده أن يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب
التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان
صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى
قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته فى أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم
ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى
لدعوة الخلق الى الله عز وجل وهو أن يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه
والاعتماد فى مثل هذه الامور على النية فانها أعمال فى أنفسها تكتسب الاوصاف من
المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث فى اللحية اظهارا للزهد وقلة
المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد
وبين الله عز وجل والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى
هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم أن قصده الخير
فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم ارغام المبتدعة
والمجادلين والتقرب الى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم بعثر ما فى
القبور ويحصل ما فى الصدور وعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله
من الخزى يوم العرض الاكبر * السادس وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الانامل
كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع فى تلك
الغضون وسخ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم * السابع تنظيف

الرواجب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بتنظيفها وهي رؤس الانامل وما تحت الأظفار من الوسخ لانها كانت لا يحضرها المقراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء في الاثر أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبرائيل عليه السلام قال له كيف تنزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر أمتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله عز وجل فلا تقل لهما اف اى لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتأذى بهما كما تتأذى بما تحت الظفر

* الثامن الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام. دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن ابى الدرداء وابى ايوب الانصارى رضى الله عنهما وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات * فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أمّا الواجبان في عورته فهو ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوءتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان تكون بقية العورة اعنى الفخذين والواجبان في عورة الغير ان يغض بصر نفسه عنها وان ينهى عن كشفها لان النهى عن الكشف واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجرى عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر فأمّا قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بدّ من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصى وذلك يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا تخلوا عن عورات مكشوفة لاسيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدّونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام وقال بشر بن الحارث ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلى له الحمام وروى ابن عمر رضى الله عنهما في الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه. وامّا السنن فعشرة فالاول النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطى الحمامى الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامى فتسليم الاجرة دفع للجهالة

من احد العوض وبطش لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة أو يتكلف تخليه الحمام فانه ان لم يكن في الحمام الا أهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للتأمل في العورات ثم لا يخلو الانسان في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في أطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر رضي الله عنه عينيه ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لاسيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه أشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر الى الفرش يتأمل قيمها والحائك ينظر الى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر الى السقوف يتأمل كيفية تركيبها والبناء ينظر الى الحيطان يتأمل كيفية احكامها واستقامتها وكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الاشياء شيئا الا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر الى شئ الا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فان نظر الى سواد ذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر أفاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد أو قبول في سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الآخرة استحقرها ان لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان أجاب غيره وان أحب قال عافاك الله ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن اسباط أوصى بأن يغسله انسان لم يكن من أصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد

قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه وقال ابن عمر رضي الله عنه ماء
الحمام من النعيم الذي أحدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة الطب فقد قيل الحمام
بعد النورة أمان من الجذام وقيل النورة في كل شهر مرة تطفئ الحرارة وتنقي اللون وتزيد
في الجماع وقيل بولة في الحمام قائما في الشتاء أنفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد
الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من
النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال
. واما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام وفي
البيت مستحم والمشهور انه حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المرأة
دخول الحمام الا نفساء أو مريضة ودخلت عائشة رضي الله عنها حماما من سقم بها
فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام
فيكون معينا لها على المكروه

(النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الاجزاء وهي ثمانية)

الاول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله
الا اذا تركه قزعا أي قطعا وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الذوائب على هيئة أهل
الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان تلبيسا الثاني شعر
الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم قصوا الشارب وفي لفظ آخر جزوا الشوارب وفي لفظ
آخر احفوا الشوارب واعفوا اللحى أي اجعلوها حفافي الشفة أي حولها وحاف الشئ
حوله ومنه وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ آخر أحفوا وهذا يشعر
بالاستئصال وقوله حفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل ان يسئلكموها فيحفكم
تبخلوا أي يستقصي عليكم واما الحلق فلم يردوا الاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة
نظر بعض التابعين رجلا أحفى شاربه فقال ذكرتني أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال المغيرة بن شعبة نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال
تعال فقصه لي على سواك ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره
لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله صلى الله عليه وسلم
اعفوا عن اللحى كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم
وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة * الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل أربعين
يوما مرة وذلك سهل على من تعود نتفه في الابتداء فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ
في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك
بالحلق * الرابع شعر العانة ويستحب ازالة ذلك اما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغي أن تتأخر
عن أربعين يوما * الخامس الاظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما
يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اقلم اظفارك فان
الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لانه
لا يمنع وصول الماء ولانه يتساهل فيه للحاجة لاسيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي

الى تجتمع تحت البراجم وظهور الارجل والايدى للعرب واهل السواد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم ويكر عليهم ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يأمرهم باعادة الصلاة ولو امر به لكان فيه فائدة اخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار فى الكتب حرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه صلى الله عليه وسلم بدا بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر الى الابهام ولما تأملت فى هذا خطر لى من المعنى مادل على ان الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل اليه فالذى لاح لى فيه والعلم عند الله سبحانه انه لا بد من قلم اظفار اليد والرجل واليد اشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة اشرفها اذ هى المشيرة فى كلمتى الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغى ان يبدأ بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمين وان وضعت ظهر الكف على الارض فالابهام هو اليمنى وان وضعت الكف فالوسطى هى اليمنى واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمين الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع أولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع فى حكم حلقة دائرة فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى فيختم به القلم وانما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى يصير الاصابع كالاشخاص فى حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف او وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى عندى ان لم يثبت فيها نقل ان يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما فى التخليل فان المعانى التى ذكرناها لا تتجه ههنا اذ لا مسبحة فى الرجل وهذه الاصابع فى حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدأ من جانب اليمين فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق فى الترتيب تنكشف بنور النبوة فى لحظة واحدة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب فى ذلك ربما لم يخطر لنا واذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظن ان افعاله صلى الله عليه وسلم فى جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التى ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين او اقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعانى سجية اولياء الله تعالى وكل ما كانت حركات الانسان وخطراته الى الضبط اقرب وعن الاهمال والترك ابعد كانت مرتبته الى رتبة الانبياء والاولياء اكثر وكان قربه من الله عز وجل اظهر اذ القريب من النبى صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله

لا بد

لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا فى ناصية الشيطان بواسطة الهوى ولنبين عن ضبط الحركات بالاكتحال صلى الله عليه وسلم فانه كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين فبدأ باليمين لشرفها وتفاوته فى العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا على الزوج فان الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغى أن يخلو فعل العبد من مناسبة لوصف من اوصاف الله تعالى ولذلك استحب الايتار فى الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب اصول الاجفان بالكحل وانما خص اليمين لان التفضيل لا بد منه للايتار واليمين افضل فهى بالزيادة أحق اه فان قلت فلما اقتصر على اثنين لليسرى وهى زوج فالجواب أن ذلك ضرورة اذ لو جعل لكل واحد وترا كان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار فى مجموع الفعل وهو فى حكم الجملة الواحدة أحب من رعايته فى الاحاد ولذلك أيضا وجه وهو ان يكتحل فى كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك فى الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصى دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته لطال الامر فقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم الا اذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه و بين النبى صلى الله عليه وسلم الا درجة واحدة وهى درجة النبوة وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعانى مع سهولة أمرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار لا يستقل بدركها ابتداء الا الانبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبياء عليها الا العلماء الذين هم ورثة الانبياء عليهم السلام. السادس والسابع زيادة السرة وقلفة الحشفة أما السرة فتقطع فى اول الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير الى ان يثغر الولد أحب وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء وينبغى أن لا يبالغ فى خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لام عطية وكانت تخفض يا ام عطية اشمى ولا تنهكى فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج أى اكثر لماء الوجه ودمه واحسن فى جماعها فانظر الى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم فى الكناية والى اشراق نور النبوة فى مصالح الاخرة التى هى أهم مقاصد النبوة والى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو امى من هذا الامر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم. الثامنة ما طال من اللحية وانما اخرناها لنلحق بها ما فى اللحية اذ هذا القرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية احب لقوله

خمس منها في الرأس فرق شعر الرأس والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب وأربعة في الجسد وهي تنظيف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطرق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله عز وجل ٭ تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه و يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

٭(كتاب اسرار الصلاة ومهماتها)٭

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه الذي تنزل عن عرش الجلال الى السماء الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم احسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما (أما بعد) فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين تمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا له اليها يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب نقتصر على ما لابد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب (الباب الاول) في فضائل الصلاة (الباب الثاني) في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلاة (الباب الثالث) في تفصيل الاعمال الباطنة منها (الباب الرابع) في الامامة والقدوة (الباب الخامس) في صلاة الجمعة وآدابها (الباب السادس) في مسائل متفرقة تعم بها البلوى (الباب السابع) في التطوعات وغيرها

(الباب الاول) في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والاذان وغيرها

٭(فضيلة الاذان)٭

قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم حساب

ولا يبالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عزوجل وأم بقوم وهم به راضون ورجل أذن في مسجد ودعا الى الله عزوجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع نداء المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه وقيل في تفسير قوله عزوجل ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك محبوب مستحب الا في الحيعلتين فانه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وفي قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته انك لا تخلف الميعاد وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة

(فضيلة المكتوبة)

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شئ قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوة الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال صلى الله عليه وسلم ان الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشئ من حسناته وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسئل صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شئ أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد كفر أي قارب أن ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام وقال أبو هريرة رضي الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه في صلاة ما كان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدى

خطوته حسنة وتمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع أحدكم الاقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فان أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أباهريرة قال من أجل كثرة الخطا وروى ان أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم يا أباهريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها

(فضيلة اتمام الاركان)

قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وأشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم شر الناس سرقة الذي يسرق من صلاته وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين

(فضيلة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم صلاة الجمع تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى ابو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم وفي رواية اخرى ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين حسنتين لشهدها يعني صلاة العشاء وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة في جماعة فقد ملئ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وأنا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلاثة أخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروى أن أبا عبيدة أم قوما مرة فلما انصرف

قال مازال الشيطان بي آنفا حتى رايت أن لي فضلا على غيري لا أؤم أبدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو اسحاق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنه من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال أبو هريرة رضي الله عنه لان تملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب وروى أن ميمون ابن مهران أتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة ما كان أعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

(فضيلة السجود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله بشئ أفضل من سجود خفي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة وروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدع الله ان يجعلني من اهل شفاعتك وان يرزقني مرافقتك في الجنة ويجعلني من اهل شفاعتك فيها قال صلى الله عليه وسلم اعني بكثرة السجود وقيل اقرب ما يكون العبد من الله تعالى ان يكون ساجدا وهو معنى قوله عز وجل واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من اثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت انا بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن على بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الصحة قبل المرض فما بقى أحد أحسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما أسا على شئ من الدنيا الا السجود وقال عقبة ابن مسلم ما من خصلة في العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله

عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب الى الله عز وجل منه حين يخر ساجدا وقال أبو هريرة رضي الله عنه أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك

(فضيلة الخشوع)

قال الله تعالى وأقم الصلاة لذكري وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال عز وجل لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة وقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة أنه قال ليس كل مصل اتقبل صلاته انما اتقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي وقال صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه واذا صليت فصل صلاة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال عز وجل يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة سمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث بالحصى وقيل لخلف بن ايوب الا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها قال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة وروى عن مسلم بن يسار انه

كان اذا اراد الصلاة قال لاهله تحدثوا انتم فانى لست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له مالك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملتها ويروى عن على بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ماهذا الذى يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدى من اريد ان اقوم ويروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال قال داود صلى الله عليه وسلم فى مناجاته الهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة فأوحى الله اليه يا داود انما يسكن بيتى واقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من اجلى يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذى يضئ نوره فى السموات كالشمس ان دعانى لبيته وان سألنى اعطيته اجعل له فى الجهل حلما وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا وانما مثله فى الناس كالفردوس فى اعلى الجنان لا تيبس انهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الاصم رضى الله عنه انه سئل عن صلاته فقال اذا جاءت الصلاة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذى اريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم اقوم الى صلاتى واجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت وراءى واظنها آخر صلاتى ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق واقرا قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك الايسر وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادرى اقبلت منى ام لا وقال بن عباس رضى الله عنه ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

(فضيلة المسجد وموضع الصلاة)

قال الله عز وجل "انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر" وقال صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من الف المسجد الفه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد وقال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلى على احدكم مادام فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له مالم يحدث او يخرج من المسجد وقال صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان ناس من امتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل فى بعض الكتب ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس فى

المسجد فانما يجالس ربه فما حقه أن يقول الا خيرا وروى فى الاثر أو الخبر الحديث فى
المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعى كانوا يرون أن المشى فى
الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من اسرج فى مسجد سراجا لم
تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام فى ذلك المسجد ضوؤه وقال على كرم الله
وجهه اذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت
عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكى عليه الارض أربعين
صباحا وقال عطاء الخراسانى ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع
الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك
ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر الا افتخرت على ما حولها
من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع أرضين
وما من عبد يقوم يصلى الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه
قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم او يلعنهم

(الباب الثانى) فى كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله
ينبغى للمصلى اذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثياب
وستر العورة من السرة الى الركبة أن ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح بين
قدميه ولا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى صلى الله
عليه وسلم عن الصفن والصفد فى الصلاة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه
قوله تعالى مقرنين فى الاصفاد والصفن هو رفع أحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل
الصافنات الجياد هذا ما يراعى فى رجليه عند القيام ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه
الانتصاب وأما رأسه ان شاء تركه على استواء القيام وان شاء أطرق والاطراق أقرب
للخشوع وأغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذى يصلى عليه فان لم يكن
له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع
تفرق الفكر وليحجر فيه على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط وليدم هذا
القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا أدب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله
واطراقه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا به من الشيطان ثم ليأت بالاقامة
وان كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولا ثم ليحضر النية وهو أن ينوى فى
الظهر مثلا ويقول بقلبه أؤدى فريضة الظهر لله ليميزها بقوله أؤدى عن القضاء
وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معانى هذه الالفاظ حاضرة فى
قلبه فانه هو النية والالفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجتهد أن يستديم ذلك
الى آخر التكبير حتى لا يعزب فاذا حضر فى قلبه ذلك فليرفع يديه الى حذو منكبيه بحيث
يحاذى بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤس أصابعه رؤس اذنيه ليكون جامعا
بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها
ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل فى الاثر النشر والضم

وهذا

وهذا بينهما فهو أولى واذا استقرت اليدان فى مقرهما ابتدأ التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمين بأن تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالابهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روى أن التكبير مع رفع اليد ومع استقرارها ومع الارسال فكل ذلك لا حرج فيه وأراه بالاسترسال أليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى فى صورة العقد ومبدأه الارسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الالف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغى أن يرفع يديه الى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفى بعض الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا كبر أرسل يديه واذا أراد ان يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغى أن يضم الهاء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا كأنه يقول أكبار ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه

(القراءة)

ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقيب قوله الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وجهت وجهى الى قوله وأنا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين مفترقات ما ورد فى الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرأ فيها الفاتحة ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يبتدئ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين فى آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل امين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة فى الصبح والمغرب والعشاء الا أن يكون مأموما ويجهر بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث ايات من القرآن فما فوقها ولا يصل اخر السورة بتكبيرة الهوى بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ فى الصبح من السور الطوال من المفصل وفى المغرب من قصاره وفى الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفى الصبح فى السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك فى ركعتى الفجر والطواف والتحية وهو فى جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا فى أول الصلاة

(الركوع ولواحقه)

ثم يركع ويراعى فيه امورا وهو أن يكبر للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه فى الركوع واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد

طهره مستويا وان يكون عنقه ورأسه مستويا مع طهره كالصفيحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا ارفع وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المرأة مرفقيها الى جنبيها وأن تقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة التسبيح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود

(السجود)

ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغي أن يكون أول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدها وجهه وان يضع انفه على الارض مع جبهته ويجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ويكون في سجوده مخويا على الارض ولا تكون المرأة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الفخذين وان يضع يديه على الارض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليهما وان لم يضم الابهام فلا بأس ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حال الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث تكون هاء الله سبحانه عند استوائه جالسا وكاف أكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء أكبر في وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه الى القيام حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه وهو اقرب الى التعظيم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ في الابتداء

(التشهد)

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابعه اليمنى الا المسبحة ولا بأس بارسال الابهام أيضا ويشير بمسبحته يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وسننه كسنن الاول

لكن

لكن يجلس فى الاخير على وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع رأس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه من الجانب الآخر ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة وينوى الخروج من الصلاة بالسلام وينوى بالسلام من على يمينه من الملائكة والمسلمين فى الاولى وينوى مثل ذلك فى الثانية ويجزم التسليم ولا يمده مدا فهو السنة وهذه هيئة صلاة المنفرد . ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته الا بقدر ما يسمع روحه وينوى الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح وأولتى العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين فى الصلاة الجهرية وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معالا تعقيبا ويسكت الامام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب اليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ المأموم السورة فى الجهرية الا اذا لم يسمع صوت الامام ويقول الامام سمع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ولا يزيد الامام على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد فى التشهد الاول بعد قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويقتصر فى الركعتين الاخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه فى التشهد الاخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوى عند السلام السلام على القوم والملائكة وينوى القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه والاولى أن يثبت ان كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الامام حيث يشاء من يمينه وشماله واليمين أحب الى ولا يخص الامام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا ويجهر به ويؤمن القوم ويرفعون أيديهم حذاء الصدور ويمسح الوجه عند ختم الدعاء لحديث نقل فيه والا فالقياس أن لا يرفع اليد كما فى آخر التشهد

(المنهيات)

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن فى الصلاة والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلاة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم وهو ستر الوجه * أما الاقعاء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الارض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض منه الا رؤس أصابع الرجلين والركبتان وأما السدل فمذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص فى معناه فلا ينبغى أن يركع ويسجد ويداه فى بدن القميص

وقيل معناه أن يضع وسط الازار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والاول أقرب • وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه اذا أراد السجود وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه ان يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكف • واما الاختصار فأن تضع يديه على خاصرتيه • واما الصلب فأن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويجافي بين عضديه في القيام • واما المواصلة فهي خمسة اثنان على الامام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما ان لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما • وأما الحاقن ففي البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع من الخشوع وفي معناه الجائع المهموم ويفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء واقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء الا أن يضيق الوقت والغرض أن يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وفي الحديث سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشئ وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصاء وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك ونهي أيضا عن أن يشبك أصابعه أو يفرقع أصابعه أو يستر وجهه أو يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره أيضا أن ينفخ في الارض عند السجود للتطهير وأن يسوي الحصا بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه الى حائط فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالاظهر بطلان صلاته والله اعلم

• (تمييز الفرائض والسنن) •

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيئات مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعي جميعها • فالفرض من جملتها اثنا عشر خصلة النية والتكبير والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع على أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فأما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض • أما السنن من الافعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع الى القيام والجلسة للتشهد الاول فأما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة

والاطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول السنة في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم تفرد بذكر ❊ واما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السوره ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في اخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ تجبر اربعة منها بسجود السهو ❊ واما من الافعال فواحده وهي الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاه في أعين الناظرين حتى يعرف بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود وأما الاذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو الا ثلاثة القنوت والتشهد الاول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالفان للعاده ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا تغير صوره العبادة ❊ واما الجلسة للتشهد الاول ففعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركها ظاهر التأثير ❊ وأما دعاء الاستفتاح والسوره فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الاخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكنه شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاه فان قلت تمييز السنن عن الفرائض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتها ولنكشف ذلك لك بمثال وهو أن الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواتها وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والاهداب وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العباده صورة صورها الشرع تعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطن الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص

كما سيأتي وبعض الآن في اجزائها الظاهرة والركوع والسجود والقيام وسائر الاركان تجرى منها مجرى القلب والرأس والكبد اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التى ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الاول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين لا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف * وأما الهيآت وهى ما وراء السنن فتجرى مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون * وأما وظائف الاذكار فى تلك السنن فهى مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها فان أحسنت فلنفسك وان أسأت فعليها ولا ينبغى أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة الا أنه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهى قول الطبيب ان فقء العين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب فى قبول السلطان اذا أخرجه فى معرض الهدية فهكذا ينبغى ان تفهم مراتب السنن والهيآت والآداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهى الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتنى فطالع الاخبار التى اوردناها فى كمال اركان الصلاة ليظهر لك وقعها

(الباب الثالث) فى الشروط الباطنة من اعمال القلب ولنذكر فى هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعانى الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغى ان يحضر فى كل ركن من اركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة

* (بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب) *

اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى أقم الصلاة لذكرى وظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهى وظاهره التحريم وقوله عز وجل حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفى وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما اراد به الا الغافل وقال صلى الله عليه

وسلم

وسلم ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها والتحقيق فيه ان المصلى مناج ربه عزوجل كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكاة ان غفل الانسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام كان القلب حاضرا مع افعاله اولم يكن اما الصلاة فليس فيها الاذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فانه مجاورة ومناجاة مع الله عزوجل فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا ومجاورة او المقصود منه الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك فى الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك أنّ هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث أنه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما فى الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فأى سؤال فى قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل أقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا وأثنى عليه واسئله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارّا فى يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه مالم يكن هو حاضرا فى قلبه فلو كان تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارّا فى يمينه ولا شك فى أنّ المقصود من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عزوجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عزوجل ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخصية لا سبيل الى انكارها فى النطق وتمييزها عن العقل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز أن يكون معظما لله عزوجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث اعمالها الظاهرة الا أن يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى

ان يسأل الله محوها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الاوامر هى المطلوبة فكيف الامر فى الصلاة ولا أرب فى أفعالها فهذا ما دل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قلت ان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير فاعلم أنه قد تقدم فى كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فأما انه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الاجماع فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكى عن سفيان الثورى قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له وروى أيضا مسندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء أنه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى أدلة الشرع والاخبار والآثار ظاهرة فى هذا الشرط الا ان مقام الفتوى فى التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب فى جميع الصلاة فان ذلك لا يعجز عنه كل البشر الا الاقلون واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة واذا تعارض اسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعده فى الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة المفتى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا فى باب الفرق وبين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام

ان

أن حضور القلب هو روح الصلاة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في آخر الصلاة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها الا عند التكبير كمثل حي لا حراك به نسأل الله حسن العون

﴿بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة﴾

اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ستة جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها * أما التفاصيل * فالاول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شئ فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردنا بالتفهم وهذا المقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معاني لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم أمورا تلك الامور تمنع عن الفحشاء لا محالة وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب غيره بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما * وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشأه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال * وأما الرجاء فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل * وأما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب * وأما أسباب هذه المعاني الستة * فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء ام أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة اليه فلم تتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وان الصلاة وسيلة اليها فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك

والمكروب والمفزع والمضطر فلا تظن أن له سبباً سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في
تقويته الإيمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع * وأما التفهم فسببه بعد
حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار
القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع
موادها أعني النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها وما لم تنقطع تلك
المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئاً أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على
القلب بالضرورة فكذلك من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر * وأما التعظيم
فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته
وهو من أصول الإيمان فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لعظمته الثانية
معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوباً حتى تتولد من المعرفتين
الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة
حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فإن المستغني عن غيره
الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم
حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه * وأما
الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع
قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة
ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على
خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة
وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات * وأما الرجاء فسببه معرفة
لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة
بالصلاة فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة وأما
الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل
ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى
الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه
مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً
انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحيا فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله
فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب
الإيمان واليقين أعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقيناً انتفاء الشك
واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب
ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه
فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي أن الله سبحانه أوحى إلى موسى
عليه السلام يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري
خاشعاً مطمئناً وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدي فقم قيام

العبد الذليل وناجى بقلب وجل ولسان صادق وروى ان الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لا يذكرونى فانى آليت على نفسى أن من ذكرنى ذكرته فاذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة هذا فى عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعانى التى ذكرناها فى القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها والى من يتمم ولم يغب قلبه فى لحظة بل ربما كان مستوعب الهم به بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد فى همم الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمة ويخرج ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه عن ثوبه والحاضرين حواليه ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه ويموت على ماعاش عليه ويراعى فى ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

(بيان الدواء النافع فى حضور القلب)

اعلم أن المؤمن لا بد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء فى احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشئ الا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر اما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا فى ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الاسباب بأن يغض بصره او يصلى فى بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهم والاقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر

ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم
وشمالهم وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع السجود مصحفا ولا سيفا إلا نزعه
ولا كتابا إلا محاه وأما الأسباب الباطنة فهي أشد فإن من تشعبت به الهموم في أودية
الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر
لا يغنيه فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى
فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم
بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهول
المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه
خاطره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة إني نسيت أن أقول لك
أن تخمر القدر الذي في البيت فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن
صلاتهم فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء
المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذي يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر
في الأمور الصارفة عن إحضار القلب ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت
مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل
ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فإمساكه أضر عليه من إخراجه
فيتخلص منه بإخراجه كما روي أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التي أتاه بها أبو جهم
وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا بها إلى أبي جهم
فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي وائتوني بأنبجانية أبي جهم وأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد
الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلا فأعجبه فسجد وقال تواضعت
لربي عز وجل كي لا يمقتني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ثم أمر عليا رضي الله
عنه أن يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان صلى الله عليه وسلم في يده
خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم
وروي أن أبا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا
فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من
الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل آخر أنه صلى في حائط
له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه
وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا فكانوا يفعلون
ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة
العلة ولا يغني غيره فإن ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع
في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلب فأما الشهوة القوية المرهقة
فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك
في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير

تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده و يعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا اسير السوانى ولا ينقطع فان أردت الخلاص فاقطع الشجره فكذلك شجرة الشهوات اذا تشعبت وتفرعت أعضانها انجذب اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول فى دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمى ذبابا فكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقل ما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شئ منها لا للتزود منها ولا ليستعين به على الآخرة فلا يطمعن فى ان تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة فان من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه و بمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغى أن يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلاة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع و بقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها او ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان

(بيان تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلاة)

فنقول حقك ان كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة وأركانها أما الشروط والسوابق فهى الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فأحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك و باطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوأ بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم العطاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أرحنا يا بلال أى أرحنا بها وبالنداء اليها اذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم واما الطهارة فاذا أتيت بها فى مكانك وهو طرفك الابعد ثم فى ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم فى بشرتك وهو قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك فى المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك

وأما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك فى عورات باطنك وفضائح سرائرك الذى لا يطلع عليه الا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها فى قلبك

انبعاث وجود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل به نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسئ الآبق الذى ندم فرجع الى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف * وأما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب من سائر الامور الى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب فانها اذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته امه * وأما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل فليكن رأسك الذى هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطئا متنكسا وليكن رفع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرئ عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم فى الحال انك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب فى أن يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعى معرفة الله وحبه أفلا تستحيى من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أو تخشى الناس ولا تخشاه وهو أحق أن تخشاه ولذلك لما قال أبو هريرة كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحيى منه كما تستحيى من الرجل الصالح من أهلك . وأما النية فاعزم على اجابة الله عز وجل فى امتثال أمره بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة منه باذنه اياك فى المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم فى نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا تناجى وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فان كان فى قلبك شئ هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما يشهد على المنافقين فى قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل وأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم

الخطر

الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه * وأما دعاء
الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وليس
المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن
أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذى تتوجه به الى
فاطر السموات والارض فانظر اليه أمتوجه الى أمانيه وهمه فى البيت والسوق متبع
للشهوات أو مقبل على فاطر السموات واياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب
والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله تعالى الا بانصرافه عما سواه فاجتهد فى الحال
فى صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقا واذا قلت حنيفا
مسلما فينبغى أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن
كذلك كنت كاذبا فاجتهد فى أن تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ما سبق من
الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فأخطر ببالك الشرك الخفى فان قوله تعالى فمن
كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد
بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا متقيا من هذا الشرك واستشعر الخجلة فى قلبك
ان وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم
الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياى ومماتى لله فاعلم ان هذا حال عبد
مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته
فى الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك
على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها
ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل
لا بمجرد قولك فان من قصده سبع اوعدو ليفترسه اوليقتله فقال اعوذ منك بهذا
الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ذلك لا ينفعه بل لا يفيده الا تبديل المكان
فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد
القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه
لا اله الا الله اذ قال عز وجل فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله حصنى
فمن دخل حصنى امن من عذابى والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه فأما من
اتخذ الهه هواه فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن الله عز وجل واعلم ان من مكايده
ان يشغلك فى صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرا فاعلم
ان كل ما يشغلك عن فهم معانى قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة
بل المقصود معانيها * فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل
ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهو
درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعانى اولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه
ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم

ترجمان يسمع القلب ولا يتبعه القلب وتحصل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن
الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم ان معناها ان الامور كلها
بالله سبحانه وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله سبحانه فلا جرم كان
الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله
سبحانه بشكره لا من حيث انه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر
التفاته الى غير الله تعالى فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك جميع انواع لطفه
لتتضح لك رحمته وينبعث به رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم
الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو
مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول
والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة
اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت
من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن
الرحيم ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب
الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى
مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين افاض عليهم نعمة الهداية
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار
والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة
كذلك فيشبه ان تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه
وسلم قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل
يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي واثنى علي وهو
معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله
لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك
ينبغي ان تفهم ما تقرؤه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن امره ونهيه
ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه ولكل واحد حق فالرجاء
حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر
حق المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء وروي ان زرارة بن اوفى لما انتهى الى قوله تعالى
فاذا نقر في الناقور خر ميتا وكان ابراهيم النخعي اذا سمع قوله تعالى اذا السماء انشقت
اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي مغلولا وحق
له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر
ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء
القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات
فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيئة في القراءة فيرتل
ولا يسرد فان ذلك ايسر للتأمل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد

والتحميد

والتحميد والتعظيم والتمجيد كان المحيى "اذا مر بمثل قوله عز وجل" ما اتخذ الله من ولد وما
كان معه من اله يخفض صوته كالمستحيي من أن يذكره بكل شئ لا يليق به وروى أنه
يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، وأما دوام القيام فانه
تنبيه على اقامة القلب مع الله عز وجل" على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل" مقبل على المصلى مالم يلتفت وكما تجب حراسة الرأس والعين عن
الالتفات الى الجهات وكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلاة فاذا
التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى
ليعود اليه وألزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع
ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصليا يعبث
بلحيته أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعى ولهذا ورد فى الدعاء
اللهم أصلح الراعى والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضى الله عنه فى صلاته
كأنه وتد وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث
تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا
وكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدى
غير الله عز وجل" خاشعا وتضطرب اطرافه بين يدى الله فذلك لقصور معرفته عن
جلال الله عز وجل" وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة فى قوله عز وجل
الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين. قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه.
وأما الركوع والسجود فينبغى أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك
مستجيرا بعفو الله عز وجل" من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم
ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك
وتستشعر ذلك وعزه ولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك
بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل شئ عظيم وتكرر ذلك على
قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا انه راحم ذلك ومؤكدا للرجاء
فى نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أى أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضى
للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الارض ثم تهوى الى
السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء
وهو التراب وان أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه أجلب
للخشوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها
ورددت الفرع الى أصله وأنك من التراب خلقت واليه تعود فعند هذا جدد على قلبك
عظمة الله وقل سبحان ربى الاعلى وأكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الآثار
فاذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك فى رحمة الله فان رحمته تسارع الى الضعف
والذل لا الى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم
وتجاوز عما تعلم أو ما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا

كذلك ٥ وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي من الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق املك في أنه سلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل ان يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه باعادة كلمتي الشهادة ومستأنفا للتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين واقصد عند السلام السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلاتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه صل صلاة مودع ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك ورجوع ذلك أن يقل لها بكرمه وفضله كان يحيى ابن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان ابراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض وهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلوات فبالقدر الذي يسر له منه ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي أن يجتهد ٥ وأما صلاة الغافلين فهي مخطرة الا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات واخلاصها لوجه الله عز وجل وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلوب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلاة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال تعالى واسجد واقترب وانما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف أيضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من أفعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعيين تلك المعاني في كل وقت أسباب خفية لا تحصى وأشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا ترأى

الا في المرائي الصقيلة وكانت المرآة كالها صدية فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لحبث متراكم الصدى على مصب الهداية تسارعت الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لأنكر امكان وجود الانسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز مّا ربما أنكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوّة وقد خلق الخلق أطوارا فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوّشة ولم يطلبوها من تصفية القلب عما سوى الله عز وجل فقدوه فأنكروه ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من ان يؤمن بالغيب ويصدّق به الى أن يشاهد بالتجربة ففي الخبر انّ العبد اذا قام في الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمّنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البرّ من عنان السماء الى مفرق رأسه وينادي مناد لو علم هذا المناجي من يناجي ما التفت وانّ أبواب السماء تفتح للمصلين وأنّ الله عز وجل يباهي ملائكته بعبده المصلي ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يديّ مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال فكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنوّ الربّ سبحانه من القلب واذا لم يكن هذا الدنوّ هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنوّ بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة ألف ملك وذلك أن العبد قد جمع في الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرّق الله ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيامة وهكذا الراكعون والقاعدون فان ما رزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمرّ على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ولذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملائكة في الترقي من درجة الى درجة فانه لا يزال يتقرّب الى الله تعالى فيستفيد قربة اذ باب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لكل واحد الا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها فلا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله عز وجل قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم بالفلاح أوّلا وبوراثة الفردوس آخرا وما عندي أن هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي الى هذا الحدّ ولذلك قال الله

عز وجل في أضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى

٥(حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين رضي الله عنهم)٥

اعلم أن الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روي عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه الى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعا له وكان الربيع ابن خثيم من شدة غضه لبصره واطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا رأته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الأعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ آخر لأحبك وفي لفظ آخر لضحك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الأكوار تنفخ والى النار تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى مثل الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها الا ما أقول وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين وكان اذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلاة بشئ قال نعم بوقوفي بين يدي الله عز وجل ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيئا مما نجد من أمور الدنيا فقال لان تختلف الأسنة في أحب الي من أن أجد في صلاتي ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم وبلغنا انه لم يشعر بسقوط اسطوانة المسجد وهو في الصلاة وأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه فقطعت وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فاذا دخلت في الصلاة خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك بشئ من الدنيا في الصلاة فقال لا في الصلاة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيأ فقال وهل شئ أحب الي من الصلاة فأذكره فيها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروي أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها فقيل له

خففت يا أبا اليقظان فقال هل رأيتموني نقصت من حدودها شيأ قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عز وجل فيها وسئل أبو العالية عن قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو عن صلاته فلا يدري على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في أول الوقت لم يفرح وان أخرها عن أول الوقت لم يحزن فلا يدري تعجيلها خيرا ولا تأخيرها اثما واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاة في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا بأداء ما افترضته عليه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فترك من قراءتها قراءة آية فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندري أنسخت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل على الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل الى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما يذهبون اليه وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها الى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينة لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فتدل هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على أن الاصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله أعلم نسأل الله حسن التوفيق بلطفه انه لطيف تواب

(الباب الرابع) في الامامة والقدوة

وعلى الامام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة وفي أركان الصلاة وبعد السلام

*(أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة) أولها أن لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم أهل الخير والدين

فالنظر إليهم أولى وفي الحديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الآبق وامرأة
زوجها ساخط عليها وإمام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك
ينهى عن التقدمة إن كان وراءه من هو أفقه منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم
فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة
ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل إن قوما تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم
وما روي من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضي الله عنهم فسببه إيثارهم من رأوه أولى
بها أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فإن الأئمة ضمناء وكان من لم يتعود
ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص في صلاته حياء من المقتدين لا سيما
في جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس * الثانية إذا خير
المريد بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن
الجمع مكروه بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى وقال
قائلون الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان ولقوله صلى الله عليه وسلم الإمام ضامن
والمؤذن مؤتمن فقالوا فيها خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم الإمام أمين فإذا ركع
فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فإن أتم فله ولهم وإن نقص فعليه لا عليهم ولأنه
صلى الله عليه وسلم قال اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين والمغفرة أولى بالطلب فإن
الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر من أم في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن
أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب وكذلك نقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم
كانوا يتدافعون الإمامة والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واظب عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما والأئمة بعدهم نعم فيها خطر الضمان والفضيلة
مع الخطر كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم من ذي
سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم
الأفضل والأفقه وقال صلى الله عليه وسلم أئمتكم شفعاؤكم أو قال وفدكم إلى الله فإن أردتم
أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء
ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله عز وجل وبين خلقه
هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم
أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا
لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بأنه
رضيه للأذان وما روي أنه قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة قال
كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن إماما قال لا أستطيع فقال صل بإزاء الإمام فلعله
ظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والإمامة إلى الجماعة وتقديمهم ثم بعد ذلك
توهم أنه ربما يقدر عليها * الثالثة أنه يراعي الإمام أوقات الصلوات فيصلي في أوائلها
ليدرك رضوان الله سبحانه ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا هكذا
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث إن العبد ليصلي الصلاة في آخر

وقتها

وقتها ولم تفته ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة
لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهي أفضل من كثرة
الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا
الثالث واذا حضر أربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وانما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن
ابن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال
فأشفقنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحسنتم هكذا فافعلوا وقد تأخر
في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في الصلاة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار
الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره * الرابعة أن يؤم مخلصا لله عز وجل ومؤديا
امانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته اما الاخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجرة
فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن ابي العاص الثقفي فقال اتخذ مؤذنا
لا يأخذ على الاذان أجرا فالاذان طريق الى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر
فان اخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان أو آحاد الناس
فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض أشد منها في التراويح وتكون
أجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على
نفس الصلاة واما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغائر
فالمترشح للامامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان
يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان
تذكر في اثناء صلاته حدثا او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه
ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في اثناء الصلاة فاستخلف
واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة وقال سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر
او معلن بالفسوق او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبد آبق * الخامسة ان لا يكبر
حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا امر بالتسوية قيل كانوا
يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة
والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس للصلاة ففي الخبر ليتمهل المؤذن
بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه
نهى عن مدافعة الاخبثين وأمر بتقديم العشاء طلبا لفراغ القلب * السادسة أن يرفع
صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه
وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا
فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الامام
فيبتدئ بعد فراغه والله أعلم * (وأما وظائف القراءة فثلاثة) * أولها أن يسر بدعاء
الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها في جميع الصبح وأولى

العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم
ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا ويجهر بسم الله الرحمن الرحيم
والاخبار فيه متعارضة واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر * الثانية أن يكون
للامام في القيام ثلاث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من
خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم
الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرؤا الفاتحة في سكوته واشتغلوا
بغيرها فذلك عليهم لا عليه والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة
في السكتة الاولى فاتحته وهي كنصف السكتة الاولى السكتة الثالثة اذا فرغ من
السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن
الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرأ فاتحة
الكتاب معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده او كان في السرية
فلا بأس بقراءته السورة * الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني ما دون
المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار
ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين او العشرين الى ان يختمها لان
ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر وانما كره
بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض
سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وروي انه صلى الله عليه
وسلم قرأ في الفجر آية من البقرة وهي قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وفي الثانية ربنا
آمنا بما انزلت وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب
بالطيب فقال احسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلاثين آية وفي العصر بنصف
ذلك وفي المغرب بأواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب
قرأ فيها بسورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى لا سيما اذا كثر
الجمع قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم
الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل
يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل
فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا
فقال أفتان انت يا معاذ اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها * (وظائف
الاركان ثلاثة) أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث فقد
روي عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام نعم
روي أيضا أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال
ما صليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب
قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا أنهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى الركوع والسجود عشرا عشرا وذلك حسن ولكن الثلاث اذا كثر الجمع
أحسن فاذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات
وينبغى أن يقول الامام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده * الثانية فى المأموم
ينبغى أن لا يسابق الامام فى الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود الا اذا
وصلت جبهة الامام الى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يهوى للركوع حتى يستوى الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة
على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الامام
وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الامام
وقد اختلف فى أن الامام فى الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة
وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى أن ذلك مع الاخلاص لا بأس به اذا لم يظهر تفاوت
ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعى فى ترك التطويل عليهم . الثالثة لا يزيد فى دعاء
التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه فى الدعاء بل يأتى بصيغة
الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لى فقد كره للامام أن يخص نفسه ولا بأس أن
يستعيذ فى التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح
الدجال واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمى مسيحا لانه يمسح
الارض بطولها وقيل لانه ممسوح العين أى مطموسها * (وأما وظائف التحلل فثلاثة) *
أولها أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة * الثانية ان يثبت عقيب
السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضى الله عنهما فيصلى
النافلة فى موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفى الخبر المشهور انه
صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت
ياذا الجلال والاكرام * الثالثة اذا وثب فينبغى ان يقبل بوجهه على الناس ويكره
للمأموم القيام قبل انفتال الامام فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما انهما صليا
خلف امام فلما سلما قالا للامام ما احسن صلاتك واتمها الا شئ واحد انك لما سلمت
لم تقبل بوجهك ثم قالا للناس ما احسن صلاتكم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم
ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة الصلوات
وأما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدنى ويؤمن
المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضى ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء
فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت
وما اشبه ذلك وقد روى حديث فى رفع اليدين فى القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك
وان كان على خلاف الدعوات فى آخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على
التوقيف وبينهما ايضا فرق وذلك ان للايدى وظيفة فى التشهد وهو الوضع على الفخذين
على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا يبعد ان يكون رفع اليدين هو الوظيفة فى

القنوت فانه لا دى بالدعاء والله اعلم فهذه جمل آداب الغدوة والامامة والله الموفق

(الباب الخامس) فى فضل الجمعه وآدابها وسننها وشروطها

(فضيلة الجمعه)

اعلم ان هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعه فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع فحرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعى الى الجمعه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعه ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفى لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعه ولا جماعة فقال فى النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول فى النار وفى الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعه فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اولى الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع وفى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اتانى جبرائيل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم أعطاه الله سبحانه اياه أوليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه أو تعوّذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله عز وجل من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من المسك ابيض فاذا كان يوم الجمعه نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعه فيه خلق آدم عليه السلام وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى فى الجنة وفى الخبر ان لله عز وجل فى كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وفى حديث انس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة الا فى يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعه فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعه أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر

(باب شروط الجمعه)

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات فى الشروط وتتميز عنها بستة شروط * الاول الوقت فان وقعت تسليمة الامام فى وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف * الثانى المكان فلا تصح

فى الصحارى والبرارى وبين الخيام بل لا بدّ من بقعة جامعة لابنية لا تنقل بجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استئذانه * الثالث العدد فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد اما فى الخطبة أو فى الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بدّ منهم من الاول الى الآخر * الرابع الجماعة فلو صلى أربعين فى قرية أو فى بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا أدرك الركعة الثانية جازله الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام يتمها ظهرا * الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى فى ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم فى جامع واحد جاز فى جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التى يقع بها التحريم أولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلاة خلف الافضل من الامامين فان تساويا فالمسجد الاقدم فان تساويا ففى الاقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى * السادس الخطبتان وهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفى الاولى اربع فرائض التحميدة وأقله الحمد لله والثانية الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا فرائض الثانية أربعة الا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الاربعين

(وأما السنن)

فاذا زالت الشمس واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا أقبل عليهم بوجهه ويردّون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا وشمالا ويشغل يديه بقائمة السيف أو العنزة والمنبر كيلا يعبث بهما أو يضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ آية فى الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والامام يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسنة ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة وأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على ذكر بالغ عاقل مسلم حرّ مقيم فى قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو فى قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ويرخص لهؤلاء فى ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم ثم يستحب لهم اعنى اصحاب الاعذار تأخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة فان حضر الجمعة مريض او مسافر أو عبد او امرأة صحت جمعتهم واجزأت عن الظهر والله اعلم

(بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهى عشر جمل)

الاول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء
والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة
في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطي من
ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس و يوم الجمعة و يغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها
ويعد الطيب ان لم يكن عنده و يفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة
و ينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم الخميس
أو السبت لا مفردا فانه مكروه و يشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها
فضل كثير و ينسحب عليها فضل يوم الجمعة و يجامع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة
فقد استحب ذلك قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وابتكر
وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف
واغتسل لجسده وبهذا يتم آداب الاستقبال و يخرج من زمرة الغافلين الذين اذا أصبحوا
قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها
من الامس وأخسهم نصيبا من اذا أصبح يقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة
في الجامع لاجلها ⁂ الثاني اذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر
فأقربه الى الرواح احب ليكون أقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا
مؤكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب
على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما من أتى الجمعة
فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا
وكان أهل المدينة يتسابون بينهم فيقول أحدهما للآخر لأنت شر ممن لا يغتسل يوم
الجمعة وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة منكرا عليه
ترك البكور فقال ما زدت بعد أن سمعت الاذان على أن توضأت وخرجت فقال والوضوء
ايضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل وقد عرف جواز ترك
الغسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وبما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال من توضأ
يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء
على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له
الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة
على ولده وقد اغتسل فقال للجمعة فقال بل عن الجنابة فقال اعد غسلا ثانيا وروى
الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد ان يقال
المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء ايضا وقد جعل
للجمعة في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل
غسله والاحب ان يحترز عن ذلك ⁂ الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي
ثلاثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة فالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر
وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم

الجمعة اخرج الله عز وجل منه داء وادخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الخميس أو الاربعاء فقد حصل المقصود فليتطيب في هذا اليوم باطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة الى مشام الحاضرين في جواره وأحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفي ريحه روى ذلك في الاثر وقال الشافعي رضي الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البيض من الثياب اذ أحب الثياب الى الله تعالى البيض ولا يلبس مافيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة فان أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل الى الجمعة ولا في وقت الصلاة وعند صعود الامام المنبر في خطبته * الرابع البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى الصلاة قاصد المبادرة الى جواب نداء الله عز وجل الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شئ والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه أفضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الخبر ان الملائكة يفتقدون الرجل اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسئل بعضهم بعضا عنه مافعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فأغنه وان كان أخره مرض فاشفه وان كان أخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فأقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى في القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك وقيل هو أول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والاحد وطلاب

الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الاسواق للبيع والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ويقال ان الناس يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود رضي الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتبا لها رابع أربعة وما رابع أربعة من البكور ببعيد ٥ الخامس في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس وروى ابن جريج مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد جمعت معكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم نرك تتخطى رقاب الناس اشارة به الى أنه أحبط عمله وفي حديث مسند أنه قال ما منعك أن تصلي معنا قال أولم ترني يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم رأيتك آنيت وآذيت أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي أن لا يسلم لانه تكليف جواب في غير محله ٥ السادس ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس هو الى قرب اسطوانة او حائط حتى لا يمرون بين يديه أعني بين يدي المصلي فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لأن يقف أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدي المصلي وقال صلى الله عليه وسلم لأن يكون الرجل رمادا رمددا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي وقد روي في حديث آخر في المار والمصلي حيث صلى على الطريق أو قصر في الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي ما عليه في ذلك لكان ان يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه والاسطوانة والحائط والمصلي المفروش حد للمصلي فمن اجتاز به فينبغي ان يدفعه قال صلى الله عليه وسلم ليدفعه فان ابى فليدفعه فان أبى فليقاتله فانه شيطان وكان ابو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه وربما تعلق به الرجل فاستعدا عليه عند مروان فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده ٥ السابع أن يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه وفي الحديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام وفي لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الاول عن ثلاثة امور اولها انه اذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب عليه الانكار فالتأخر له أسلم وأجمع للهم فعل ذلك

جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد وأشار به الى أن ذلك أسلم لقلبه ونظر سفيان الثورى الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من أبى جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبى قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك انكاره ولا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد قال يا أبا عبد الله أليس فى الخبر ادن فاستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان أقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب أبى الدرداء فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم الا أن هذه الامّة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تأخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات ثانيها ان لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة وكان الحسن وبكر المزنى لا يصليان فى المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلاطين وهى بدعة احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين فى المقصورة ولم يكرهوا ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع لا توجب كراهية وثالثها أن المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثورى يقول الصف الاول هو الخارج بين يدى المنبر وهو مستحب لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة فى الاسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب * الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بسجود عند قيام المؤذنين ولا يثبت له أثر ولا خبر ولكنه ان وافق سجود تلاوة فلا بأس به للدعاء لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا يثبت تحريمه وقد روى عن علىّ وعثمان رضى الله عنهما من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يسمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت أو مه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على انّ الاسكات ينبغى أن يكون باشارة أو رمى حصاة لا بالنطق وفى حديث أبى ذر أنه لما سأل أبيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فأومأ اليه ان اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال له أبي اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبي وإن كان بعيدا من الامام فلا ينبغي أن يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان كل ذلك يتسلسل ويفضي إلى همهمة حتى ينتهي إلى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كان تكره الصلاة في وقت خطبة الامام فالكلام أولى بالكراهية وقال علي كرم الله وجهه تكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب * التاسع ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات وقبل أن يتكلم وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا وروى بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ستا والكل صحيح في أحوال مختلفة والاكمل أفضل * العاشر ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان اقام الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا الله عز وجل مفكرا في الائه شاكرا لله تعالى على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم

(بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة امور)

الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة قال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة

أخى نبى الله عز وجل * وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا فى مواضع قال تعالى وعلمك مالم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعنى العلم
فتعلم العلم فى هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص
اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع بكر ابن عمر رضى الله عنهما الى مجلسه
فى المسجد الجامع فاذا قاص يقص فى موضعه فقال قم عن مجلسى فقال لا أقوم وقد
جلست وسبقتك اليه فأرسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فأقامه ولو كان ذلك
فى السنة لما استحل اقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمنّ أحدكم أخاه من مجلسه
ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس
فيه حتى يعود اليه وروى أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضى الله عنها
فأرسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى فضربه ابن عمر حتى
كسر عصاه على ظهره ثم طرده الثانى أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففى
الخبر المشهور انّ فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئا
الا أعطاه وفى خبر آخر لا يصادفها عبد يصلى واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس
وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الامام المنبر وأخذ فى الخطبة وقيل
اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار وقيل قبل غروب
الشمس وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر الى
الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ فى الدعاء والاستغفار الى أن تغرب الشمس وتخبر
بأن تلك الساعة هى المنتظرة وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وسلم وعليها وقال بعض
العلماء هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعى على مراقبتها وقيل
انها تتنقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سرّ لا يليق
بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغى أن يصدّق بما قال صلى الله عليه وسلم انّ لربكم فى أيام
دهركم نفحات الا فتعرّضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغى أن يكون العبد
فى جميع نهاره متعرّضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع من وساوس الدنيا
فعساه يحظى بشئ من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار انها فى آخر ساعة من يوم
الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب
ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو فى الصلاة قال بلى قال
فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا الى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين
بحق هذا اليوم وهو أن يسألها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف
مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علىّ
فى يوم الجمعة ثمانين مرّة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة
عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وتعقد واحدة

وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضى ولحقه أداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جازيت نبيا عن أمته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وان أراد ان يزيد أتى بالصلاة المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع في أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من أهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين وعلى الجملة كلما أتى به من ألفاظ الصلاة ولو المشهورة في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف اليه الاستغفار فان ذلك أيضا مستحب في هذا اليوم ٭ الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روي عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطي نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب أن يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر ان قرأ بالليل او في ركعتي المغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة وله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال ان من قرأها في عشر ركعات او عشرين فهو أفضل من ختمه وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ألف مرة وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ سورا بأعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يقرؤهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الانسان ٭ الخامس الصلوات يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بذلك وفي حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى صلاهما فقال
الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع
ركعات بأربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة
لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور في ليلة الجمعة ففيه
فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمه ويكثر من قراءة سورة
الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها
وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس صلها في كل جمعة وكان ابن عباس
رضي الله عنه لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها
والاحسن أن يجعل وقته الى الزوال للصلاة وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد
العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة
فانها تتضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا
مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جانب أبي
فأعطى رجل أبي قطعة ليناوله اياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود اذا سأل الرجل
في المسجد فقد استحق أن لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره
الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا أن يسأل قائما أو قاعدا
في مكانه من غير تخطي وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق
بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما
ثم يقول اللهم اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي
القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئا الا أعطاه وقال بعض السلف
من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الامام
بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار ثم دعا
بما بدا له استجيب له السابع ان يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال
الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روي انه من سافر في ليلة الجمعة دعا
عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف
شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان
البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب
أو سبل في المسجد وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فان الله سبحانه
اذا أحب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله
في الاوقات الفاضلة بسيئ الاعمال ليكون أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت
وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات
ان شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى

(الباب السادس) في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد الى معرفتها فأما
المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه

٥(مسئلة)٥

العمل القليل وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار وقتل العقرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فاذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القمل في الصلاة حتى يظهر الدم على يديه وقال النخعي يأخذها ويوهمها ولا شيء عليه ان قتلها وقال ابن المسيب يأخذها ويخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الاحب الي أن يدعها الا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا أعوّد نفسي ذلك فتفسد علي صلاتي وقد سمعت أن الفساق بين يدي الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولم يحرك لسانه وان تجشى فينبغي أن لا يرفع رأسه الى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغي أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة

٥(مسئلة)٥

الصلاة في النعلين جائزة وان كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم ان جبرائيل عليه السلام أتاني فاخبرني أن بهما خبثا فاذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه فلينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالارض وليصل فيهما وقال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل لانه صلى الله عليه وسلم قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه صلى الله عليه وسلم سألهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم أنهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب أن النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فاذا فعل كليهما من خلع فلا ينبغي أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركه وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليه ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان اماما فللامام أن يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة

٥(مسئلة)٥

اذا بزق في صلاته لم تبطل صلاته لانه فعل قليل وما لا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس

على شكل حروف الكلام الا أنه مكروه فينبغي أن يحترز منه الا كما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه كما روى عنه صلى الله عليه وسلم فيه قال بعض الصحابة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ أثرها بزعفران ثم التفت الينا وقال ايكم يحب أن يبزق في وجهه فقلنا لا أحد قال فان احدكم اذا دخل في الصلاة فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل هكذا ودلك بعضه ببعض

(مسئلة)

الوقوف المقتدى سنة وفرض * أمّا السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهي خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يجرّ الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية * وأمّا الفرض فاتصال الصف وهو أن يكون بين المقتدى والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بنى له فلا يحتاج الى اتصال صف بل الى أن يعرف أفعال الامام * صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء متفرّق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وكفى بها رابطة اذ يصل فعل أحدهما فعل الآخر وانما يشترط اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها لاطئ المسجد فالشرط ان يمتد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدّم عليه وهكذا حكم الابنية المختلفة فامّا البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء

(مسئلة)

المسبوق اذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أوّل صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت في الصبح في آخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام وان أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها وان أدرك الامام في السجود أو التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما اذا أدركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوى لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الاصلية في الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا في الركوع والامام بعد في حدّ الراكعين فان لم يتم طمأنينته الا بعد مجاوزة الامام حدّ

الراكعين فاته الركعة

(مسئلة)

من فاته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر أولا ثم العصر فان اسد أبا العصر اجزاه ولكن ترك الاولى فاقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء أولى فان صلى منفردا في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة الوقت والله سبحانه يحتسب أيهما شاء فان نوى فائتة أو تطوعا جاز وان كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينو الفائتة أو النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة

(مسئلة)

من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة في اثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم والاحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النعلين حيث أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة

(مسئلة)

من ترك التشهد الاول او القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول أو فعل فعلا سهوا وكان يبطل الصلاة تعمده أوشك فلم يدر أصلى ثلاثا أو اربعا أخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام وأحدث بطلت صلاته فانه لما دخل في السجود كأنه جعل سلامه نسيانا في غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد الى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد او بعد طول الفصل فقد فات

(مسئلة)

الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي كان سفيها في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما الا اذا قام لشغل آخر أو في غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لا بد وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية

الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه الا انك دعيت الى أن تصلي في وقت دأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها وفرق بين حضور الشئ في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان وان التقدم للعدم وان التأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم الى المتقدم والمتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله اني أعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حالة واحدة فيفصلها بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه في النية كامتثال أمر غيره ثم أزيد عليه على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يتمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله الى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير وآخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مأمورا به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على أن الامر على التساهل وكيف ما تيسرت النية للموسوس ينبغي أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد في الوسوسة وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء الى معرفتها أما العامة فربما ضرها سماعه ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناه

(مسئلة)

لا ينبغي أن يتقدم المأموم على الامام في الركوع والسجود والرفع منهما ولا في سائر الاعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء فان ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه فان تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا أولى لان الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم وانما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له الا أن يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير فيه وقال أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل الامام

عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الاول

(مسئلة)

حق على من حضر الصلاة اذا رأى من غيره اساءة في صلاته ان يغيره وينكر عليه وان صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع رأسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور وقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود رضي الله عنه من رأى من يسيء صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد انه قال الخطيئة اذا أخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة وجاء في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر رضي الله عنه قال تفقدوا اخوانكم في الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا أصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي ان يتساهل فيه وقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه عن الصف ويدخل فيه أعني اذا لم يكن بالغا وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى والله الموفق بكرمه وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

(الباب السابع) في النوافل من الصلوات

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلاثة أقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لان السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثاله ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلاة بعينها وان ندب الى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وسميت الاقسام الثلاثة نوافل من حيث أن النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا

مشاحة فى الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاته
فى الفعل بحسب ماورد فيها من الاخبار والآثار المعرّفة لفضلها وبحسب طول
مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها أو بحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها
ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعة صلاة العيد
ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من
الرواتب على تفاوتها واعلم أن النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى ما يتعلق
بأسباب كالكسوف والاستسقاء والى ما يتعلق بأوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى
ما يتكرّر بتكرّر اليوم والليلة أو بتكرّر الاسبوع أو بتكرّر السنة فالجملة أربعة
أقسام

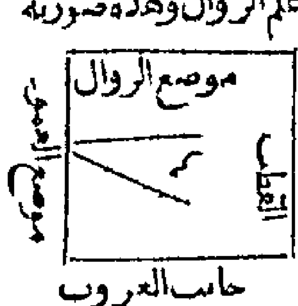
(القسم الاوّل ما يتكرّر بتكرّر الايام والليالى وهى ثمانية)

خمسة هى رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراءها وهى صلاة الضحى
واحياء ما بين العشاءين والتهجد من الليل

(الاولى) راتبة الصبح وهى ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير
من الدنيا وما فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل
وادراك ذلك بالمشاهدة عسير فى أوّله الا أن يتعلم منازل القمر او يعلم اقتران طلوعه
بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر فى ليلتين من
الشهر فان القمر يطلع من الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة
اثنى عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرّق اليه تفاوت فى بعض البروج وشرح ذلك
يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى
الصبح ويفوت وقت ركعتى الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن
السنة اداؤها قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فانّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من
المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح أنه أداء ما وقع قبل طلوع الشمس لانه تابع للفرض
فى وقته وانما الترتيب بينهما سنة فى التقديم والتأخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف
جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب ان يصليهما فى المنزل ويخففهما ثم يدخل
المسجد ويصلى ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلى الى أن يصلى المكتوبة وفيما بين الصبح
الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتى الفجر والفريضة

(الثانية) راتبة الظهر وهى ست ركعات ركعتان بعدها وهى أيضا سنة مؤكدة وأربع
قبلها وهى أيضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى أبو هريرة رضى الله عنه
عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن
قراءتهنّ وركوعهنّ وسجودهنّ صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل
وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعا بعد الزوال يطيلهنّ ويقول ان أبواب السماء
تفتح فى هذه الساعة وأحب أن يرفع لى فيها عمل رواه أبو أيوب الانصارىّ وتفرّد به

ودل عليه ايضا ماروت ام حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى في يوم اثنى عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال بن عمر رضي الله عنهما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ماذكرته ام حفصة رضي الله عنها الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم تكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني اختي حفصة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها فسارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مائلة الى جهة الشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط مائلا الى أحد الضلعين ثم ينتصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة وهو بازاء العلامة فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلا الى جهة المغرب في صوب الخط ثم لا يزال يميل الى أن ينطبق على خط بحيث لومد رأسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل الى أحدهما فاذا انتهى الظل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول الزوال في علم الله تعالى ثم تعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته في علم الزوال وهذه صورته



(الثالثة) راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعا ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر (الرابعة) راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن واقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة وغيره كان المؤذن اذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا فيسأل أصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة لمن شاء وكان أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما فتركتهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان اخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق وقع اداء ولكنه مكروه وأخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين .(الخامسة) راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهو الوتر ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل فاذا اختار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض وترك الآكد أبعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر . (السادسة) الوتر قال أنس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار اذا أراد أن يدخل فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما اذا زلزلت الارض وسورة التكاثر وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا

بسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بركعة وبثلاث وخمس وهكذا بالأوتار إلى احدى عشرة ركعة والرواية مترددة في ثلاث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة وكانت هذه الركعات أعني ما سميناه جملتها وترا صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي فضلها في كتاب الأوراد وفي الأفضل خلاف فقيل إن الإيتار بركعة فردة أفضل اذ صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الإيتار بركعة فردة وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما الإمام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فإن صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح أي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في أي وقت كان وانما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق اجماع الخلق في الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترا فأما اذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى بهما التهجد او سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما الوتر ما بعده ولكن الأظهر أن ينوي الوتر كما ينوي في الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان أحدهما أن يكون في نفسه وترا والآخر ان ينشأ ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث الا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم أن يوترهما بثالثة كان له أن ينوي بهما الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بأنفسهما ولكنهما موتران بغيرهما والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسيأتي في فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الأوراد * (السادسة) صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثماني ركعات روت أم هانئ أخت علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثماني ركعات أطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضي الله عنها فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله سبحانه فلم تحد الزيادة الا انه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروي في حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات وأما وقتها فقد روى علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ستا في وقتين اذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثاني من أوراد النهار كما سيأتي واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعا فالأول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار ربعه بإزاء صلاة العصر فان وقته أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال الى

المغرب وهذا أفضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت للضحى
على الجملة * (الثامنة) احياء ما بين العشاءين وهى سنة مؤكدة ومما نقل عدده من
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم
وقيل انها المراد بقوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد روى عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الاوّابين وقال صلى الله
عليه وسلم من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة
او بقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام
ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الارض لوسعهم وسيأتى بقية فضائلها فى كتاب
الاوراد ان شاء الله تعالى

(القسم الثانى ما يتكرّر بتكرّر الاسابيع)

وهى صلوات أيام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

(أما الايام فنبدأ فيها بيوم الاحد) روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم أنه قال من صلى يوم الاحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب
وآمن الرسول مرّة كتب الله له بعدد كل نصرانىّ ونصرانية حسنات واعطاه الله ثواب
نبىّ وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة واعطاه الله فى الجنة بكل حرف
مدينة من مسك اذفر وروى عن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبىّ صلى الله
عليه وسلم انه قال وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له
فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرا فى الاولى
فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفى الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم
ثم قام فصلى ركعتين آخرتين يقرا فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه
حاجته كان حقا على الله ان يقضى حاجته (يوم الاثنين) روى جابر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرا فى كل ركعة
فاتحة الكتاب مرّة وآية الكرسى مرّة وقل هو الله احد والمعوّذتين مرّة مرّة فاذا سلم
استغفر الله عشر مرات وصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم عشر مرّات غفر الله تعالى
له ذنوبه كلها وروى أنس بن مالك عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى يوم
الاثنين ثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرّة فاذا فرغ
قرأ قل هو الله أحد اثنتى عشرة مرّة واستغفر اثنتى عشرة مرّة ينادى به يوم القيامة أين
فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل فأوّل ما يعطى من الثواب ألف حلة
ويتوّج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى
يدور على ألف قصر من نور يتلألأ * (يوم الثلاثاء) روى يزيد الرقاشىّ عن أنس
ابن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف
النهار وفى حديث آخر عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى
مرّة وقل هو الله أحد ثلاث مرّات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى

سنين لو مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة ❊ (يوم الاربعاء) روى أبو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء ثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي ❊ (يوم الخميس) عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة ❊ (يوم الجمعة) روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم اسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفي ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفي ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ❊ (يوم السبت) روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء ❊ (وأما الليالي ليلة الاحد) روى أنس بن مالك في ليلة الاحد أنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى الله ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان آدم صفوة الله وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من ادعى لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله عز وجل يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين ❊ (ليلة الاثنين) روى الاعمش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله احد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله احد اربعين مرة ثم يسلم ويقرا قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤله ما سأل وهي تسمى صلاة الحاجة . (ليلة الثلاثاء) من صلى ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرا بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم واجر جسيم روي عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه وقل هو الله احد سبع مرات اعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله الى الجنة (ليلة الاربعاء) روت فاطمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل اعوذ برب الناس عشر مرات ثم اذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة وفي حديث آخر ست عشرة ركعة يقرا بعد الفاتحة ما شاء الله ويقرا في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الاوليين ثلاثين مرة قل هو الله احد يشفع في عشرة من اهل بيته كلهم وجبت عليهم النار . (ليلة الخميس) قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله تعالى ما يعطي الصديقين والشهداء . (ليلة الجمعة) قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد احدى عشرة مرة فكانما عبد الله تعالى ثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتين السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيى ليلة القدر وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة . (ليلة السبت) قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى له قصر في الجنة وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرا من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له

(القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين)

وهي أربعة صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان

(الاولى صلاة العيدين) وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور الاول التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح بالتكبير ليلة الفطر الى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد * الثاني اذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو أفضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج * الثالث أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور * الرابع المستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس فان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز يوم الصحو أن يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين * الخامس يراعي الوقت فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم * السادس في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادي مناد الصلاة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة الى ما وراء السابعة ويقرأ سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرة القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها * السابع أن يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عني وعن من لم يضح من أمتي وقال صلى الله عليه وسلم من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئا قال أبو أيوب الانصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطعمون وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب أن يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة *

(الثانية التراويح) وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وان كانت

دون العشرين واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال أخاف ان توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه ولان الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لان هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة ألف صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الف صلاة في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما الا الله عز وجل وهذا لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة وهذا ما قيل فيه والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه فان بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر وأما الالتفات الى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة وكأن قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من رمضان * (أما صلاة رجب) فقد روى باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الاعز الاكرم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي أحد هذه الصلاة الا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وانما أوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كان لا تبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلاة العيد لان هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت ايرادها * (واما صلاة شعبان) فليلة

الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد احدى عشرة مرة وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روي عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة (القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة) صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن

(الاولى صلاة الخسوف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والصلاة قال ذلك لما مات ولده ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها أما الكيفية فاذا خسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروه فيه أو غير مكروه فيه نودي بالصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما ولا يجهر فيقرأ في الاولى من قيام الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا أنه يجهر فيها لانها ليلية فأما وقتها فعند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بان تغرب الشمس خاسفة ويفوت خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر وان انجلى في اثناء الصلاة أتمها مخففة ومن أدرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول (الثانية صلاة الاستسقاء) فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار أو انهارت قناة فيستحب للامام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتهم في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج أهل الذمة أيضا متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا

في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحوّل رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محوّلة كما هي حتى ينزعونها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء اللهم انك أمرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات في الايام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات (الثالثة صلاة الجنائز) وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة فحفظت من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبيرة الثانية فينبغي أن يراعي ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم تبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطيل بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وانما تصير نفلا في حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ثم ينال بها فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال يقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا كلهم لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله عز وجل فيه واذا شيع الجنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوّي على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح أبواب

السماء لروحه وتتحلله ملك تقول حسن اللهم إن كان محسنا فضاعف له في احسانه وإن كان مسيئا فتجاوز عنه * (الرابعة تحية المسجد) ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى إنه لا تسقط وإن كان الامام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى الخطيب وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فإن دخل لعبور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر تقولها أربع مرات يقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا تكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فأفاد هذا الحديث فائدتين احداهما أن الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضعف الاسباب قضاء النوافل اذ اختلف العلماء في أن النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء واذا انتفت الكراهة بأضعف الاسباب فبأحرى أن تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره الجنازة اذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لأن لها أسبابا الفائدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وفيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى وأجاب وإن كان المؤذن سكت ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهة نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه صلى الله عليه وسلم قال أحب الاعمال الى الله تعالى أدومها وإن قل فيقصد به أن لا تفتر في دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه * (الخامسة ركعتان بعد الوضوء) مستحبان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والاحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا أعرف شيأ الا أني لا أحدث وضوأ الا أصلي عقيبه ركعتين * (السادسة ركعتان عند دخول المنزل والخروج منه) روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك

فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين اذا أكل أكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الامور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عزوجل وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عزوجل قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر الثانية مالا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد الثالثة مالا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب (السابعة صلاة الاستخارة) فمن همّ بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو الاقدام عليه فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فقدّره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شرّ لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدّر لي الخير أينما كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم اذا همّ أحدكم بأمر فليصل ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرنا وقال بعض الحكماء من اعطي أربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب (الثامنة صلاة الحاجة) فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه الى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بام الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خرّ ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المنّ والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول

أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى
وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلي على محمد وعلى آل
محمد ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها فيجاب إن شاء الله عز وجل قال وهيب بلغنا
أنه كان يقال لا تعلموها السفهاء فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل * (التاسعة
صلاة التسبيح) وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب
أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي
الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب ألا أعطيك ألا أمنحك
ألا أحبوك بشيء إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه
وعمده سره وعلانيته تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة
فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع
فتقولها قائماً عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها جالساً عشراً
ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس
وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم
فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي
السنة مرة وفي رواية أخرى أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد
القراءة والباقي كما سبق عشراً عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير وهذا هو الأحسن
وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلاث مائة تسبيحة فإن صلاها نهاراً
فبتسليمة واحدة وإن صلاها ليلاً فبتسليمتين إذ ورد أن صلاة الليل مثنى مثنى وإن زاد
بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض
الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الأوقات
المكروهة إلا تحية المسجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر
والخروج من المنزل والاستخارة فلا لأن النهي مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ
درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في الأوقات
المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة
سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ ليصلي لا أنه يصلي لأنه توضأ وكل محدث يريد أن
يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا
ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعاً كي
لا يتعطل وضوؤه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال
لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن
ينوي بالصلاة الوضوء بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه
أتوضأ لصلاتي وفي صلاته يقول أصلي لوضوئي بل من أراد أن يحرس وضوءه عن

التعطيل فى وقت الكراهية فلينوقضاء ان كان يجوز أن يكون فى ذمته صلاة تطرّق اليها خلل لسبب من الاسباب فان قضاء الصلوات فى أوقات الكراهية غير مكروهة فأما نية التطوع فلا وجه لها فى النهى فى أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقى من مضاهاة عبدة الشمس والثانى الاحتراز من انتشار الشياطين اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن شيطان فاذا طلعت قارنها واذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوات فى هذه الاوقات ونبه به على العلة والثالث أن سالكى طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات فى جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعى والانسان حريص على مامنع منه ففى تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريص وبعث على انتظار قضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع آخر ففى الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشئ الواحد لتسارع اليه الملل فاذا كانت هذه أمور مهمة فى النهى عن أوقات الكراهة الى غير ذلك من اسرار اخر ليس فى قوّة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا بأسباب مهمة فى الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فأما ماضعف عنها فلا ينبغى أن يصادم بها مقصود النهى هذا هو الاوجه عندنا والله أعلم. كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب احياء علوم الدين يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوّة الا بالله العلىّ العظيم عليه توكلت وبه اعتصمت واليه أنيب واليه المصير وهو على كل شئ قدير

(خطبة النكاح)

الحمد لله ذى الجلال والجمال والمنّ والافضال مالك يوم لا بيع فيه ولا خلال واشهد أن لا اله الا الله المقدّس عن مضاهاة الامثال خلق الانسان من طين لازب وصلصال وأشهد أن محمدا عبده ورسوله عبد طيب عنصره ونبىّ هذب جوهره أكمل به الايمان فشهره وأخمد به البهتان فدمغه صلى الله عليه وسلم وعلى آله صلاة ترغم بها معاطس من حاده وكفره ثم ان الله تبارك وتعالى قضى وقدر من سبب هذا النكاح الذى أعلى سبيله وأوضح دليله قال الله تبارك وتعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وقال صلى الله عليه وسلم من أراد سنتى فليتزوّج فأمر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه

يجري الى قدره وقدره يدعو الى كتابه فلكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وكان من قضاء الله وقدره أن فلان ابن فلان جاءكم خاطبا راغبا يخطب كريمتكم فلانة بنت فلان وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا دينارا فانكحوه اذ طلب وشفعوه اذ رغب أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وللمسلمين أجمعين

(خطبة أخرى)

الحمد لله ذي الجلال الاكبر والبهاء الانور والضياء المسفر عز من علا فغلب وقهر ورأى وأسمع وأبصر واستوى على العرش فقهر أحصى قطر المطر وأوراق الشجر وما في الارحام من أنثى وذكر خالق الخلق على أحسن الصور ورازقهم على قدر ومميتهم على صغر وشباب وكبر وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من أناب واستأثر وراقب ربه واستغفر وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المطهر المختار من فهر ومضر صلى الله عليه وعلى آله ما أقبل ليل وأدبر وأضاء صبح واسفر ثم ان الله تبارك وتعالى وله الحمد جمع الامر وجعل به عناصرا وهو قوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان من قضاء الله وقدره أن فلان ابن فلان أتاكم يخطب فتاتكم فلانة بنت فلان وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا دينارا فسدوا رحمكم الله عضاهره أزرا ولا تردوا يده من تأميله صفرا ولا ترهقوه من أمره عسرا اقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وللمسلمين اجمعين

(خطبة اخرى)

الحمد لله المعز بجلاله المنفرد بافضاله الابدي الازلي الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الهالم يشاركه في حكمه ولم يتخذ صاحبة ولا ولد وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد المرسلين وامام المتقين صلى الله عليه وعلى آله الاقربين ثم ان الله تبارك وتعالى اذا أراد أمرا أنزل فيه وحيا فقال عز من قائل وأنكحوا الايامى منكم والصالحين الآية وقال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط فأمر الله يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره وقدره يدعو الى كتابه فلكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وكان من قضاء الله وقدره أن فلان بن فلان يخطب كريمتكم فلانة بنت فلان وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا دينارا فشفعوه اذ طلب وأنكحوه اذ رغب أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين تمت الخطب الثلاث ولله الحمد على جميع نعمه

(كتاب اسرار الزكاة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أسعد وأشقى وأمات وأحيى وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى الذى خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى وأحوج اليه من أخفق فى رزقه وأكدى اظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبنى وبين أن بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى (أما بعد) فان الله تعالى جعل الزكاة احدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلا الاعلام فقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الانفاق فى سبيل الله اخراج الزكاة قال الاحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمر أبوذر فقال بشر الكافرين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى فى أقفائهم يخرج من جباههم وفى رواية أنه يوضع على حلمة ثدى أحدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل وقال أبوذر انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا فى الصحيحين فصار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك فى أربعة فصول (الفصل الاول) فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها (الثانى) فى آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة (الثالث) فى القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه (الرابع) فى صدقة التطوع وفضلها

(الفصل الاول) فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر

(النوع الاول زكاة النعم)

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب فى مال الصبى والمجنون هذا شرط من عليه وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال * الشرط الاول كونه

نعما فلا زكاة الا في الابل والبقر والغنم أما الخيل والبغال والحمير والمولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها * الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة واذا اسيم في وقت وعلف في وقت تظهر مؤنته فلا زكاة فيه * الثالث الحول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول و يستثنى من هذا نتاج المال فانه يستصحب عليها حكم المال وتجب الزكاة فيها بحول الاصول ومهما باع المال في اثناء الحول أو وهب انقطع الحول * الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية المرهونة لانه الذي حجر على نفسه ولا تجب في المال المغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغنى ما يفضل عن الحاجة * الخامس كمال النصاب (أما الابل) فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة تؤخذ وان كان قادرا على شرائها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ثم اذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون * (وأما البقر) فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ثم فيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في كل أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في كل ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك في كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع (وأما الغنم) فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه الى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصاب فاذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط أن يريحا معا و يسقيا معا و يحلبا معا و يسرحا معا و يكون المرعى معا و يكون انزاء الفحل معا وان يكونا جميعا من أهل الزكاة ولا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت مخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين او عشرين درهما ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود و يأخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا تؤخذ في الزكاة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة و يؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللئام لئيمة ولا تؤخذ من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربا ولا الفحل ولا غرار المال

(النوع الثاني زكاة المعشرات)

فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر أن يكون ثمانمائة من تمرا أو زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة مجموعهم ثمانمائة من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح أو قناة فان كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص في مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف

(النوع الثالث زكاة النقدين)

فاذا تم الحول على وزن مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على مليء ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا فلا تجب الا عند حلول الاجل

(النوع الرابع زكاة التجارة)

وهي كزكاة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال قنية لا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والاولى أن تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حول كما في النتاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس

(النوع الخامس الركاز والمعدن)

والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجده

في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره أيضا ليس بعيدا لان مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخصص على الصحيح بالمقدس وأما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتحصيل ربع العشر على أصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر وفي النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله تعالى ان يلحق في قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين الرزق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين الذهب أيضا تحرجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشباه

(النوع السادس في صدقة الفطر)

وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يعوله يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزأه وقسمها كقسمة زكاة الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو في نفقته أعني من تجب عليه نفقته من الآباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم أدوا صدقة الفطر عمن تمونون وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها أجزأه وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما تؤدى عن بعضهم ادى عن أحدهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه أحكام فقهية لابد للغني من معرفتها وقد تعرض وقائع نادرة خارجة عن هذا ولها ان يشكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار

(الفصل الثاني) في الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة امور (الاول) النية وهو أن ينوي بقلبه زكاة الفرض وليس عليه تعيين الاموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالي الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا أعني في قطع المطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى أن يستأنف الزكاة واذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية (الثاني) البدار عقيب الحول وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من

رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن اخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط
عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت
الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز
تعجيل زكاة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتدّ أو صار غنيا بغير ما عجل
اليه أو تلف من مال المالك أو مات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن الا اذا
قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الامور وسلامة العاقبة * (الثالث)
ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزى ورق عن ذهب
ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي
رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل
فان سدّ الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام قسم
هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ
للجمرة في وصول الحصا اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه
وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه
اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر
المعبود فقط لا لمعنى آخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهار العبودية بالانقياد لمجرّد
الامر وامتثاله كما امر من غير استئناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه * القسم
الثاني من واجبات الشرع فالمقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء
دين الادميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى
مستحقه باخذ المستحق أو ببدل عنه عند رضاه تأدّى الوجوب وسقط خطاب الشرع
فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس * والقسم الثالث هو
المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد
فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ ردّ الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع
به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي أن ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق
بسبب أجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير
الشافعي رضي الله عنه فحظ الفقير مقصود في سدّ الخلة وهو جلي سابق الى الافهام
وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة الصلاة
والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في أن على المكلف تعبا في تمييز أجناس ماله
واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية
كما سيأتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير لكنه قادح في التعبد ويدل على أن
التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن أوضحها
أن الشرع أوجب في خمس من الابل شاة فعدل من الابل الى الشاة ولم يعدل الى
التعديل والتقويم وان قدّر أن ذلك لقلة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين

درهمان الخبران مع السابين فلم لم يذكر في الخبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وستين ان كانت الثياب والامتعة كما في معناها فهذا وأمثاله من التقييدات يدل على أن الزكاة لم يترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع من المعاني والادهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا من الغلط فيه

(الرابع ان لا ينقل الصدقة الى بلد آخر)

فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى أموالها وفي النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزأه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة .لا بأس ان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة

(الخامس ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في بلده)

فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وذلك تقتضي التسوية لها الملك والعبادات يد في أن ينوي عن الهموم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة أصناف مثلا قسم زكاة ماله بخمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسمه .لانه اسهم متساوية اما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف من ثلاثة ان وجد ، ولو لم يجب الاصناع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه

(بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة ؛ على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف)

(الوظيفة الاولى)

فهم وجوب الزكاة ومعناه ووجه الامتحان فيها وانه لم جعل من مباني الاسلام مع انه تصرف مالي وليس من عبادة الابدان وفيه ثلاث معاني (الاول) أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن به درجة الحب بمفارقة المحبوب والاموال محبوبة عند الخلائق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم

ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى فى بذل الاموال انقسم الناس الى ثلاثة اقسام * قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم فقال أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك فقال مثله وقال لابى بكر رضى الله عنه ما أبقيت لاهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله * القسم الثانى درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين الى أن فى المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد قال الشعبى بعد ان قيل له هل فى المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل وآتى المال على حبه ذوى القربى الآية واستدلوا بقوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون وبقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل فى حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذى يصح فى الفقه من هذا أنه متى ارهقت حاجته كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يلزمه بذله فى الحال ولا يجوز له الاقراض وهذا مختلف فيه والاقراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهى درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهى أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم اى يستقص عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد يستقصى عليه لبخله فهذا أحد معانى أمر الله سبحانه عباده ببذل الاموال * المعنى الثانى التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وسيأتى فى ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التفصى منه وانما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشئ لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير اعتيادا والزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله و بقدر فرحه باخراجه

واستشاره بصرفه الى الله تعالى والمعنى الثالث شكر النعمة فان لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما أخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه الرزق واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر أو العشر من ماله

(الوظيفة الثانية)

في وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال بايصال السرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوق عن الخيرات وعلما بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه ولتعين لزكاتها ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما ولتجتهد أن يكون من أفضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه أول السنة وهو من الاشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق فيه وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الاخير وأفضل أيام ذي الحجة العشر الاول

(الوظيفة الثالثة)

الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي أيضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث المشهور سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مرائي ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ في فضل الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد

الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب سبحانه واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن الا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل يسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف أولى اذ فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس فى معرفة المتوسط الا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكاة ازالة البخل وتضعيف حب المال وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك فى الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب فى القبر فى حكم المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب أفعى من الافاعى وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد فى قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر أهون عليه وقوة هذه الصفات التى بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة فى أن يخالف داعى البخل ويجيب داعى الرياء فيضعف الادنى ويقوى الاقوى وستأتى أسرار هذه المعانى فى ربع المهلكات

(الوظيفة الرابعة)

أن يظهر حيث يعلم ان فى اظهاره ترغيبا للناس فى الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره فى معالجة الرياء فى كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل ان تبدوا الصدقات فنعماهى وذلك حيث يقتضى الحال الابداء اما للاقتداء واما لان السائل انما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغى أن يترك التصدق خيفة من الرياء فى الاظهار بل ينبغى أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لان فى الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بأن يرى فى صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى فى اظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهى عنه فأما من أظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له وقد قال الله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ندب الى العلانية أيضا لما فيه من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان فى بعض الاحوال لبعض الاشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال

(الوظيفة الخامسة)

أن لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا فى حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال سفيان من من فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث به وقيل المن ان يستخدمه

بالعطاء والاذى أن يعيره بالفقر وقيل المن أن يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى أن
ينتهره او يوبخه بالمسئلة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان «وعندى
ان المن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة
على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه أن يرى الفقير
محسنا اليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار وانه لو لم
يقبله لبقى مرتهنا به فحقه أن يتقلد منة الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل فى قبض
حق الله عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله عز وجل
قبل أن تقع فى يد السائل فليتحقق أنه مسلم الى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله
تعالى رزقه بعد صيرورته الى الله عز وجل ولو كان عليه دين لانسان فأحال به عبده
أو خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته
سفها وجهلا فان المحسن اليه هو المتكفل برزقه أما هو فانما يقضى الذى لزمه بشراء
ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعانى الثلاثة التى
ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه اما ببذل ماله
اظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا
للمزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما
حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا اليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى المن
وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم
والقيام بالحقوق والتقديم فى المجالس والمتابعة فى الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى
المنة فى الباطن ما ذكرناه ۞ وأما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام
وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه أمران
أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق
لا محالة والثانى رؤيته انه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه وكلاهما
منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم فى مقابلة
ما يساوى ألفا فهو شديد الحمق ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضى الله عز وجل والثواب
فى الدار الآخرة وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا
لطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها وأما الثانى فهو أيضا جهل لانه لو عرف
فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته
فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
هم الاخسرون ورب الكعبة فقال أبو ذر من هم قال هم الاكثرون أموالا الحديث
ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى مسخرة له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر
منه ويجتهد فى حفظه بمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه
الفاضل الذى يضره لو سلم اليه فالغنى مستخدم للسعى فى رزق الفقير ويتميز عليه
بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فيأكله أعداؤه فاذاً مهما

انقلبت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له فى أداء الواجب وتقبيضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة وهذا منشأ المنّ والاذى فان قلت فرؤيته نفسه فى درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنا فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدّر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالأ عدوًا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدّق فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التى ذكرناها فى فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه فى تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالاعمال التى يتعاطاها متقلد المنة فان الافعال التى تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سيأتى أسراره فى الشطر الاخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسئله قبوله حتى يكون هو فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هى العليا وكانت عائشة وام سلمة رضى الله عنهما اذا أرسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ مايدعو به ثم كانتا تردّان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر ابن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التى ذكرناها من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجرى مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ليس للمرء من صلاته الا ماعقل منها وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم لا يتقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنه دون هذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا الى معناه فى كتاب الصلاة

(الوظيفة السادسة)

أن يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ويقال ان الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المنّ والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد أو رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المنّ والاذى بل العجب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات ودواؤه علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وانه

فقد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحي
منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه
من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالمال لله عز وجل وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله
فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضي أن
ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه وأما العمل
فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته
الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله
لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه
بسبب بخله كما قال عز وجل فيحفكم تبخلوا

(الوظيفة السابعة)

أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب ولا يقبل
إلا طيبا وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي
حديث أبان عن أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية وإذا لم يكن
المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو أهله
فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردى طعام في بيته
لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه
في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى
أو أكل فأفنى والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على
العاجلة وترك الادخار وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم
ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن
تغمضوا فيه أي لا تأخذونه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكم
وفي الخبر يسبق درهم مائة ألف درهم وذلك أن يخرجه الإنسان وهو من أحل ماله
وأجوده فيصدر ذلك عن الرضى والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف مما يكره من ماله
فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا
لله ما يكرهون فقال تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم
الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال جرم أن لهم النار أي
كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار

(الوظيفة الثامنة)

أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية
فإن في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة * الأولى أن
يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم
لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي وهذا لأن التقي يستعين به على التقوى
فتكون شريكا له في طاعته بإعانتك إياه وقال صلى الله عليه وسلم أطعموا طعامكم

الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ آخر أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى
وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك
جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت
هم احدهم فلأن أرد همة واحد الى الله عز وجل احب الي من أن أعطي ألفا ممن
همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه فقال هذا ولي من أولياء الله تعالى
وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى ان هذا الرجل اختل حاله وهم
بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة
لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه * (الصفة
الثانية) أن يكون من أهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات
مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال
اني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته
لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل (الصفة الثالثة) أن يكون
صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه اذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره
ورأى أن النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى
ان النعمة كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة
غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن
الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل اذ سلط الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له
الاسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل
في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث أوجب ذلك جزم الارادة
وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث الذي لا تردد فيه والله عز وجل
خالق للبواعث ومهيج ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى
البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد
أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الاكثر جدواه واعانة مثل
هذا الموحد لا تضيع فأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر
عند الايذاء وأحواله متفاوتة وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض
الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره
ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك
يعني بفلان نفسه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال صلى الله عليه
وسلم علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم
لرجل تب فقال اتوب الى الله وحده ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف
الحق لاهله ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر رضي الله
عنه قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله
فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر وفي لفظ انها رضي الله عنها قالت لابي بكر رضي

الله عنه عبد الله لا عهدك ولا عهد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك مع أن الوحي وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الاشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله سبحانه في تنقية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه ﴿الصفة الرابعة﴾ أن يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا أي لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال ﴿الصفة الخامسة﴾ أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله أي حبسوا في طريق الآخرة بعيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصوا الجناح مقيدوا الاطراف فهذه الاسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان صلى الله عليه وسلم يعطي العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال ﴿الصفة السادسة﴾ أن يكون من الاقارب وذوي الارحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى قال علي رضي الله عنه لأن أصل أخا من إخواني بدرهم أحب إلي من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة والاصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي أن يطلب أعلاها فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد فإن أحد أجره في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والاجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فإن قلوب الابرار لها آثار في الحال والمآل فإن أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الاول دون الثاني فبهذا يتضاعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله أعلم

﴿الفصل الثالث﴾ في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

﴿بيان أسباب الاستحقاق﴾

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات

الاصناف الثمانية المذكورين فى كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمى أو مطلبى أما الصبى والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فنذكر صفات الاصناف الثمانية

(الصنف الاول الفقراء) والفقير هو الذى ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفى بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لانه فى الحال قد عدم ماهو محتاج اليه وماهو عاجز عنه فلا ينبغى أن يشترط فى الفقير ألا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف مالو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشترى له آلة وان قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات واوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وأراد به السعى فى الاكتساب وقال عمر رضى الله عنه كسب فى شبهة خير من مسئلة وان كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير (الصنف الثانى المساكين) والمسكين هو الذى لا يفى دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فأسا وحبلا وهو غنى والدويرة التى يسكنها والثوب الذى يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت أعنى ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك الا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغى أن يحتاط فى فهم الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج اليه لثلاثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع فى الآخرة ولا يجرى فى الدنيا الا مجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع فى الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة وأما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته فلا تباع فى الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان فى البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغى أن يضبط مدة الحاجة والاقرب أن يقال ما لا يحتاج اليه فى السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شئ لزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغى ان تقدر بالسنة

فلا ساح بيان السيف في السماء والكتب بالثياب والاثاث أسه وقد يكون له من كتاب سعتان فلا حاجه الى احداهما فان قال احداهما أصح والاخرى أحسن فاما يحتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع المعرج والبرفه وان كان سعتان من علم واحد احداهما بسيطة والاخرى وجيزه فان كان مقصوده الاستعاده فليكتف بالبسط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذفي كل واحده فائده ليست في الاخرى وأمثال هذه الصور لا تحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدوده ولكن الفقيه يجتهد فيه برايه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع يأخذ فيه بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطه المشكله بين الاطراف المتقابله الجليه كثيره ولا ينجي منها الا الاحتياط والله اعلم (الصنف الثالث العاملون) وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على أجر المثل فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح * (الصنف الرابع المؤلفة) قلوبهم على الاسلام وهو الشريف الذي أسلم وهو مطاع في قومه وفي اعطائه تقريره على الاسلام وترغيب نظائره واتباعه * (الصنف الخامس المكاتبون) ويدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبدله * (الصنف السادس الغارمون) والغارم هو الذي استقرض في طاعه أو مباح وهو فقير فان استقرض في معصيه فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة واطفاء فتنة * (الصنف السابع الغزاه) الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقه فيصرف اليهم سهم وان كانوا أغنياء اعانه لهم على الغزو (الصنف الثامن ابن السبيل) وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصيه أو اجتاز فيه فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر اعطي بقدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينه ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه وأما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني غاز فان لم يف به استرد وأما بقيه الاصناف فلابد فيها من البينه فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار ما يصرف الى كل واحد فسيأتي

(بيان وظائف القابض وهي خمسة)

(الاولى) أن يفهم ان الله عز وجل أوجب صرفه اليه ليكفي همه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق

همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفى الحاجات فأكثر الاموال وصبها فى أيدى عباده لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه فى الخطر ومنهم من أحبه فحماه من الدنيا كما يحمى المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون سهل الكسب والتعب فى الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب الى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب العاقه وهذا منتهى النعمة فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتى فى كتاب الفقر تحقيقه وبيانه فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا له وعونا على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما أباحه الله عز وجل فان استعان به على معصية الله كان كافرا لأنعم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه * (الثانية) أن يشكر المعطى و يدعو له و يثنى عليه و يكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرج عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا و واسطة و ذلك لا ينافى رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد أثنى الله عز وجل على عباده فى مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى نعم العبد انه أواب الى غير ذلك وليقل القابض فى دعائه طهر الله قلبك فى قلوب الابرار و زكى عملك فى عمل الاخيار وصلى على روحك فى أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع و يفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطى الاستصغار و وظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ويضره خلافه والآخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر أن يرى الواسطة أصلا * (الثالثة) أن ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حله تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من أموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق الامر عليه وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع فى مثل هذا أن يتصدق به على ماسيأتى فى كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة اذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهذا حرام * (الرابعة) أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار ما يأخذه فلا يأخذ الا المقدار المباح ولا يأخذ الا اذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذ بالكتابة

والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل وإن
أعطي زيادة أبى وامتنع إذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وإن كان مسافراً لم يزد على
الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وإن كان غازياً لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل
وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه
إلى ما لا يريبه وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أولاً إلى أثاث بيته وكسوته هل فيها ما يستغنى
عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل
ذلك إلى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق
معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه
والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهراً وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق
والتوسيع ولا ينحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع
حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسيع وهو ممقوت في الشرع ثم إذا تحققت
حاجته فلا يأخذن مالاً كثيراً بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى
ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة فهذا أقرب ما يحد به حد الفقير
والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى ومذاهب العلماء
في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب
الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية أنه صلى الله عليه
وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال صلى الله عليه وسلم غداؤه
وعشاؤه وقال آخرون يأخذ إلى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى
الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة
وقال قائلون حد الغنى خمسون درهماً لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال
من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فسئل وما غناه قال خمسون
درهماً أو قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم أربعون لما رواه عطاء
بن يسار منقطعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال
وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به
طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغني بها طول عمره لأن هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله
عنه إذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى
مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل أبا طلحة
بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم اجعله في قرابتك
فهو خير لك فأعطاه حسان وأبا قتادة فحائط من نخل لرجلين كثير مغن وأعطى عمر رضي
الله عنه أعرابياً ناقة معها ظئرها فهذا ما يحكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية
فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل
التجويز إلى أن يشتري ضيعة فيستغني بها أقرب إلى الاحتمال وهو مائل إلى الإسراف

والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك كما قاله صلى الله عليه وسلم اذ الاثم حزاز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه شيأ مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة *(الخامسة) أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه فانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما لجهل واما لتساهل وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتي مظان السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تعالى

(الفصل الرابع) في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وأعطائها

(بيان فضيلة الصدقة)

(من الاخبار) قوله صلى الله عليه وسلم تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد وقال صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف وقال صلى الله عليه وسلم ما أحسن عبد صدقة الا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته وقال صلى الله عليه وسلم كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم ما الذي أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أفضل قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا فقال أنفقه على نفسك قال ان عندي آخر قال أنفقه على زوجتك قال ان عندي آخر قال أنفقه على ولدك قال ان عندي آخر قال أنفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل صدقة لآل محمد انما هي أوساخ الناس وقال ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وقال صلى الله عليه وسلم لو صدق

السائل ما أفلح من رده وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما الا كان فى حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة (الآثار) قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد فى قول الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على اولى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبى الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وانها لتفك لحيى سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة وقال لقمان لابنه اذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبى رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب وروى مسندا وقال عمر رضى الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وكان عبد الله يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم أنى أحب السكر وقال النخعى اذا كان الشئ لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب وقال عبيد ابن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن كسا لله عز وجل كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبى من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأسا بشرب الموسر من الماء الذى يتصدق به ويسقى فى المسجد لانه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة

(بيان اخفاء الصدقة واظهارها)

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص فى ذلك فمال قوم الى أن الاخفاء أفضل ومال قوم الى أن الاظهار أفضل ونحن نشير الى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه *(أما الاخفاء ففيه خمسة معان)* الاول أنه أبقى للستر على الآخذ فان أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة

التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف * الثاني أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فإنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه أخذ مع الاستغناء أو ينسبونه الى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أيوب السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشئ لاجل اخواني يقولون من أين له هذا وعن ابراهيم التيمي أنه رئي عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من أين لك هذا فقال كسانيه أخي خيثمة ولو علمت أن أهله علموا به ماقبلته * الثالث اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء أكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي ودفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفاء معروفه فقبلته وذاك أساء أدبه في عمله فرددته عليه واعطى رجل لبعض الصوفية شيئا في الملأ فرده فقال له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال انك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم أك عونا لك على المعصية وأطعته بالاخفاء فأعنتك على برك وقال الثوري لو علمت ان أحدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته - الرابع أن في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول في اظهاره اذلال للعلم وامتهان لاهله فما كنت بالذي ارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله * الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم من اهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبأن يكون ورقا أو ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم أفضل ما اهدى الرجل الى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى في الملأ مكروه الا برضى جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم من هذه الشبهة * (اما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة) * الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراآة * والثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من اعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه أظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو عن احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك او رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك الذي يريده اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتؤجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه * الثالث هو ان العارف لا نظر له الا الى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات الى الخلق حضروا ام غابوا نقصان في الحال بل ينبغي ان

يكون النظر مقصوراً على الواحد الفرد حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد
من جملة المريدين فشق على الآخرين فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كل
واحد منهم دجاجة وقال ليتفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد فانفرد كل
واحد وذبح الا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما أمرنا به الشيخ فقال الشيخ
للمريد مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال ذلك المريد لم أقدر على مكان لا يراني فيه أحد
فان الله يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل اليه لانه لا يلتفت لغير الله عز وجل
الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث
والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل
وقال تعالى الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله
وقال صلى الله عليه وسلم اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى عليه وأعطى رجل
بعض الصالحين شيأ في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر
في امور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم اذا أعطيت في الملاء فخذ ثم اردد في السر
والشكر فيه محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز
وجل والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا
فكافئوه فان لم تستطيعوا فأثنوا عليه به خيرا وادعوا له حتى يعلم ان قد كافأتموه ولما
قال المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الاموال
حتى خفنا أن يذهبوا بالاجر كله فقال صلى الله عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به
فهو مكافأة والآن اذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس
اختلافا في المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا أنا لا نحكم حكما بتا بأن
الاخفاء أفضل في كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف
النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي أن يكون المخلص مراقبا للنفسه حتى
لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع
أغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار مع أن له مدخلا في كل واحد منهما فأما مدخل
الخداع في الاسرار فمن ميل الطبع اليه لما فيه من خفض الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن
أعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطي بعين المنعم المحسن اليه فهذا
هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل
بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد وهو أن يكون تألمه
بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله فانه
ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يتقي انتهاك الستر واعانة
المعطي على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة
أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه
المعاني أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محذور من حيث
انه علم زيد أو علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث

أنها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن أحسن ملاحظة هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ وأما جانب الاظهار فيل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله واظهاره عند غيره أنه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بأن يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ماذكرناه ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطى ولا الى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم أن باعثه السنة في الشكر فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطى فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصر على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد أهل الوبر وقال صلى الله عليه وسلم في آخر اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وقال صلى الله عليه وسلم اذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال أيضا ليوسف بن اسباط اذا أوليتك معروفا فكنت انا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل علي فاشكر والا فلا تشكر ودقائق هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه وان أعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسئلة واحدة أفضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيى عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل فعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر أحسن المسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات الا أن تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر الذي يتحدث به ولا يرى نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق

(بيان الافضل من أخذ الصدقة او الزكاة)

كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الاخذ من الصدقة أفضل فان في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز واما الصدقة فالأمر فيها أوسع وقال قائلون يأخذ الزكاة دون الصدقة

لانه اعانه على واجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لاثموا ولانه لامنة فيه وانما هو حق واجب لله سبحانه رزقا للعباد المحتاجين ولانه أخذ بالحاجه والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقه أخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطى من يعتقد فيه خيرا ولان مرافقة المساكين أدخل فى الذل والمسكنة وأبعد من التكبر اذ قد يأخذ الانسان الصدقه فى معرض الهدية فلا يتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الاخذ وحاجته والقول الحق فى هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النيه فان كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغى ان يأخذ الزكاة فاذا علم أنه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقه فاذا كان صاحب الصدقه لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذ هو فليأخذ الصدقه فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففى ذلك تكثير للخير وتوسيع للمساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما يتفاوت وأخذ الزكاة أشد فى كسر النفس واذلالها فى أغلب الاحوال والله أعلم

* كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه و يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين من أهل السموات والارضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل

(كتاب أسرار الصوم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنه بما دفع عنهم كيد الشيطان وخيبته اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنه وفتح لهم أبواب الجنة وعرفهم أن وسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنه وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنه والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنه وعلى آله وأصحابه ذوى الابصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر و بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبه الى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنه بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك فى معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه

لاجلى

لاجلي فالصوم لي وأنا أجزي به وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى في جزاء صومه وقال صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه وسلم لكل شئ باب وباب العبادة الصوم وقال صلى الله عليه وسلم نوم الصائم عبادة وروى ابو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى منادى يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية هي أيام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي أنت عندي كبعض ملائكتي وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم يقول الله عز وجل انظروا يا ملائكتي الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بأن يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه والارض كلها له لمعنيين أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله عز وجل فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني أنه قهر لعدو الله عز وجل فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال صلى الله عليه وسلم بالجوع وسيأتي فضل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله عز وجل ففي قمع عدو الله نصرة الله سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وانما التغيير تكثير الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول

(الفصل الاول) في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده

(أما الواجبات الظاهرة فستة)

(الاول) مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رؤي الهلال ببلدة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب (الثاني) النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة الا أن تستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم أو يستند الى استصحاب حال كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته ولو نوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها (الثالث) الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن والاحليل الا أن يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق الى جوفه أو ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر أما من أكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد (الرابع) الامساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط اهله فنزع في الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة (الخامس) الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا أن يكون شيخا او مالكا لاربه فلا بأس بالتقبيل وتركه اولى واذا كان يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني افطر

لتقصيره

لتقصيره (السادس) الامساك عن اخراج القىء فالاستقاء يفسد الصوم وان ذرعه القىء لم يفسد صومه واذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا أن يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك

(وأما لوازم الافطار فأربعة)

القضاء والكفارة والفدية وامساك بقية النهار تشبيها بالصائمين (أما القضاء) فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع فى قضاء رمضان ولكن يقضي كيف شاء متفرقا ومجموعا (وأما الكفارة) فلا تجب الا بالجماع وأما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا (وأما امساك بقية النهار) فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم فى السفر أفضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى أوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما (وأما الفدية) فتجب على الحامل والمرضع اذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا

(وأما السنن فست)

تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود فى شهر رمضان لما سبق من فضائله فى الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف فى المسجد لا سيما فى العشر الاخير فهي عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وأدأب أهله أى أداموا النصب فى العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب أنه فى أوتارها وأشبه الاوتار ليلة احدى وثلاث وخمس وسبع والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى فان نذر اعتكافا متتابعا أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله ان يتوضأ فى البيت ولا ينبغي أن يعرج على شغل آخر كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسئل عن المريض الا مارا وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالاكل والنوم وغسل اليد فى الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه فى التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان صلى الله عليه وسلم يدني رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي فى الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فاذا عاد ينبغي أن يستأنف النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد

(الفصل الثاني) فى اسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم ان الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص

اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله وأما صوم
الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام
وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه
عما سوى الله عز وجل بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله
عز وجل واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين فإن ذلك من زاد الآخرة
وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير
ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة
اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في
تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا فإنه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف
عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل "قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون"
وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة
أمور. (الأول) غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى كل
ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل "قال صلى الله عليه وسلم النظرة سهم
مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل "إيمانا يجد
حلاوته في قلبه وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خمس
يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة (الثاني)
حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء
وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال
سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان
يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم إنما الصوم جنة فإذا كان
أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم وجاء
في الخبر أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع
والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستأذناه في الإفطار فأرسل إليهما قدحا وقال صلى الله عليه وسلم قل لهما قيئا فيه
ما أكلتما فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى
ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما
وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس
فهذا ما أكلتا من لحومهم. (الثالث) كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل
ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين السمع وآكل السحت فقال
تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وقال عز وجل لولا ينهاهم الربانيون والأحبار
عن قولهم الإثم وأكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى إنكم إذا مثلهم
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع شريكان في الإثم (الرابع) كف بقية
الجوارح عن الآثام من اليد والرجل وعن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار

فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال
من يبنى قصرا و يهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله
وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام
اسم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله و يضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال
صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذى
يفطر على الحرام وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال و يفطر على لحوم الناس
بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام * (الخامس) أن
لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ فما من وعاء أبغض الى الله
عز وجل من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة
اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت
العادات بأن يدخر جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل من الطعام فيه ما لا يؤكل فى عدة
أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا
دفعت المعدة من ضحوة نهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت
من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها
كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل
الشيطان فى العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التى
كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم فأما اذا جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلا
فلم ينتفع بصومه بل من الاداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش
و يستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه و يستديم فى كل ليلة قدرا من الضعف
حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر الى
ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شئ من الملكوت وهو
المراد بقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر ومن جعل بين قلبه و بين صدره مخلاة من
الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته
عن غير الله عز وجل وذلك هو الامر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتى له
مزيد بيان فى كتاب الاطعمة ان شاء الله عز وجل * (السادس) أن يكون قلبه بعد
الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين
أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن
الحسن بن ابى الحسن البصرى انه مر بقوم وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل
شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام
فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه المسارعون وخاب
فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسئ باساءته اى كان
سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف
ابن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال انى اعده لسفر طويل

والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة
في الصوم فإن قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال
الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي
أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لا سيما الغيبة وأمثالها
ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على
الدنيا الدخول تحته فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى
المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو
الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم
لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه
مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم
وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة والملائكة مقربون من
الله عز وجل والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم
فإن الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا
سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع
أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى
فأي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش
ولهذا قال أبو الدرداء يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقى وسهرهم
ولذرة من ذوي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك
قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذي يحفظ
جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق
جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر
بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق
في الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل من
أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة
إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ومن جمع بينهما كمن غسل كل عضو
ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الصوم
أمانة فليحفظ أحدكم أمانته ولما تلا قوله عز وجل إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى
أهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة ولولا أنه من أمانات
الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم فليقل إني صائم أي إني أودعت لساني لأحفظه
فكيف أطلقه بجوابك فإذا قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها
درجات ولكل درجة طبقات فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز
إلى غمار أرباب الألباب

(الفصل الثالث) في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم ان استحباب الصوم يتأكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها يوجد في كل شهر وبعضها في كل أسبوع * (أما في السنة بعد أيام رمضان) فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرّم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظنّ أنه في رمضان وفي الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرّم لانه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه وسلم صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام وفي الحديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة سبعمائة عام وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة الا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر رمضان فالاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرّم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وأفضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الاشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوّال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرّم ورجب وليسا من أشهر الحج وفي الخبر ما من أيام العمل فيهنّ أفضل وأحب الى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل الا من عقر جواده واهريق دمه * (وأما ما يتكرّر في الشهر) فأوّل الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر * (وأما في الاسبوع) فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف اجورها ببركة هذه الاوقات *

واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهته والصحيح انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والآخر ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه فاذا لم يكن شئ من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشدّ على النفس واقوى في قهرها وقد ورد في فضله اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت عليّ مفاتيح

خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخي داود صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الصوم وهو يقول اني أريد أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا أفضل من ذلك وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل والفقيه بدقائق الباطن ينظر الى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم واذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء أن يوالي بين الافطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسي القلب ويولد ردىء العادات ويفتح أبواب الشهوات ولعمرى هو كذلك في حق أكثر الخلق لا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله أعلم بالصواب ۞تم كتاب أسرار الصوم والحمد لله جميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله المعين لا رب غيره وما توفيقي الا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿كتاب أسرار الحج﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا وأكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا

وان شاء نصرانيا اذ أعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال وأجدر بها أن تصرف العناية الى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عزوجل فى ثلاثة أبواب (الباب الاول) فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها (الباب الثانى) فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر الى الرجوع (الباب الثالث) فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة) فلنبدأ بالباب الاول وفيه فصلان

(الفصل الاول) فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال الى المساجد

(فضيلة الحج)

قال الله عزوجل وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق قال قتادة لما أمر الله عزوجل ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج نادى يا أيها الناس ان الله عزوجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة فى الموسم والاجر فى الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل فى تفسير قوله عزوجل لاقعدن لهم صراطك المستقيم أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مارئ الشيطان فى يوم أصغر ولا ادحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد أسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن ابليس لعنه الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين مقصوف الظهر فقال له ما الذى أبكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزننى ذلك قال فما الذى أنحل جسمك قال صهيل الخيل فى سبيل الله عزوجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب الى قال فما الذى غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب الى قال فما الذى قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات فى احدى الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له أدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم حجة مبرورة خير من الدنيا بما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وقال صلى الله عليه وسلم الحجاج والعمار وفد الله عزوجل وزواره ان سألوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفى حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة

فظن أن الله تعالى لم يغفر له وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه ولهذا استحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبد ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج ويروى أن علي بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابن موفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فإني أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فأدخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء إن الحاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام ويروى عن علي بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدري كم قبل منهم قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا وأهمني أمري فقلت إذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا في ستة أنفس فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فإذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال أتدري ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة قال لا قال فإنه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف وعنه أيضا رضي الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت اللهم إني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم

تتقبل حجه قال فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقال لى يا على تتسخى على فأنا خلقت السخاء والاسخياء وأنا أجود الاجودين وأكرم الاكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلته

(فضيلة البيت ومكة المشرفة)

قال صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم الله عزوجل بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفى الخبر ان الحجر ياقوتة من ياقوت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر رضى الله عنه ثم قال انى لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضى عنه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال على رضى الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أن صوم يوم فيها بمائة ألف صدقه وصدقة درهم بمائة ألف وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر يعدل حجة وفى الخبر الصحيح عمرة فى رمضان كحجة معى وقال صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق الارض عنه ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين وفى الخبر ان آدم صلى الله عليه وسلم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وجاء فى الاثر ان الله عزوجل ينظر فى كل ليلة الى أهل الارض وأول من ينظر اليه أهل الحرم وأول من ينظر اليه أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفرله ومن رآه مصليا غفرله ومن رآه قائما مستقبل القبلة غفرله وكوشف بعض الاولياء رضى الله عنهم قال انى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها اثرا وهذا اذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغانى واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب تتوقع ولادتها وفى الخبر أكثروا من الطواف

هذا البيت قبل أن يرفع بعد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله تعالى اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره

(فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته)

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة (الاول) خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحاج اذا حجوا ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت (الثاني) تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أي يثوبون ويعودون اليه مرة أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل (الثالث) الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطر وبالحرى ان يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع وروي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبرائيل ما القى من الطائفين حولي من تفكرهم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم أي انه على مجرد الارادة ويقال ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنبا بركية أحب الي من أن اذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى أن لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به أفضل أي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى الي ولولا اني أخرجت منك لما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه

(فضيلة المدينة على سائر البلاد)

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالاعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الارض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك سائر الاعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الاقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا والحديث انما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحال الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء عليهم السلام مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك في غاية الاحالة فاذا جوّز هذا فقبور الاولياء والعلماء والصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب الى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له قال صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأي موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من بورك له في شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال أبو نعيم رأيت سفيان وقد جعل جرابه على كتفه واخذ نعليه بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املأ فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني عن قرية فيها رخص اقيم فيها قال فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت برخص في بلد فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه انه قال والله ما ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار

إليك بالأصابع أراد السفر فقيل فالعراق قال بلد الجبابرة وقيل مكة قال مكة تذيب
الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزمت على المجاورة بمكة فأوصني قال أوصيك
بثلاث لا تصلين في الصف الأول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وإنما كره
الصف الأول لأنه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيخلط بعمله التزين والتصنع

(الفصل الثاني) في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

(أما الشرائط) فشرط صحة الحج اثنان الوقت والإسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه
إن كان مميزا ويحرم عنه وليه إن كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف
والسعي وغيره وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من
يوم النحر فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من
كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال
عقيبه لاشتغاله بأعمال منى * (وأما شروط وقوعه عن حجة الإسلام فخمسة) *
الإسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فإن أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد
وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأهما عن حجة الإسلام
لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا شاة وتشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن
فرض الإسلام إلا الوقت * (وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ) فهو براءة
ذمته عن حجة الإسلام فحج الإسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف ثم النذر
ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه * (وأما شروط
لزوم الحج فخمسة) * البلوغ والإسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض
الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه
الإحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج * (وأما الاستطاعة فنوعان) * أحدهما
المباشرة وذلك له أسباب أما في نفسه فبالصحة وأما في الطريق فبأن يكون خصبة
آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر وأما في المال فبأن يجد نفقة ذهابه وإيابه إلى وطنه كان
له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديد وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة
وأن يملك ما يقضي به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها محمل أو زاملة إن استمسك
على الزاملة * وأما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج
عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الإسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب راجلا في هذا النوع
والابن إذا عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به
مستطيعا لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للوالد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن
استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فإن تيسر له ولو في آخر عمره سقط
عنه وإن مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته
يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس فهلك
ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم
يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب

فى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعى ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله عز وجل ربّ ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت قال اجج ٭ (واما الاركان التى لا يصح الحج دونها فخمسة) ٭ الاحرام والطواف والسعى بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ست الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمى فيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب ٭ (واما وجوب اداء الحج والعمرة فثلاثة) ٭ الاول الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر واقصل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع ٭ الثانى القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض فى الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شئ عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة ٭ الثالث التمتع وهو ان يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط احدها ان لا يكون من حاضرى المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة ٭ الثانى أن يقدم العمرة على الحج ٭ الثالث أن تكون عمرته فى أشهر الحج ٭ الرابع أن لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج ٭ الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران ٭ (واما محظورات الحج والعمرة فستة) ٭ الاول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغى أن يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبان فان لم يجد ازارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحمل ولكن لا ينبغى أن يغطى رأسه فان احرامه فى الرأس وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فان احرامها فى وجهها ٭ الثانى الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة ٭ الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعنى دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر ٭ الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه

المدينة ولم يفسد حجه ٥ الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد ٥ السادس قتل صيد البر أعني ما يؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر ولا جزاء فيه

(الباب الثاني) في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل ٥(الجملة الاولى في السير من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمان)٥

(الاولى في المال) فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشئ قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل اوكثير ويحصل رضاه فيه (الثانية في الرفيق) ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه وجيرانه ٥ ويودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في ادعيتهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما كنت (الثالثة في الخروج من الدار) ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي ركعتين اولا يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسألك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا السلامة في سفرنا بسلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك (الرابعة) اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني

للخير

الخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه (الخامسة في الركوب) فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انى وجهت وجهي اليك وفوضت أمرى كله اليك وتوكلت في جميع امورى عليك أنت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الامور (السادسة في النزول) والسنة أن لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون أكثر سيره بالليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وماذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر مافيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق فاذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر مادب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ماسكن في الليل والنهار وهو السميع العليم (السابعة في الحراسة) ينبغى أن يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره لانه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدرى فيكون مايفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والاحب في الليل أن يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام أحدهم حرس الآخر فهو السنة فان قصده عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتى بالخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز تحصنت بالله العظيم واستغثت بالحى الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك أنت أرحم الراحمين (الثامنة) مهما علا نشزا من الارض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت

(الجملة الثانية في آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة)

(الاول) أن يغتسل وينوي به غسل الاحرام أعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة (الثاني) أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبي الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين أبيضين فالابيض هو أحب الثياب الى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد رؤي بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام (الثالث) ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا او يبدأ بالسير ان كان راجلا وعند ذلك ينوي الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (الرابع) اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على أداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك لحمي وشعري ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها (الخامس) يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك أعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم اذا اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة

(الجملة الثالثة في آداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة)

(الاول) ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود الى سبعة (الثاني) ان يقول عند الدخول في اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشرى على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك (الثالث) ان يدخل

مكة

مكة من جانب الابطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق اليها فالتأسي به أولى واذا خرج خرج من كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا * (الرابع) اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله أكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأدخلني جنتك وأعذني من الشيطان الرجيم * (الخامس) اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني أسألك في مقامي هذا في أول مناسكي أن تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجي لرحمتك الطالب مرضاتك * (السادس) أن تقصد الحجر الاسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول اللهم أمانتي أديتها وميثاقي وفيته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شئ دون الطواف وهو طواف القدوم الا أن يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف

* (الجملة الرابعة في الطواف فاذا أراد افتتاح الطواف اما للقدوم واما لغيره فينبغي أن يراعي امورا ستة) *

(الاول) أن يراعي شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمطاف وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ردائه تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها * (الثاني) اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدي الطواف * (الثالث) أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة

بيتك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأول مايحاذ والحجر ينتهي الى باب البيت فيقول
اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العائذ بك
من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابراهيم عليه السلام اللهم ان بيتك
عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم
وحرم لحمي ودمي على النار وآمني من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة
ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني أعوذ بك
من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل
والمال فاذا بلغ الميزاب قال اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك اللهم اسقني
بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبدا فاذا بلغ الركن الشامي قال
اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور
رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال اللهم
اني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات
وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار
فاذا بلغ الحجر الاسود قال اللهم اغفر لي برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر
وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة
أشواط فيدعو بهذه الادعية في كل شوط (الرابع) أن يرمل في ثلاثة أشواط ويمشي
في الاربعة الاخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطا وهو
دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة
والقوة هكذا كان القصد أولا ثم بقيت تلك السنة والافضل الرمل
مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل فليخرج الى حاشية المطاف
وليرمل ثلاثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش أربعا وان أمكنه استلام الحجر في كل
شوط فهو الاحب وان منعه الزحمة أشار باليد وقبل وكذلك استلام الركن اليماني
يستحب من سائر الاركان وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليماني
ويقبله ويضع خده ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على
الاستلام أعني اللمس باليد فهو أولى (الخامس) اذا تم الطواف سبعا فليات الملتزم
وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلزق بالبيت وليتعلق بالاستار
وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم
يا رب البيت العتيق أعتق رقبتي من النار وأعذني من الشيطان الرجيم وأعذني
من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد
عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله
كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل
كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع

ويقول

ويقول لمواليه تنحوا عني حتى أقر لربي بذنوبي * (السادس) اذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الاولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة أن يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الاخرى والاولى واعصمني بألطافك حتى لا أعصيك وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم وكما هديتني الى الاسلام فثبتني عليه بألطافك وولايتك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك وأجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة وهذه كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يبتدئ بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عداها هذا فهو سنن وهيآت

(الجملة الخامسة في السعي)

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع الذي بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون اللهم اني أسألك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجة عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدئ السعي وهو يقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الاعز الاكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينة حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو اول

ما يلقاه ادا نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا انتهى اليه ونحن محاذاه الميل ستة أذرع أخذ في السعي السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا مثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فينبغي أن لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي أن يقع بعد طواف أي طواف كان

(الجملة السادسة في الوقوف وما قبله)

الحاج اذا انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي أن يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد ابراهيم عليه السلام الى الموقف أفضل وآكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذا منى فامنن علي بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وأفضل فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلاة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والافضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الاحب أن يلبي تارة

ويكب

ويكب على الدعاء أخرى وينبغي أن لا يفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع
في عرفة بين الليل والنهار وان أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند امكان الغلط
في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد
فاته الحج فعليه أن يتحلل عن احرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي
العام الآتي وليكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك
الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعاء المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن السلف
في يوم عرفة أولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي
ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير اللهم اجعل في قلبي نورا
وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري
وليقل اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخير مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
واليك مآبي واليك ثوابي اللهم اني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب
القبر اللهم اني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما في النهار ومن شر ما تهب به الرياح
ومن شر بوائق الدهر اللهم اني أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك
اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والاولى يا خير مقصود واسنى منزول به واكرم
مسئول ما لديه اعطني العشية أفضل ما اعطيت احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم
الراحمين اللهم يا رافع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات ضجت
اليك الاصوات بصنوف اللغات نسألك الحاجات وحاجتي ان لا تنساني في دار البلاء
اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى
عليك شئ من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف
بذنبه اسألك مسئلة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف
الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه
اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسؤلين واكرم المعطين الهي
من مدح لك نفسه فاني لائم نفسي الهي أخرست المعاصي لساني فمالي وسيلة من عمل
ولا شفيع سوى الامل الهي اني أعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار
وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم أكن أهلا أن ابلغ رحمتك فان رحمتك أهل
أن تبلغني ورحمتك وسعت كل شئ وأنا شئ الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها
صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي أنت أنت وأنا أنا العواد الى الذنوب
وأنت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لا ترحم الا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون
الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما أعظم حجتك
علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي عنك وفقري اليك وغناك
عني الا غفرت لي يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد
عليه السلام اتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج
وهب لي ما سألت وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا

يحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما أنت صانع العشيه بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب اليك في نجاح حوائجه راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك أنخنا واياك أملنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا واليك بأثقال الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يامن ليس معه رب يدعى ويامن ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يامن لا يزداد على كثرة السؤال الا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفى ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمأنت النفس بتتابع نعمك وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والارضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شئ لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا أساء عبادك حلمت وأمهلت وان أحسنوا تفضلت وقبلت وان عصوا سترت وان أذنبوا عفوت وغفرت واذا دعونا أجبت واذا نادينا سمعت واذا أقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فأرضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فأعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا وانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو ان يقول يامن لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يامن لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسئلة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليدع بما بداله وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح في الدعاء وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شئ وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من اجلي وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت الى اهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني

كنت

كنت فيهم

(الجملة السابعة في بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف)

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل وأيضاع الابل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا توطئوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب الى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها ألسنة مختلفة نسألك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض فاذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم اذا انتصف الليل يأخذ في التأهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها أحجار رخوة فيأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوي عليه أطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في المسير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعوا الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام ابلغ روح محمد منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي محسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا أسرع في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقيد رمح وكيفيته أن يقف مستقبلا للقبلة وان استقبل الجمرة فلا بأس ويرمي سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض

الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا اله الا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى ان كان معه والاولى أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك واليك تقبل منى كما تقبلت من خليلك ابراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقرة بالشاة والشاة أفضل من مشاركة ستة في البدنة أو البقرة والضأن أفضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأضحية الكبش الأقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء قال أبو هريرة البيضاء أفضل في الأضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كانت من هدى التطوع ولا تضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع في الأنف والأذن القطع منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق والخرقاء من أسفل والمقابلة المخروقة الأذن من قدم والمدابرة من خلف والعجفا المهزولة التي لا تنقى أي لا مخ فيها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والأصلع يستحب له امرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل المحذورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر الى أي وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام ولا تحل له النساء الى أن يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي أن يعيد السعي * وأسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ولكن الأحسن أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الحج أربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقيب الزوال وكلها أفراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا أصبح اليوم

الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرمي اليها سبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم أحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شئ عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي يوم النفر الثاني أحدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يترك حضور الفرائض مع الامام في مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا أفاض من منى فالاولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فان لم يفعل ذلك فلا شئ عليه

(الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع)

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيف ما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت فاذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربي فكيف أراهما أهلا لان أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشيتا والى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتوي منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له اى يشفي ما قصد به

(الجملة التاسعة في طواف الوداع)

مهما عزم له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز اولا اشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر اشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم ان البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك

وإن أمتك جلتي على ما جرت لي من حلمك حتى سيرني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضى وإلا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا بيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك أبداً ما أبقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شئ قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والأحسن أن لا ينصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

(الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها)

قال صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وقال صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد إلي فقد جفاني وقال صلى الله عليه وسلم من جاءني زائراً لا يهمه إلا زيارتي كان حقاً على الله سبحانه أن أكون له شفيعاً فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيراً فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه فإذا دخلها فليدخلها متواضعاً معظماً وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق ويكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد وليجتهد أن يصلي في المسجد الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين

وعلى ازواجك الطاهرات امّهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ماجزى نبيا عن قومه ورسولا عن امّته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك فى الاولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ماصلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامّة وجاهدت عدوّك وهديت امّتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرّف وكرّم وعظم وان كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراس عمر رضى الله عنه عند منكب ابى بكر رضى الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين فى امّته بعده بأمور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبىّ عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجلّ وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قد قلت وقولك الحق ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلى الغداة فى مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن علىّ رضى الله عنهما وفيه أيضا قبر علىّ بن الحسين ومحمد ابن علىّ وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك كله بالبقيع ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه لما روى

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان له عدل عمرة ويأتي بئر أريس يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وان أمكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه وسلم لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ثم اذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان يأتي القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسئل الله عز وجل أن يرزقه العودة اليه ويسأل السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزاري بزيارته وأصحبني في سفري السلامة ويسر رجوعي الى أهلي ووطني سالما يا أرحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا

(فصل في سنن الرجوع من السفر)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي أن يستعمل هذه السنة في رجوعه فاذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى أهله من يخبرهم بقدومه كي لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

(الباب الثالث) في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

(بيان دقائق الآداب وهي عشرة)

(الاول) أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى في خبر من طريق أهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة أعراض الدنيا التي يتصور أن تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك الا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه ولست أقول لا تحل الاجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل ام موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها فمن كان مثاله في أخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الاجرة بل يأخذ الاجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم *(الثاني)* أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطريق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فانه لو قعد في البيت ورجع من الطريق لم يؤخذ منه شئ بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار *(الثالث)* التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد وأعني بالاسراف التنعم بأطايب الاطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين فأما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحاج اخلصهم نية وأزكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس

له جزاء الا الجنة فقيل يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام * (الرابع) ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال ما أراك تعرفه * (الخامس) أن يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك الافضل أوصى عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى الموقف والى منى آكد منه في الطريق وان أضاف الى المشي الاحرام من دويرة أهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر رضي الله عنه وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد عن ضجر النفس وأقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي أن يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو أفضل فان كان يضعف ويؤدي به ذلك الى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل كما ان الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق * وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشي فيها أو يكتري حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشي وان كان المشي أشد عليه كالاغنياء فالمشي له أفضل فكأنه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل له أن يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو أولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة واذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه * (السادس) أن لا يركب الا زاملة أما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف على الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان أحدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفين المتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج

وكان

وكان العلماء في وقته ينكرونها فروى سفيان الثورى عن أبيه أنه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رأيت في جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما أحدث الحجاج من الزى والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج * (السابع) أن يكون رث الهيئة أشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين المترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد أمر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الحديث انما الحاج الشعث التفث يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاؤا شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والاظفار وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشياء وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيف ما كانت على العموم فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفره فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية حمر على الاقتاب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل * (الثامن) أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكترى بشرط ان لا ينزل ويوفى الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكارى وكل من آذى بهيمة وحملها مالا تطيق طولب به يوم القيامة قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت يا أيها البعير لا تخاصمني الى ربك فانى لم أكن احملك فوق طاقتك وعلى الجملة في كل كبد حراء أجر فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى قال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى أستأمر الجمال فانى قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا * (التاسع) أن يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل منه ان كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى ومن يعظم شعائر الله أى تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات أفضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة

فان افضل ذلك أعلاه ثمنا وانفسه عند أهله وروى ابن عمر أن عمر رضي الله عنهما أهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أو قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج قال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل آدمي يوم النحر أحب الى الله عز وجل من اهراقة دما وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وان الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فأبشروا وقال صلى الله عليه وسلم استجيدوا هداياكم فانها مطاياكم يوم القيامة (العاشر) أن يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدي وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن ان أصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران اصابه ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله عز وجل و يقال ان من علامة قبول الحج أن يترك ما كان عليه من المعاصي وان يتبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى آخره

اعلم ان اول الحج الفهم فهم اعني موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه (أما الفهم) اعلم أنه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة والزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في

الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على أتباع الشهوات وهجر والتجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنها بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال صلى الله عليه وسلم أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعنى الحج وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون فأنعم الله عز وجل على هذه الامة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه تعالى ونصبه مقصد العباد وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى الى معانيها العقول كرمى الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله وتفرغ للعبادة وبالكف عن الشواغل والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات السعى ورمى الجمار وأمثال هذه الاعمال فلا حظ للنفوس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل فى معانيها فلا يكون فى الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث أنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف الطبع والانس عن محل طبعه فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك فى صلاة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج ان شاء الله تعالى *(وأما الشوق) فانما ينبعث بعد الفهم والتحقيق بأن البيت بيت الله عز وجل وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله عز وجل وزائر له وان من قصد البيت فى الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم فى دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية فى دار

الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله عز وجل ولا تليق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان أمدت في الآخرة بالبقاء وبرهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار وبذلك بالقصد البيت والنظر اليه يستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله عز وجل يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ماله الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله عز وجل فبالحرى أن يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل ‌ه (وأما العزم) فليعلم أنه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله عز وجل فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على امر رفيع شأنه خطر أمره وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من أفحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير ‌ه (واما قطع العلائق) فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له اولا تستحي ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ امره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما أنك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقاء وآخرا الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود اليه وليكتب وصيته لاولاده واهله فان المسافر وماله لعلى خطر الا ما وقى الله سبحانه وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر ‌ه (واما الزاد) فيطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير ‌ه (وأما الراحلة) اذ احضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى دار الآخرة وهي الجنازة

التي يحمل عليها فان أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر الى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاد الله لذلك السفر على ذلك المركب في أقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن * (وأما شراء ثوبي الاحرام) فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره اليه وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما في الكفن * (وأما الخروج من البلد) فليعلم عنده أنه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله عز وجل في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم امره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا بأعماله في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل اليه وادركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وافدا اليه اذ قال جل جلاله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله * (واما دخول البادية الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات) فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخوف القبر * (واما الاحرام والتلبية بالميقات) فليعلم ان معناه اجابة نداء الله عز وجل فارج ان تكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهي محل الخطر * قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه * وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمان الداراني رضي الله عنه حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا واخذته الغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله سبحانه اوحى الى موسى عليه السلام مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا أحمد

لمعنى ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في
يديك فما تأمن أن يقال لك ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات
اجابته لنداء الله عز وجل اذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم
من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ومنقسمين الى
مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الامر بين الخوف والرجاء
تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم اتمام الحج وقبوله أم لا *(وأما دخول
مكة) فليتذكر عندها أنه قد انتهى الى حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده ان يأمن بدخوله
من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا
ومستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم
وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع *(وأما وقوع البصر على البيت)
فينبغي أن يحضر عند ذلك عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة
تعظيمه اياه وارج أن يرزقك الله النظر الى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر الى بيته
العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين عليه
واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة
ثم انقسامهم الى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين
ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال
الآخرة *(وأما الطواف بالبيت) فاعلم انه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم
والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة
المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظن أن المقصود طواف جسمك
بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر الا منه ولا تختم
الا به كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف
القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد
بالبصر وهي عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي
لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب
والملكوت لمن فتح الله له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بأن البيت المعمور
في السموات بازاء الكعبة فان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت
رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا
بأن من تشبه بقوم فهو منهم والذي قدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان
الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى
*(وأما الاستلام) فاعتقد عنده انك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك
على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر الاسود يمين الله عز وجل في الارض
يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه *(وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق

بالملتزم

بالملتزم) فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لا فى البيت ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الالحاح فى طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب اليه المتضرع اليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا كرمه وعفوه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن فى المستقبل * (وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت) فانه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى اظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أورد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية ان لم يرحم فى الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران * (وأما الوقوف بعرفة) فاذكر ما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم فى الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم فى عرصات القيامة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله عز وجل فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات من الصالحين وأرباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله سبحانه أيديهم وامتدت اليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق الى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد * (وأما رمى الجمار) فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وانه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل اليك أنه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهى اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصا الى العقبة وفى

الحقيقة رمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام اعدائه الا بامتثال امر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الامر من غير حظ النفس والعقل فيه * (واما ذبح الهدى) فاعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فأكمل الهدى وارجوان يعتق الله بكل جزء منه جزأ منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى أكبر واجزاؤه اوفر كان فداؤك من النار اعم * (واما زيارة المدينة) فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اليها هجرته واتخذها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم تطؤه الا وهو موضع اقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله تعالى به على الذين ادركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم أسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر انك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته في الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم يرفع الله الي اقواما فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يارب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شرعه ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن ان يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك له وشوقك الى ان تنظر الى آثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما احدرك بأن ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وان فرائض الله سبحانه اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم املك في الله سبحانه ان يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما وما احدر هذا المكان بأن يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكي عن ابي سليمان انه قال حج اويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذلي بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون * (واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم) فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه عالم بحضورك

وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف في الحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية كانها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والانصار رضي الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وانه ليس يدري أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الانس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس لعنه الله فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك تم كتاب أسرار الحج يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على أهل الافتكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل به من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي أرشد الاولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته

مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب
الظاهرة وذلك مالابد من بيانه وتفصيله وينكشف مقاصده في اربعة أبواب
(الباب الاول) في فضل القرآن وأهله (الباب الثاني) في آداب التلاوة في الظاهر
(الباب الثالث) في الاعمال الباطنة عند التلاوة (الباب الرابع) في فهم القرآن وتفسيره
بالرأي وغيره

(الباب الاول) في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته

(فضيلة القرآن)

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي افضل مما اوتي فقد
استصغر ما عظمه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند
الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في
اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة امتي تلاوة القرآن وقال
صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام
فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا
وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال
صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسئلتي
أعطيته أفضل ثواب الشاكرين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة على كثيب
من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ
القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوما وهم به راضون وقال صلى الله عليه
وسلم أهل القرآن أهل الله وخاصته وقال صلى الله عليه وسلم ان القلوب تصدأ كما يصدأ
الحديد فقيل يارسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال صلى الله عليه
وسلم لله أشد أذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته (الآثار) قال أبو امامة
الباهلي اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء
للقرآن وقال ابن مسعود اذا أردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين
وقال أيضا اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات أما اني
لا أقول الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال أيضا لا يسأل أحدكم
عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله
عليه وسلم وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى عليه وسلم وقال
عمرو بن العاصي كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال أيضا من قرأ
القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا أنه لا يوحى اليه وقال أبو هريرة ان البيت الذي
يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين
وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه
الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام فقلت
يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو

بغير فهم تال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي "اذا سمع الناس القران من الله عز وجل" يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له الى أحد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج الخلق اليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القران وقال سفيان الثوري "اذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل" له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويروى أن خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ علي" القران فقرا عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية فقال له أعد فأعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمورق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله مادون القران من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماههنا أحد نستأنس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي" بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاث يردن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام وقراءة القران

(في ذم تلاوة الغافلين)

قال انس بن مالك رب تالي القران والقران يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال ابو سليمان الداراني الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل" منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القران وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن ادم القران ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القران لانه بلغني ان اصحاب القران يسئلون عما يسأل عنه الانبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذا الناس نيامون وبنهاره اذا الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذ الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القران ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامّة قراؤها وقال صلى الله عليه وسلم اقرأ القران ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه وقال صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقران من استحل محارمه وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك فقال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء انّ العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل

ويعدونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته اليك أنظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومأت اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني أفجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك

(الباب الثاني) في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة

(الاول في حال القارئ) وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالسا على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلاة قائما وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه أفرغ للقلب قال ابو ذر الغفاري رضي الله عنه ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل (الثاني في مقدار القراءة) وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن باليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن في اقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنعه الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان يختم القرآن في كل سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة رضي الله

عنهم يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابى بن كعب رضى الله عنهم ففى الختم اربع درجات فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم فى كل شهر كل يوم حزب من ثلاثين جزأ وكانه مبالغة فى الاقتصار كما ان الاول مبالغة فى الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما فى الاسبوع مرة والثانية فى الاسبوع مرتين تقريبا من الثلاث والاحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته فان الملائكة عليهم السلام تصلى عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسى فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل فى مقدار القراءة أنه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر فى معانى القرآن فقد يكتفى فى الشهر بمرة لكثرة حاجته الى كثرة الترديد والتأمل (الثالث فى وجه القسمة) أما من ختم فى الاسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزابا فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثانى خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق الى آخره فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تعمل الاخماس والعواشر والاجزاء فما سوى هذا محدث (الرابع فى الكتابة) يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الاخماس والعواشر والاجزاء وروى عن الشعبى وابراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الاجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدى الى احداث زيادات وحسما للباب وتشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محظور واستقر امر الامة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع ذلك من كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل فى اقامة الجماعات فى التراويح انها من محدثات عمر رضى الله عنه وانها بدعة حسنة انما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة ويكاد يفضى الى تغييرها وبعضهم كان يقول أقرأ فى المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسى وقال الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير كان القرآن مجردا فى المصاحف فأول

ما أحد ثوابه المط على الساء والتاء وقال لا بأس به فانه نوره ثم احدث نوابعد نقطا كبارا عند منتهى الآى فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم أحدث نوابعد ذلك الفواتح والعواشر قال ابو بكر الهذلى سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت تعربون الكلمة بالعربية قال أما اعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء أتيت على ابن سيرين رأسه يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذى احدث ذلك واحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا اجزاءه وقسموه الى ثلاثين جزأ والى اقسام اخر (الخامس الترتيل) هو المستحب فى هيئة القرآن لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس رضى الله عنه لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الى من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال ايضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الى من ان اقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى الصلاة فكان قيام احدهما واحدا الا ان احدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما فى الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة ايضا الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال (السادس البكاء) مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المرى قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وقال ابن عباس رضى الله عنه اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى اوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك اعظم المصائب (السابع أن يراعى حق الآيات) فاذا مر بآية سجدة سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالى ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفى القرآن اربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان وليس فى ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها مثل ان يقرأ قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على اوليائك واذا قرأ قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وكذلك فى كل سجدة ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة

واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد وقد قيل فى كمالها انه يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الامر فى السجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم المأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه اذا كان مأموما (الثامن أن يقول فى مبتدا قراءته) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم وفى أثناء القراءة اذا مرّ بآية تسبيح سبح وكبر واذا مرّ بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مرّ بمرجو سأل وان مرّ بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمرّ بآية رحمة الا سأل ولا بآية عذاب الا استعاذ ولا بآية تنزيه الا سبح فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه وسلامه عند ختم القران اللهم ارحمنى بالقران واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته اناء الليل واطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين (التاسع فى الجهر بالقراءة) ولا شك فى انه لا بدّ ان يجهر به الى حدّ يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بدّ من صوت فأقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بأن يسمع غيره فهو محبوب على وجه مكروه على وجه اخر ويدل على استحباب الاسرار ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السرّ على صدقة العلانية وفى لفظ اخر الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسرّ به كالمسرّ بالصدقة وفى الخبر العامّ يفضل عمل السرّ على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى وفى الخبر لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلى فمره أن يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع صوته وقال يا أيها المصلى ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من اصحابه يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلى فليجهر بالقراءة فان الملائكة وعمار الدار يسمعون قراءته ويصلون بصلاته ومرّ صلى الله

عليه وسلم بلابة من أصحابه رضي الله عنهم مختلفي الاحوال فمر على أبي بكر رضي الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذي أناجيه هو يسمعني ومر على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم كلكم قد احسن وأصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث أن الاسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لان العمل فيه أكثر ولان فائدته أيضا يتعلق بغيره فالخير المتعدي أفضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم في رفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينبسط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمتى حضره شئ من هذه النيات فالجهر أفضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصاحف أفضل اذ يزيد في العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر في المصحف أيضا عبادة وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرؤن في المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظر في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعي شغلكم الفقه عن القرآن اني لا صلي العتمة واضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح (العاشر) تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم وذلك سنة قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم وقال عليه السلام ما أذن الله لشئ اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الالحان به وهو أقرب عند اهل اللغة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم ما حبسك قالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله واستمع صلى الله عليه وسلم ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل فقال صلى الله عليه وسلم اني احب ان أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان واستمع

صلى الله عليه وسلم الى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا ورأى هيثم القارئ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام قال فقال لى أنت الهيثم الذى تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفى الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القران وكان عمر يقول لابى موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول اولسنا فى صلاة اشارة الى قوله عز وجل ولذكر الله أكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى اية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة وفى الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الأجر الا أن يكون قصده الرياء والتصنع

(الباب الثالث) فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلى عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى (فالأوّل) فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله الى درجة أفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه فى ايصال معانى كلامه الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته الى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طىّ حروف وأصوات هى صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى افهام صفات الله عز وجل الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بأمثلة على حدّ فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال انّ كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وانّ الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتى اسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل طوّقه ذلك واستعمله به ولقد تأنق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى ايصال معانى الكلام مع علوّ درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك حكيم الى شريعة الانبياء عليهم السلام فسأله الملك عن امور فأجاب بما يحتمله فهمه فقال الملك أرأيت ما تأتى به الانبياء اذا ادّعيت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا رأينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها واقبالها وادبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير

والاصوات القريبة من أصواتها لكى يطيقوا احتمالها وكذلك الناس يعجزون عن حمل
كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا اليهم من الاصوات التى
سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت به الدواب من الناس ولم تمنع ذلك
معانى الحكمة المخبوءة فى تلك الصفات من أن شرف الكلام أى الاصوات لشرفها وعظم
لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن
أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها
والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل وهو
القاضى العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة
كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة
كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين
الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب
الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم
الزاهرة التى قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب
الحياة الذى من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام الذى من سقى منه لم يسقم فهذا الذى
ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغى أن
يقتصر عليه (الثانى) التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغى أن يحضر
فى قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن فى تلاوة كلام الله
عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما أن ظاهر جلد المصحف
وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه أيضا بحكم
عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور
التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان
ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة ابن أبى جهل اذا نشر المصحف
غشى عليه ويقول هو كلام ربى هو كلام ربى فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره
عظمة المتكلم ما لم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله فاذا حضر بباله العرش والكرسى
والسموات والارض وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم أن الخالق
لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وأن الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله
ورحمته وبين نقمته وسطوته ان أنعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذى يقول هؤلاء
فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى وهذا غاية العظمة والتعالى فبالتفكر فى أمثال
هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام (الثالث) حضور القلب وترك حديث النفس
قيل فى تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة أى بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجردا
له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرأت القرآن تحدث نفسك
بشئ فقال أوشئ أحب الى من القرآن حتى أحدث به نفسى وكان بعض السلف اذا قرأ
سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم

للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي أهلاله فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراآت بساتين القرآن والحاآت مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات ديابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ماسوى ذلك فاذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره (الرابع التدبر) وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا أن يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك ان كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها امامه فهذا وسواس فقد روي عن عامر ابن عبد قيس أنه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل في أمر الدنيا فقال لأن تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل وأني كيف أنصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ماهو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بأن يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا ويروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فردّدها عشرين مره وانما ردّدها صلى الله عليه وسلم لتدبره في معانيها وعن أبي ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الآية وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول آية لا اتفهمها ولا يكون قلبي فيها الا اعدّلها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لأتلو الآية وأقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا ايضا يقول اقمت نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة (الخامس التفهم) وهو ان يستوضح عن كل آية ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله

عزوجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الانبياء وذكر أحوال المكذبين لهم وانهم كيف أهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار وأما صفات الله عزوجل فكقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتأمل معانى هذه الاسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه أشار على رضى الله عنه بقوله ما أسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس الا أن يؤتى الله عزوجل عبدا فهما فى كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عزوجل وصفاته اذ لم يدرك أكثر الخلق منها الا امورا لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها * وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عزوجل وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه فى كل شئ اذ كل شئ فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه فى كل مايراه فكأنه ماعرفه ومن عرفه عرف أن كل شئ ما خلا الله باطل وان كل شئ هالك الا وجهه لا أنه سيبطل فى ثانى الحال بل هو الآن باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عزوجل وقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدء من مبادى علم المكاشفة ولهذا ينبغى اذا قرأ التالى قوله عزوجل أفرأيتم ما تحرثون أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم الماء الذى تشربون أفرأيتم النار التى تورون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالاشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ماظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى ماظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها الى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة ويرى الصانع * (وأما أحوال الانبياء عليهم السلام) * فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عزوجل عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه واذا سمع نصرتهم فى آخر الامر فليفهم قدرة الله عزوجل وارادته لنصرة الحق (وأما أحوال المكذبين) كعاد وثمود وماجرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه وأنه ان غفل وأساء الادب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب

ولا يابس

ولا يابس الا فى كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال على رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما فى القرآن ولو فى أدنى الدرجات دخل فى قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هى الموانع التى سنذكرها فى موانع الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد فى القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد (السادس) التخلى عن موانع الفهم فان أكثر الناس منعوا عن فهم معانى القرآن لاسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى الملكوت ومعانى القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم أربعة * أولها أن يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم أنه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعانى وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس * ثانيها أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم (فأما العلم الحقيقى) الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد فى الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا فى القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه ولو استقر فى نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الظاهر والباطن فى كتاب قواعد العقائد * ثالثها أن يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى فى الجملة

هوى في الدنيا مطاع فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع
جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون وكلما كانت
الشهوات أشد تراكما كانت معاني الكلام أشد احتجابا وكلما خف عن القلب أثقال
الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدأ ومعاني القرآن مثل
الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام
وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي وقال الفضيل يعني
حرموا فهم القرآن وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير فقال تعالى تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب وقال عز وجل وما يتذكر إلا من ينيب وقال تعالى إنما يتذكر
أولوا الألباب فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب ولذلك
لا تنكشف له أسرار الكتاب * رابعها أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه
لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء
ذلك تفسير بالرأي وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضا من
الحجب وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وأن ذلك لا يناقض قول علي
رضي الله عنه إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول
لما اختلف الناس فيه (السادس) التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب
في القرآن فإن سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المنهي والمأمور وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل
ذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به
وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد أن الله
ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين
لانتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى
الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم
من الكتاب والحكمة يعظكم به وقال عز وجل لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا
تعقلون وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم كذلك يضرب الله للناس
أمثالهم واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة
لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وإذا قصد بالخطاب جميع
الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد القارئ مقصود فما له ولسائر الناس
فليقدر أنه المقصود قال الله تعالى وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال
محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله وإذا قدر ذلك لم يتخذ
دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل
بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده

نتد برها فی الصلوات وتقف علیہا فی الخلوات وننفذها فی الطاعات والسنن المتبعات وکان مالک بن دینار یقول مازرع القرآن فی قلوبکم یا أهل القرآن ان القرآن ربیع المؤمن کما ان الغیث ربیع الارض وقال قتادة لم یجالس أحد هذا القرآن الا قام بزیادة او نقصان قال الله تعالی هو شفاء و رحمة للمؤمنین ولا یزید الظالمین الا خسارا (الثامن) التأثر وهو ان یتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآیات فیکون له بحسب کل فهم حال و وجد یتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغیره ومهما تمت معرفته کانت الخشیة اغلب الاحوال علی قلبه فان التضییق غالب علی ایات القرآن فلا تری ذکر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط یقصر العارف عن نیلها کقوله عزوجل وانی لغفار ثم اتبع ذلک بأربعة شروط لمن تاب و آمن وعمل صالحا ثم اهتدی وقوله تعالی والعصر ان الانسان لفی خسر الا الذین امنوا وعملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر ذکر أربعة شروط وحیث اقتصر ذکر شرطا جامعا فقال تعالی ان رحمة الله قریب من المحسنین فالاحسان یجمع الکل وهکذا من یتصفح القرآن من أوله الی اخره ومن فهم ذلک فجدیر بان یکون حاله الخشیة والحزن ولذلک قال الحسن والله ما أصبح الیوم عبد یتلوا القرآن یؤمن به الا کثر حزنه وقل فرحه وکثر بکاؤه وقل ضحکه وکثر نصبه وشغله وقلت راحته و بطالته وقال وهیب بن الورد نظرنا فی هذه الاحادیث والمواعظ فلم نجد شیأ أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة ان یصیر بصفة الآیة المتلوة فعند الوعید وتقیید المغفرة بالشروط یتضاءل من خیفته کانه یکاد یموت وعند التوسع و وعد المغفرة یستبشر کانه یطیر من الفرح وعند ذکر الله وصفاته واسمائه یتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذکر الکفار ومایستحیل علی الله عز وجل کذکرهم لله عزوجل ولدا وصاحبة یغض صوته و ینکسر فی باطنه حیاء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ینبعث بباطنه شوقا الیها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لابن مسعود اقرأ علی قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فکیف اذا جئنا من کل امة بشهید وجئنا بک علی هؤلاء شهیدا رأیت عینیه تذرفان بالدمع فقال لی حسبک الآن وهذا لان مشاهدة تلک الحالة استغرقت قلبه بالکلیة ولقد کان فی الخائفین من خر مغشیا علیه عند آیات الوعید ومنهم من مات فی سماع الآیات فمثل هذه الاحوال یخرج عن أن یکون حاکیا فی کلامه واذا قال انی أخاف ان عصیت ربی عذاب یوم عظیم فاذا لم یکن خائفا کان حاکیا واذا قال علیک توکلنا والیک أنبنا والیک المصیر ولم یکن حاله التوکل والانابة کان حاکیا واذا قال ولنصبرن علی ما آذیتمونا فلیکن حاله الصبر أو العزیمة علیه حتی یجد حلاوة التلاوة فان لم یکن بهذه الصفات ولم یتردد قلبه بین هذه الحالات کان حظه من التلاوة حرکة اللسان مع صریح اللعن علی نفسه فی قوله تعالی ألا لعنة الله علی الظالمین وفی قوله تعالی کبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وفی قوله عزوجل وهم فی غفلة معرضون وفی قوله فأعرض عن من تولی عن ذکرنا ولم یرد

الا الحيوة الدنيا وفى قوله تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الآيات
وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى يعنى
التلاوة المجردة وقوله عز وجل وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم
عنها معرضون لان القرآن هو المبين لتلك الآيات فى السموات والارض ومهما تجاوزها
ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فاذا قرأ
القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى ان لم تتب
الى ومثال العاصى اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات
وقد كتب اليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله
لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال
يوسف بن أسباط انى لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل الى
التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم
واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا
القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فقوموا عنه قال الله تعالى
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون
وقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه
يخشى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى
الله عز وجل فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمؤنة فى
تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لى ثم
رجعت لاقرأ ثانيا فانتهرنى وقال جعلت القرآن على عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل
فانظر ماذا يأمرك وماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة رضى الله عنهم فى الاحوال
والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ
القرآن منهم الا ستة اختلف فى اثنين منهم وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين
وكان الذى يحفظ البقرة والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله
عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال يكفى هذا
وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه وانما العزيز مثل تلك الحالة
التى من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان
فقليل الجدوى بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله
تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى وبقوله عز
وجل كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اى تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها
فان المقصر فى الامر يقال انه نسى الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو ان يشترك فيه
اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعانى
وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب
يتعظ (التاسع الترقى) وأعنى به أن يترقى الى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من

نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كانه يقرؤه على الله عز وجل واقفا
بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق
والتضرع والابتهال * الثانية أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه
بألطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم * الثالثة
أن يرى فى الكلام المتكلم وفى الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى
تعلق الانعام به من حيث أنه منعم عليه بل يكون مقصور الفهم على المتكلم موقوف
الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وماقبله
درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا أخبر
جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه
ولكنهم لا يبصرون وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه
فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال مازلت أردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم
بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته ففى مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة
ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت أتلوه
كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله
بمنزلة أخرى فانا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أتصبر عنه
وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القران وانما قالوا
ذلك لانها بالطهارة ترقى الى مشاهدة المتكلم فى الكلام ولذلك قال ثابت البنانى
كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله
عز وجل ففروا الى الله ولقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر فمن لم يره فى كل شئ فقد
رأى غيره وكل ما التفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفى
بل التوحيد الخالص أن لا يرى فى كل شئ الا الله عز وجل (العاشر التبرى) واعنى أن
يتبرأ من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضاء والتزكية فاذا تلى ايات الوعد
والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها
ويتشوق ان يلحقه الله عز وجل بهم واذا تلى اية المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على
نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول
اللهم انى استغفرك لظلمى وكفرى فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله عز وجل
ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال
بماذا ادعو استغفر الله عز وجل عن تقصيرى سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة
التقصير فى القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من اشهد البعد فى القرب لطف به فى
الخوف حتى يسوقه الخوف الى درجة اخرى فى القرب وراءها ومن اشهد القرب فى البعد
مكر به بالامن الذى يفضيه الى درجة اخرى فى البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان
مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم

شاهد الا الله تعالى فى قراءته كشف له سر الملكوت قال سليمان بن ابى سليمان الدارانى رضى الله عنه وعد ابن ثوبان أخاله ان يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له وعدتنى أنك تفطر عندى فأخلفت فقال لولا ميعادى معك ما أخبرتك بالذى حبسنى عنك انى لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لانى لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت الى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فمازلت انظر اليها حتى أصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء و تغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لان كلام الله عزوجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب فى اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة و يقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالى وكلام حنان متعطف لا يهمل

(الباب الرابع) فى فهم القرآن و تفسيره بالرأى من غير نقل

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق فى فهم اسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير وعلى أهل التصوف من المفسرين المنسوبين الى التصوف فى تأويل كلمات فى القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من زعم أن لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب فى الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ فى الحكم برد الخلق كافة الى درجته التى هى حده ومحطه بل الاخبار والآثار تدل على ان فى معانى القرآن متسعا لارباب الفهم قال على رضى الله عنه الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها فى غاية الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقال بعض العلماء لكل اية ستون الف فهم وما بقى من فهمها اكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين الف علم ومائتى علم اذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعة اضعاف لكل

واحد

واحد ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن
الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيها والا فترجمتها وتفسيرها ظاهر
لا يحتاج مثله الى تكريره وقول ابن مسعود رضي الله عنه من اراد علم الاولين
والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها
داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القران شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم
لا نهاية لها وفي القران اشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع الى فهم
القران ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف
فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القران اليه رموز ودلالات عليه يختص اهل
الفهم بدركه فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقرؤا
القرآن والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث علي كرم الله وجهه والذي
بعثني بالحق نبيا لتفترقن امتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة
كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه
بيان ما كان قبلكم وبيان ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله
عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل هو حبل الله المتين ونوره المبين
وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا
تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد الحديث وفي حديث حذيفة لما أخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فماذا تأمرني ان
أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأعدت عليه
ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة
وقال علي كرم الله وجهه من فهم القران فسر جمل العلم أشار به الى أن القران يشير الى
مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القران وقال عز وجل ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما
وعلما وسمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم
وجعله مقدما على الحكم والعلم فهذه الامور تدل على أن في فهم معاني القران مجالا رحبا
ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فأما قوله صلى الله
عليه وسلم من فسر القران برأيه ونهيه عنه صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك مما ورد في
الآثار والاخبار في النهي عن تفسير القران وقول أبي بكر رضي الله عنه اي ارض
تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القران برأيي الى غير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار
في النهي عن التفسير بالرأي فلا يخلو اما ان يكون المراد الاقتصار على النقل والمسموع
وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به امرا اخر وباطل قطعا ان يكون المراد به
ان لا يتكلم احد في القران الا بما يسمعه لوجوه * أحدها أنه يشترط ان يكون ذلك
مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض
القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو

تفسير بالرأي لأنهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من
الصحابة رضي الله عنهم * والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض
الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعاً لرد الباقي فتبين على القطع أن كل مفسر
قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل
مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل إن الر هي حروف من الرحمن وقيل إن الألف الله
واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل
مسموعاً * والثالث أنه صلى الله عليه وسلم دعى لابن عباس رضي الله عنه وقال اللهم
فقهه في الدين وعلمه التأويل فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ومحفوظاً مثله فما
معنى تخصيصه بذلك * والرابع أنه قال عز وجل لعلمه الذين يستنبطونه فأثبت لأهل
العلم استنباطاً ومعلوم أنه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض
هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من
القرآن بقدر فهمه وحد عقله وأما النهي فإنه ينزل على أحد وجهين * أحدهما أن يكون
له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج
على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك
المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو
يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل
ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك
الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير
ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له
دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار
فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فإن في السحور بركة ويزعم أن المراد به
التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي
فيقول قال الله عز وجل اذهب إلى فرعون إنه طغى ويشير إلى قلبه ويومي إلى أنه المراد
بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام
وترغيباً للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس
ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور
يعلمون قطعاً أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي ويكون
المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأي يتناول الصحيح
والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي * والوجه الثاني أن يتسارع إلى تفسير
القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما
فيها من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيها من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير
فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل

في زمرة من يفسر بالرأي فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع فنون كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم مقاصد لغة الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد منه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدر أنهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم وقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أي حب العجل فحذف الحب وقوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله تعالى واسئل القرية التي كنا فيها والعير والاهل محذوف مضمر وقوله عز وجل ثقلت في السموات والارض معناه خفيت على أهل السموات والارض والشئ اذا خفي ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم في مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون أي شكر رزقكم وقوله عز وجل آتنا ما وعدتنا على رسلك أي على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر أراد القرآن وما سبق له ذكر وقال عز وجل توارت بالحجاب أراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أي يقولون ما نعبدهم وقوله عز وجل فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين أي طور سيناء سلام على آل ياسين أي على الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على ادرياسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله عز وجل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله عز وجل قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه لولا الكلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى يسئلونك كأنك حفي عنها أي يسئلونك عنها كأنك حفي بها وقوله عز وجل لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى

قوله السابق قبل الانفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق أى وصار بانفال الغنائم لك اذ أنت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه الآية ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أوحرف أما الكلمة فكالشئ والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ أراد به النفقة مما رزق وقوله عز وجل وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ أى الامر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ أراد به من صفات الربوبية وهى العلوم التى لا يحل السؤال عنها حتى يتدئ بها العارف فى أوان الاستحقاق وقوله عز وجل أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أى من غير خالق فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شئ الا من شئ . وأما القرين كقوله عز وجل وقال قرينه هذا مالدى عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار أراد به الملك الموكل به وقوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان أراد به الشيطان وأما الامة فتطلق على ثمانية أوجه الامة الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وأتباع الانبياء كقولك نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله والامة الدين قال الله عز وجل انا وجدنا آباءنا على أمة والامة الحين والزمان كقوله عز وجل الى أمة معدودة وقوله عز وجل وادكر بعد أمة والامة القامة يقال فلان حسن الامة أى القامة وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده والامة الام يقال هذه أمة زيد أى أم زيد والروح أيضا ورد فى القرآن على معان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام فى الحروف مثل قوله عز وجل فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهى الموريات أى أثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهى المغيرات صبحا وسطن به جمعا جمع المشركين فأغاروا جمعهم وقوله تعالى فأنزلنا به الماء يعنى السحاب فأخرجنا به من كل الثمرات يعنى الماء وأمثال هذا فى القرآن لا تنحصر ومنها التدريج فى البيان كقوله عز وجل شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن اذ لم يظهر به أنه ليل أو نهار وبان بقوله عز وجل انا أنزلناه فى ليلة مباركة ولم يظهر به أى ليلة فظهر بقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وربما يظن فى الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لا يغنى فيه الا النقل والسماع فالقرآن من أوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه أنزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا فى حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل فى هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه فى موضع آخر مال رأيه الى ما سمعه من مشهور

معناه وترك تتبع النقل فى كثير معانيه فهذا مما يمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لاسرار المعانى كما سبق فاذا حصل السماع بأمثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفى ذلك فى فهم حقائق المعانى ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهره تفسير واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمى ونفى له وهما متضادان فى الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله عز وجل وكذلك قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغنى عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد ايضاح علوم كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو أنفق فى استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لا نقطع قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد فى الترقى الى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغنى عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب فى السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضى والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقى الى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فأثنى بقوله لا أحصى ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم * تم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد وصحبه وسلم يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب الاذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه

(كتاب الاذكار والدعوات)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله السابغة رأفته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى اذكروني أذكركم ودعاهم في السؤال والدعاء بأمره فقال ادعوني أستجب لكم فأطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليما كثيرا * أما بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة الى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة

(الباب الأول) في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا (الباب الثاني) في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم (الباب الثالث) في أدعية مأثورة ومعزية الى أصحابها وأسبابها (الباب الرابع) في أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الأدعية المأثورة (الباب الخامس) في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث

(الباب الأول) في فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى فاذكروني أذكركم قال ثابت البناني رحمه الله اني اعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضي الله عنه أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس رضي الله عنه له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم اياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات (وأما الأخبار) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع

عبدى ماذكرنى وتحركت شفتاه بى وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسي واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملائه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وماذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما اعطى السائلين (وأما الآثار) فقد قال الفضيل بلغنا أن الله عز وجل قال عبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر اهل الجنة على شئ الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها والله تعالى اعلم

(فضيلة مجالس الذكر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمه وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال أيضا صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه فيه ولم يصلوا على النبى الا كانت عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود صلى الله عليه وسلم الهى اذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بها على وقال صلى الله عليه وسلم

المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء وقال أبو هريرة رضي الله عنه ان أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الارض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا أخذت بأعناقهم اليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا أقواما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أي شئ تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أي شئ يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأي شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى وكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله اني أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم

٥(فضيلة التهليل)٥

قال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وقال صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كأني أنظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال صلى الله عليه وسلم أيضا لابي هريرة يا أبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة أن لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت

في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع ومافيهن كان لا اله الا الله أرجح من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له ذلك وقال صلى الله عليه وسلم يا أباهريرة لقن الموتى شهادة أن لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يارسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء قال صلى الله عليه وسلم هي أهدم وأهدم وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لتدخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يارسول الله من الذي يأبى ويشرد عن الله قال من لم يقل لا اله الا الله فأكثروا من قول لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وروى البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كان له عدل رقبة أوقال نسمة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال قال صلى الله عليه وسلم من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده الا من عمل بأفضل من عمله وقال صلى الله عليه وسلم من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيت في الجنة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي غفر له أو دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته

(فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار)

قال صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروى أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال

فقلت ومادانا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائه
مره ما بين طلوع الفجر الى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغره ويخلق الله عزوجل
من كل كلمه ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا
قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين
السماء السابعة الى الارض السفلى فاذا قال الحمد لله الثالثه قال الله عزوجل سل تعط
وقال رفاعه الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من
الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك
الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
المتكلم آنفا قال أنا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا
يبتدرونها أيهم يكتبها أولا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الباقيات الصالحات هي
لا اله الا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله
عليه وسلم ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا
حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى
النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه
وتكبيره وتحميده ينعطف حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن
اولا يحب أحدكم ان لا يزال عند الله يذكر به وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال
لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه
الشمس وفي رواية أخرى زاد لا حول ولا قوة الا بالله وقال هي خير من الدنيا وما فيها
وقال صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت رواه سمرة بن جندب وروى أبو مالك
الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله
تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر تملأن ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقه
برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها
اومشتري نفسه فمعتقها وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الكلام
احب الى الله عزوجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفى الله سبحانه لملائكته سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان
الله كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر
الى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله
وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن أبي ذر رضي الله عنه انه قال قال الفقراء لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم

ويتصدّقون بفضول اموالهم فقال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدّقون به ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة فى فى اهله فهى له صدقة وفى بضع احدكم صدقة قالوا يارسول الله يأتى احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك ان وضعها فى الحلال كان له فيها اجر وقال ابوذر رضى الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا أدلك على عمل اذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعا وثلاثين وروت بسرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعنى بالشهادة فى القيامة وقال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله عز وجل صدق عبدى لا اله الا أنا وأنا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدى لا اله الا أنا لا شريك لى وحدى واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقول الله سبحانه صدق صدق عبدى لا حول ولا قوة الا بى ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن ابيه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم يسبح الله تعالى مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة وقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة الا بالله وفى رواية اخرى ألا اعلمك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوة الا بالله وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدى واستسلم * وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة وفى رواية من قال ذلك رضى الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى فان قلت فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه * فهو قليل الجدوى وفى الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال

بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الاوقات
هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية
وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر
عنه والمطلوب ذلك الانس والحب فان المريد في بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف
قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنس به وانغرس
في قلبه حب المذكور ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فان المشاهد في العادات أن تذكر
غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق
بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولا صار مضطرا الى كثرة
الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من أحب شيأ أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر
شئ وان كان تكلفا أحبه فكذلك أول الذكر متكلف الى أن يثمر الانس بالمذكور
والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول
بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم
الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة
طويلة حتى يصير التكلف طبعا فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول
طعام يستبشعه أولا ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه
فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف هي النفس ما عودتها تتعود أي ما كلفتها أولا يصير
لها طبعا آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله عز وجل
وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال
ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله عز وجل فان كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع
العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل
ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من
السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان روح
القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فانك مفارقه أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان
ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما
تفنى الدنيا بالموت في حقه الى أن يفنى في نفسه عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الانس يتلذذ
به العبد بعد موته الى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك
بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد
الموت فيقول انه عدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر
بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وبقوله
صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر وبقوله صلى الله عليه وسلم
لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم
ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله

عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لكلامى منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا والحديث فى الصحيح هذا قوله عليه السلام فى المشركين * فأما المؤمنون والشهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم أرواحهم فى حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما أشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافى ذكر الله عز وجل وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولاجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعنى بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فان قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة الا فى صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته فى حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل مالا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الانصارى يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله عز وجل أحيا أباك فأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن على ياعبدى ماشئت أعطيكه فقال يارب أن تردنى الى الدنيا حتى أقتل فيك وفى نبيك مرة أخرى فقال عز وجل سبق القضاء منى بأنهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقى مدة ربما عادت شهوات الدنيا اليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل فى آخر الحال فى قلبه أمر الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه فى الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على مامات عليه فأسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وأعلاء كلمته فهذه الحالة هى التى عبر عنها بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره فى مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن فى حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لا اله الا الله على سائر الاذكار وذكر ذلك مطلقا فى مواضع الترغيب ثم ذكر فى بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة

الحال للقال فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معانى الذكر التى لا يمكن الزيادة عليها فى علم المعاملة

(الباب الثانى) فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فضيلة الدعاء)

قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى فليستجيبوا لى وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقال عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعونى أستجب لكم الآية وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة وروى أبو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أكرم على الله عز وجل من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال أبو ذر رضى الله عنه يكفى من الدعاء مع البر ما يكفى الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله تعالى من فضله فانه تعالى يحب ان يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج

(آداب الدعاء وهى عشرة)

(الاول) أن يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الاشهر ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول عز وجل من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له وقيل أن يعقوب صلى الله عليه وسلم انما قال سوف أستغفر لكم ربى ليدعو فى وقت السحر فقيل أنه قام فى وقت السحر وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل اليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء (الثانى) أن يغتنم الاحوال الشريفة قال أبو هريرة رضى الله عنه أن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلاة جعلت فى خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال صلى الله عليه وسلم أيضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات أيضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد

أسباب شرف الاوقات سوى مافيهامن أسرار لايطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالاجابة قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم أقرب مايكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء وروى ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أوساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن أن يستجاب لكم (الثالث) أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه روى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حى كريم يستحى من عبيده اذا رفعوا أيديهم اليه أن يردها صفرا وروى أنس انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء ولا يشير بأصبعيه وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مرّ على انسان يدعو ويشير بأصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم احد أحد أى اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ارفعوا هذه الايدى قبل أن تغل بالاغلال ثم ينبغى أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء قال عمر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مدّ يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما ممايلى وجهه فهذه هيآت اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم (الرابع) خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الاشعرى قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب ان الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم وقالت عائشة رضى الله عنها فى قوله عز وجل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أى بدعائك وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية (الخامس) أن لا يتكلف السجع فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وقد قال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدى فى دعائه فيسأل مالا تقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضى الله عنه ان العلماء يحتاج اليهم فى الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفى الخبر سيأتى قوم يعتدون فى الدعاء والطهور ومرّ بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ اشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو

ومما يدل على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير
والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان
الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق وقال ان العلماء والابدال لا يزيدون في
الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله تعالى لم يخبر في
موضع من ادعية عباده أكثر من ذلك واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام
فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا ففي الادعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم اسئلك الامن
يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك
رحيم ودود وانك تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات او ليلتمس
بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز
وجل (السادس) التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية
وقال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه (السابع) ان
يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاؤه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم اذا
دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له وقال
صلى الله عليه وسلم اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شئ وقال صلى الله
عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعا
من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان
الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق ابليس لعنه الله اذ قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون
قال انك من المنظرين (الثامن) أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان
عليه السلام اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا وينبغي أن لا يستبطئ الاجابة لقوله
صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فاذا
دعوت فاسئل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم اني أسئل الله عز وجل منذ
عشرين سنة حاجة وما اجابني وأنا ارجو الاجابة سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا
يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم ربه مسئلة فتعرف الاجابة فليقل
الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه شئ من ذلك فليقل الحمد لله على كل
حال (التاسع) أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن
الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه بقول
سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله من أراد أن يسأل
الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع
ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سألتم الله عز
وجل حاجة فابتدؤا بالصلاة علي فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي

احداهما وبردّ الاخرى رواه أبو طالب المكي* (العاشر) وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروى عن كعب الاحبار أنه قال أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببني اسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام انى لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله عز وجل يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا الى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبني اسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء فقال اقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري بلغني أن بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل الى أنبيائهم عليهم السلام لو مشيتم الى بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فانى لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم الى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك ابن دينار أصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل الى نبيهم أن أخبرهم انكم تخرجون الى بأبدان نجسة وترفعون الى أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر ألستم مقرين بالاساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم انا قد سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجارة ويروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقى فلما أضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق في المفازة الا واحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ما علمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلى فمرت بي امرأة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانتزعتها وأتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع حتى أؤمن على دعائك فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغساني أصاب الناس قحط على عهد داود

عليه السلام فاختار واثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى بسدسة وانهم فقال أحدهم اللهم انك أنزلت فى توراتك أن نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا وقال الثانى اللهم انك أنزلت فى توراتك أن نعتق أرقانا اللهم انا أرقاؤك فأعتقنا وقال الثالث اللهم انك أنزلت فى توراتك أن لا نرد المساكين اذا وقفوا بأبوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمى منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فاذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر فنظر الى فقال يا عطاء أهذا يوم النشور أو بعثر ما فى القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال يا عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهى وسيدى ومولاى لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك الا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا تحيى به العباد وتروى به البلاد يا من هو على كل شئ قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول

أفلح الزاهدون والعابدونا • اذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الاعين العليلة حبا • فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى • قيل فى الناس ان فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم اذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحداهما وألقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبى فسمعته يقول الهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسألك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لى أراك كئيبا فقلت أمر سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الاصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال

(فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا

تسليما وروى أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال صلى الله
عليه وسلم انه جاءنى جبرائيل عليه السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلى عليك
أحد من امتك واحدة الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من امتك الا سلمت
عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى على
فليقلل عند ذلك أوليكثر وقال صلى الله عليه وسلم ان أولى الناس بى أكثرهم على
صلاة وقال صلى الله عليه وسلم بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى على
وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم
من صلى على من امتى كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال صلى الله
عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب وقال صلى الله
عليه وسلم ان فى الارض ملائكة سياحين يبلغونى عن امتى السلام وقال صلى الله
عليه وسلم ليس أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام وقيل
يا رسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وازواجه
وذريته كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت
على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع
بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بأبى أنت وامى يا رسول الله لقد
كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع
لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين اليك لما فارقتهم
بأبى أنت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال
عز وجل من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبى أنت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى عفا الله عنك لم أذنت
لهم بأبى أنت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء
وذكرك فى أولهم فقال عز وجل واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وابراهيم الآية بأبى أنت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار
يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله
وأطعنا الرسولا بأبى أنت وامى يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا
تتفجر منه الانهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبى أنت
وامى يا رسول الله لئن كان سليمان أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا
بأعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك
بالابطح صلى الله عليك بأبى أنت وامى يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم اعطاه الله
احياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت الذراع

لانا كلي هاي مسمومة بأبي أنت وامي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا كلنا فلقد وطئ
ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الاخيرا فقلت اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون بأبي أنت وامي يارسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك
مالم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل
بأبي أنت وامي يارسول الله لو لم تجالس الا كفؤا لك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفؤا لك
ما نكحت الينا ولو لم تؤا كل الا كفؤا لك ما وا كلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا
ووا كلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على
الارض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كنت أكتب
الحديث واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا اسلم فرأيت النبي صلى الله عليه
وسلم في المنام فقال لي أما تتم الصلاة علي في كتابك فما كنت بعد ذلك الا صليت
وسلمت عليه وروى عن أبي الحسن الشافعي قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام فقلت يارسول الله بما جزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة
وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال صلى الله عليه
وسلم جزي عني أنه لا يوقف للحساب

(فضيلة الاستغفار)

قال الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم في كتاب الله
عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل الا غفر الله تعالى له
والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية وقوله عز وجل ومن يعمل سوأ أو يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال عز وجل فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان توابا وقال تعالى والمستغفرين بالاسحار وكان صلى الله عليه وسلم يكثر
أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك أنت التواب الرحيم وقال صلى الله
عليه وسلم من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق
مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تعالى
وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى اني لاستغفر الله تعالى
في كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يأوي الى فراشه استغفر الله
العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت
مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال
حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلي فقلت يارسول الله لقد خشيت أن يدخلني
لساني النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأين أنت من الاستغفار فاني لاستغفر الله

في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان التوبة من الذنب الندم
والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي
واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطاي وعمدي وكل
ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به
مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا
اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله عز وجل بما شاء
أن ينفعني منه واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثني
أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز
وجل الا غفر الله له ثم تلى قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وروى أبو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء
في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تغلق قلبه فذلك
الران الذي ذكر الله عز وجل في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى
أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد
في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضي
الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا
ساؤا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم اذا أذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي فيقول الله
عز وجل أذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل
ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال
ان لي ربا يا رب فاغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم من
أذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم ومن
علم اني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي وقال صلى الله عليه وسلم من قال
سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه
ولو كانت كدب النمل وروى ان أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك خلقتني
وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي
وأبوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها
وما أخرت فانه لا يغفر الذنوب جميعها الا أنت (الآثار) قال خالد بن معدان يقول الله
عز وجل ان أحب عبادي الي المتحابون بحبي والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون
بالاسحار أولئك الذين اذا أردت أهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت
العقوبة عنهم وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم

فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وقال علي كرم الله وجهه العجب ممن يهلك ومعه
النجاة قيل وما هو قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو
يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقلني وقال بعض العلماء
العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خيثم رحمه الله
لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل
اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل رحمه الله استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت
رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم
الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم وسمع أعرابي وهو متعلق
بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفاري مع إصراري للؤم وإن تركي استغفارك مع علمي
بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إلي بالنعم مع غناك عني وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع
فقري إليك يا من إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم
الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت
عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله تعالى اللهم إني أستغفرك من كل
ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوف
لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل
نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من
كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء أو خلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال
إنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام

(الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها

مما يستحب أن يدعو به المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة (فمنها) دعاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنه بعثني العباس إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من
الليل فلما صلى ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح قال اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي
بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي
وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها
من كل سوء اللهم أعطني إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف
كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء
وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن
ضعف رأيي وقلت حيلتي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك فأسألك يا قاضي الأمور
ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور
ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي
من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فإني أرغب
إليك فيه وأسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين

حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادي بعدوانك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذي الحبل الشديد والامر الرشيد أسئلك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ماتريد سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي العزة والكرم سبحان الذي أحصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا

(دعاء عائشة رضي الله عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذبك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم اعلم واسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذبك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم وما قضيت لي من أمر فاجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين

(دعاء فاطمة رضي الله عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما اوصيك به ان تقولي ياحي ياقيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شأني كله

(دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابكر الصديق رضي الله عنه ان يقول اللهم اني أسئلك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وبكل وحي أوحيته اوقضاء قضيته أوسائل اعطيته اوغني افقرته اوفقير اغنيته اوضال هديته وأسئلك باسمك الذي أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسئلك باسمك الذي بثثت به أرزاق العباد وأسئلك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت وأسئلك باسمك الذي وضعته على الجبال فأرست وأسئلك باسمك الذي استقل به عرشك وأسئلك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من الفوز المبين وأسئلك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم أن ترزقني القرآن والعلم به وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي

بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا أرحم الراحمين

(دعاء بريدة الاسلمى رضى الله عنه)

روى أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه أبدا قال فقلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم انى ضعيف فقونى فى رضاك ضعفى وخذ الى الخير بناصيتى واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم انى ضعيف فقونى وانى ذليل فأعزنى وانى فقير فأغننى

(دعاء قبيصة بن المخارق)

اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بها فقد كبرسنى وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما الدنيا فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانك اذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج وأما الآخرة فقل اللهم اهدنى من عندك وأفض على من فضلك وانشر على من رحمتك وأنزل على من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم أما انه اذا وافى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء

(دعاء ابى الدرداء رضى الله عنه)

قيل لابى الدرداء رضى الله عنه قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت فى محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء ان النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت فقيل له ما ندرى أى قوليك أعجب قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يقول هؤلاء الكلمات فى ليل أو نهار لم يضره شئ وقد قلتهن وهى اللهم أنت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان ومالم يشألم يكن أعلم أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم

(دعاء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام)

كان يقول اذا أصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا أصبح فقد أدى شكر يومه

(دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم)

كان يقول اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى

ياحي ياقيوم

(دعاء الخضر عليه السلام)

يقال ان الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا في كل موسم لم يفترقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها ثلاث مرات اذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق ان شاء الله تعالى

(دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه)

قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله ألا اعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن قلت اكتبها لي قال لا ولكن أرددها عليك كما ردها على بكر بن خنيس رحمه الله حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسألة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القوي عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روى عن ابي الدرداء أنه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا

(دعاء عتمة الغلام)

وقد رءى في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم ياهادي المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاخيار المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين

(دعاء آدم عليه الصلاة والسلام)

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبني فجلس على ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني الا ما كتبته علي والرضى بما قسمته لي ياذا الجلال والاكرام فأوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لك ولم يأتني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها

(دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول اني أنا

لله رب العالمين انى انا الله لا اله الا انا الحى القيوم انى انا الله لا اله الا انا العلى العظيم انى انا
الله لا اله الا انا لم الدو لم أولد انى انا الله لا اله الا أنا العفو الغفور انى أنا الله لا اله الا أنا مبدى
كل شى والى يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق
الجنة والنار الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب
والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور
الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم أهل الثناء والمجد يعلم السر وأخفى القادر
الرازق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة انى أنا الله لا اله الا أنا كما أوردناه فى الاول
من دعا بهذه الاسماء ثم قال انك أنت الله لا اله الا أنت كذا وكذا من دعا بهن كتب من
الساجدين المجتهدين الذين يحشرون مع محمد وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات
الله عليهم فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والارضين وصلى الله على محمد
وعلى كل عبد مصطفى

(دعاء ابى المعتمر وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه)

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما أفضل
ما رأيت من الاعمال قال رأيت تسبيحات أبى المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هذه
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وما
هو خالق وزنة ما خلق وما هو خالق وملء ما خلق وما هو خالق وملء سمواته وارضه
ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ
رضاه حتى يرضى واذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه فى جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه
فيما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من
الانفاس وأبد من الآباد من أبد الى أبد ابد الدنيا وابد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع
اولاه ولا ينفد اخراه

(دعاء ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه)

روى ابراهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة اذا أصبح واذا أمسى
مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا
ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا
وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبى مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله
فى الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد
ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذى لا اله
الا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن الجنة
حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق
ووعيدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور على
ذلك أحيا وعليه أموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا
عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر

كل ذى شر اللهم انى قد ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدنى لاحسن الاخلاق فانه لا يهدى لاحسنها الا انت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا بك واليك استغفرك وأتوب اليك أمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبى الامى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين رب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيأ لا نظمأ بعده أبدا واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب عليهم ولا ضالين اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولا تضلنى وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا علىّ يا عظيم يا بارئ يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الشجر باصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شئ من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك سبحانك يا حىّ يا قيوم يا عليم يا حليم سبحانك لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك تحيى وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شئ قدير

(الباب الرابع) فى أدعية مأثورة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم محذوفة الاسناد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله

يستحب للمريد اذا أصبح أن يكون أحد أوراده الدعاء كما سيأتى ذكره فى كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مادعا به فقل فى مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وقل اللهم انى أسئلك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى وأقل عثراتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى واعوذ بك أن اغتال من تحتى اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تولنى غيرك ولا تنزع عنى سترك ولا تنسنى ذكرك ولا تجعلنى من الغافلين وقل اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثلاث مرات وقل اللهم عافنى فى بدنى وعافنى فى سمعى وعافنى

فى نصرى لا اله الا أنت ثلاث مرات وقل اللهم انى أسألك الرضى بعد القضاء وبرد العيش
بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة
مضلة وأعوذ بك ان أظلم أو اظلم أو أعتدى أو يعتدى على أو أكتسب خطيئة أو ذنبا
لا تغفره اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة فى الرشد وأسألك شكر نعمتك
وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا
متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فانك
تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما
أعلنت فانك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير وعلى كل شئ شهيد
اللهم انى أسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله
عليه وسلم فى أعلى جنة الخلد اللهم انى أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات
وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب الى حبك
وأن تتوب على وتغفر لى وترحمنى واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون
اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى ما كانت
الوفاة خيرا لى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضاء والغضب
والقصد فى الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وأعوذ بك من ضراء
مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من
خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين
ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك
فرقا وأسكن فى نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحب
الينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه
فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره مكرمة ومغفرة الحمد لله
الذى تواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لعزته وخضع كل شئ لملكه واستسلم
كل شئ لقدرته والحمد لله الذى سكن كل شئ لهيبته وأظهر كل شئ بحكمته وتصاغر كل
شئ لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد
وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم صل
على محمد عبدك ورسولك ونبيك النبى الامى رسولك الامين وأعطه المقام المحمود الذى
وعدته يوم الدين اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين
واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا واصرفنا عن قبيح اختيارك لنا نسألك جوامع
الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك على
تب على انك أنت التواب الرحيم وبحلمك عنى اعف عنى انك أنت الغفار الحليم وبعلمك
بى ارفق بى انك أنت أرحم الراحمين وبملكك لى ملكنى نفسى ولا تسلطها على انك
أنت الملك الجبار سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى
ذنبى انك أنت ربى ولا يغفر الذنوب الا أنت اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى اللهم

ارزقنى

ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة الآية ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الى قوله عز وجل انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا الى آخر السورة رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

(أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم)

اللهم اني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من ان أرد الى ارذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني أعوذ بك من طمع يهدي الى طبع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن الهرم ومن أن أرد الى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم اني أسألك قلوبا أواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم اني اسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغم والغرق والهدم واعوذ بك من ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك من ان اموت في تطلب دنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي وشر منيي اللهم اني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول اللهم اني أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق

والسقاق والمعاق وسوء الاحلاق والسمعة والرياء وأعوذبك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم انى أعوذبك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم انى اعوذبك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذبك من المغرم والمأثم اللهم انى اعوذبك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا يستجاب وأعوذبك من شر الغم وفتنة الصدر اللهم انى أعوذبك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين

(الباب الخامس) فى الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

اذا أصبحت وسمعت الاذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه وأدعية الوضوء فى كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل خلفى نورا وأمامى نورا واجعل من فوقى نورا اللهم اعطنى نورا وقل أيضا اللهم انى أسئلك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسئلك ان تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب الا أنت فان خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب أعوذبك أن أظلم أو اظلم أو أجهل أو يجهل على بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفرلى جميع ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى فى الدخول فاذا رأيت فى المسجد من يبيع أو يبتاع فقل لا أربح الله تجارتك واذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل لا ردها الله عليك أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتى الصبح فقل بسم الله اللهم انى أسئلك رحمة من عندك تهدى بها قلبى الدعاء عن آخره كما أورده ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل فى ركوعك اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين وان احببت قل سبحان ربى العظيم ثلاث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاذا رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد واذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى ابوء بنعمتك على وابوء بذنبى وهذا ما جنيت على نفسى فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا انت او يقول سبحان ربى الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلاة

فقل

فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التى ذكرناها فاذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا أنت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير بسم الله اللهم انى أسئلك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم انى أعوذبك من شرها وشر ما فيها اللهم انى أعوذبك ان أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذبك من شره وشر ما صنع له واذا رأيت شيأ من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيئات الا أنت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأيت الهلال فقل اللهم أهله علينا بالامن والايمان والبر والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عما تسخط ربى وربك الله وتقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم انى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذبك من شر يوم الحشر وتكبر قبله أولا ثلاثا واذا هبت الريح فقل اللهم انى أسئلك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذبك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا بلغك وفاة أحد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه فى المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفرلنا وله وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا رب اشرح لى صدرى ويسرلى امرى وتقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا واذا سمعت صوت الرعد فقل سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فان رأيت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك فاذ أمطرت السماء فقل اللهم سقيا هنيا وصيبا نافعا اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم اغفرلى ذنبى واذهب غيظ قلبى واجرنى من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذبك من شرورهم فاذا غزوت فقل اللهم انت عضدى ونصيرى وبك اقاتل واذا طنت اذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرنى بخير فاذا رايت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا ابطأت فقل الحمد لله على كل حال واذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعائك وحضور صلواتك اسألك ان تغفر لى واذا اصابك هم فقل اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك

سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب
عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال
صلى الله عليه وسلم ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك الا أذهب الله همه وأبدله مكانه
فرحا فقيل يارسول الله أولا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغي لمن سمعها أن
يتعلمها فاذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان قرحة أو جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها
وقال بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا في
جسدك فضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ
بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر فاذا أصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي الحليم
لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم
فان أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعا
وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل اللهم اني أعوذ برضاك من
سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم اني لا أستطيع أن أبلغ ثناء
عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك اللهم باسمك أحيا وأموت اللهم
رب السموات ورب الارض ورب كل شئ ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة
والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها
أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس
فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عني الدين وأغنني من الفقر اللهم انك
خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان أمتها فاغفر لها وان أحييتها
فاحفظها اللهم اني أسألك العافية في الدنيا والآخرة باسمك ربي وضعت جنبي فاغفرلي
ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم أسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك
وفوضت أمري اليك وألجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا
اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي أرسلت ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم أيقظني في أحب الساعات
اليك واستعملني باحب الاعمال اليك تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا
أسألك فتعطيني واستغفرك فتغفرلي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت من نومك
عند الصباح فقل الحمد لله الذي أحيانا بعدما اماتنا واليه النشور أصبحنا وأصبح الملك لله
والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص
وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيى وبك نموت واليك المصير اللهم اني أسألك أن
تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجره الى مسلم
فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل
مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا

اليوم

اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله
ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله
رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا
واليك أنبنا واليك المصير * واذا أمسى قال ذلك الا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك
أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر
كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم واذا نظر فى المرآة قال الحمد لله
الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين واذا اشتريت
خادما أو غلاما أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم انى أسألك خيره وخير ما جبل عليه
وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه واذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك
عليك وجمع بينكما فى خير واذا قضيت الدين فقل للمقضى له بارك الله لك فى أهلك ومالك
اذ قال صلى الله عليه وسلم انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه أدعية لا يستغنى المريد
عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها فى كتاب الحج
والصلاة والطهارة فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم أن من القضاء رد
البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم
والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان
فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا
يحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم وان لا يسقى الارض بعد بث البذر فيقال ان
سبق القضاء بالنبات نبت البذر وان لم يسق لم ينبت بل ربط الاسباب بالمسببات
هو القضاء الاول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على
تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب
والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم
فى الدعاء من الفائدة ما ذكرناه فى الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى
العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق أنه
لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله عز وجل الا عند المام حاجة وارهاق ملمة فان الانسان
اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله عز
وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات ولذلك صار
البلاء موكلا بالانبياء عليهم السلام ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب
بالافتقار والتضرع الى الله عز وجل ويمنع من نسيانه وأما الغنى فسبب البطر فى
غالب الامر وان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورده من جملة
الاذكار والدعوات والله الموفق وأما بقية الدعوات فى الاكل والسفر
وعيادة المريض وغيرها فستأتى فى مواضعها ان شاء الله تعالى وعلى الله
التكلان تم كتاب الاذكار والدعوات بكماله يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب الاوراد
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل)
(وهو الكتاب العاشر من كتب احياء علوم الدين وبه اختتام ربع العادات نفع الله به المسلمين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا (أما بعد) فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم في سفرهم الى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رؤس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين

(الباب الاول) في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار (الباب الثاني) في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به

(الباب الاول) في فضيلة الاوراد وترتيبها وأحكامها

(فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هي الطريق الى الله تعالى)

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أن لا نجاة الا في لقاء الله تعالى وانه لا سبيل الى اللقاء الا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس

لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وان الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الاوقات أو أكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطرا وقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها الطبع اذ يكون الوقت متساويا فأنى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد وأما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما ينكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من أهله فانظر الى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لأقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال سبحانه وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال عز وجل وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده بما وصفهم فقال تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال عز وجل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال عز وجل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك أن الطريق الى الله تعالى مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أحب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وقال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس

والقمر بحسبان مطوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا سائل لتعرف بها مقادير الاوقات فيستعمل فيها الطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي يخلف احدهما الآخر ليتدارك في أحدهما مافات في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب والله الفضل المنتجى هو الثواب والمغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه

(بيان أعداد الاوراد وترتيبها)

اعلم أن أوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى المغرب وردان والليل ينقسم الى اربعة أوراد وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان من النصف الاخير من الليل الى طلوع الفجر ولنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به (فالورد الاول) من طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه بانه فالق الاصباح وقال تعالى قل أعوذ برب الفلق واظهاره القدرة بقبض الظل فيه اذ قال تعالى ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله عز وجل ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا (فأما ترتيبه) فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي أن يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور الى آخر الادعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات وليلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لامر الله تعالى واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ورعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان به حاجة الى بيت الماء ويدخل أولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق وشروط أسرار الجميع السنن والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد ركعتين سواء أداهما في البيت أو المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد ولا يسعى الى الصلاة سعيا بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب

من

من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره فى كتاب الجمعة ثم يصلى ركعتى الفجر ان لم يكن صلاهما فى البيت ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما وان كان قد صلى ركعتى الفجر صلى ركعتى التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغى أن يدع الجماعة فى الصلاة عامة وفى الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد ليصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفى ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فألفيت أبا هريرة قد سبقنى فقال يا ابن أخى لاى شئ خرجت من منزلك فى هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعدّ خروجنا وقعودنا فى المسجد فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله تعالى أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علىّ رضى الله عنه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة رضى الله عنها وهما نائمان فقال ألا تصليان قال علىّ فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف صلى الله عليه وسلم وسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الانسان أكثر شئ جدلا ثم ينبغى أن يشتغل بعد ركعتى الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح الى أن تقام الصلاة فيقول استغفر الله الذى لا اله الا هو الحىّ القيوم واتوب اليه سبعين مرّة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مائة مرّة ثم يصلى الفريضة مراعيا جميع ماذكرناه من الاداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقدوة فاذا فرغ منها قعد فى المسجد الى طلوع الشمس فى ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم لان أقعد فى مجلسى أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الىّ من أن أعتق أربع رقاب وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع وقد ورد فى فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرنى بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما واذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغى أن تكون وظيفته الى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكرّرها فى سبحة وقراءة قرآن وتفكر أما الادعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله

سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبدأ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه وأما الأذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أدومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك في الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة (الأولى) قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (الثانية) قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله (الثالثة) قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح (الرابعة) قوله سبحان الله العظيم وبحمده (الخامسة) قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة (السادسة) قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (السابعة) قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين (الثامنة) قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (التاسعة) قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (العاشرة) قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق إلى آخرها وقوله سبحانه الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من أول الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر وإن قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل له الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال أتاني أخ لي من الشام

فأهدى لى هدية وقال ياكرز اقبل منى هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا أخى من أهدى لك هذه الهدية قال اعطانيها ابراهيم التيمى قلت أفلم نسأل ابراهيم من اعطاه اياها قال بلى قال كنت جالسا فى فناء الكعبة وأنا فى التهليل والتسبيح والتحميد فجاءنى رجل فسلم على وجلس عن يمينى فلم أر فى زمانى أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا اشد بياضا ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت فى أى شئ جئتنى فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك فى الله وعندى هدية اريد أن أهديها لك فقلت ماهى قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسى كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبعا وتصلى على النبى صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت اهله ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرنى من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرنى بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمى أنه رأى ذات يوم فى منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى مافيها ووصف امورا عظيمة مما رآه فى الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا فقالوا للذى يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأتانى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل مابين المشرق والمغرب فسلم على وأخذ بيدى فقلت يا رسول الله الخضر أخبرنى أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله تعالى فى الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم يرمثل الذى رأيت فى منامى هل يعطى شيئا مما أعطيته فقال والذى بعثنى بالحق نبيا انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرنى ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات الى سنة والذى بعثنى بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابراهيم التيمى يمكث أربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان أضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من القرآن او اقتصر عليه فهو حسن فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه فى باب التلاوة وأما الافكار فليكن ذلك أحد وظائفه وسيأتى تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته فى كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين * أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه

فى المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه فى يومه الذى بين يديه ويدبر فى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر فى قلبه النيات الصالحة فى أعماله فى نفسه وفى معاملته للمسلمين والقسم الثانى فيما ينفعه فى علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة فى نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو فى عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصى ذلك فى كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثانى زيادة المحبة إذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التى سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن فى الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدى ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى الا امور جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التى هى أقوى من البصر الظاهر لان أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد قدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التى استحقت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل اليها أنه قد تم وصوله الى الاصل سبعون حجابا قال صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدركه بصره وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة فى الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو فى الاول أصغرها ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فى ترقيه وقال فلما جن عليه الليل أى اظلم عليه الامر رأى كوكبا أى وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالاجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل والحجب المسماة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما اريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية ولنتجاوز هذه المعانى فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها

الا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من يفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك أيضا مما تغزر فائدته و يعظم نفعه فهذه الوظائف الاربع أعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد و بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الاربع و يقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار وهو الاولى الا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به *(الورد الثاني)* ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثني عشر ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان احداهما صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وأن الاولى أن يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلي أربعا أوستا أوثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحرّ الشمس فوقت الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذي أقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال ولذلك يقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وان كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتي الاشراق تقع في مبتدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهة اذ قال صلى الله عليه وسلم انّ الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب (الوظيفة الثانية) في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شئ من ذلك عاد الى الوظائف الاربع التي قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها و بعد الصبح الاحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر *(الورد الثالث)* من ضحوة النهار الى

الزوال ويعني بالضحوة المنصف وما قبله بقليل وان كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فبعدها وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلاث اخرى فالظهر فاذا مضت ثلاث اخرى فالعصر فاذا مضت ثلاث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا أن الضحى لم يفترض لاشتغال الناس على أشغالهم فخفف عنهم الوظيفة الرابعة في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد أمران ٭ أحدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب في كل يوم لقوته فاذا حصل كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فالاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون فيما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه ٭ الامر الثاني القيلولة وهي سنة ليستعين بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة ليستعين به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم وكم من عابد أحسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري رحمه الله كان يعجبهم اذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة فاذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ولكن ينبغي أن ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو افضل اوقات النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معني قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر اي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في احدهما ٭ (الورد الرابع) ٭ ما بين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم الى احياء

مابين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار والذى أراده الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل فى هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء انه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن فى تلك الرواية ومذهب الشافعى رضى الله عنه أنه يصلى مثنى مثنى كسائر النوافل وهو الذى صح به الاخبار وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه فى باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورتين من المائتين أو أربعا من المثانى فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغى أن يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب أن يقرأ فى هذه النافلة آية الكرسى وآخر سورة البقرة والآيات التى أوردناها فى الورد الاول لتكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت * (الورد الخامس) * ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون فى انتظار الصلاة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة فان كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل فى حقه فاحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث فى الفضل وفى هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والاكل من غير جوع ونوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد فى النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم ان عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرين سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الابدان وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضى الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد تمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الاوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التى ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات * (الورد السادس) * اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معنيي الآية وهو المراد بالآصال فى أحد التفسيرين المذكورين فى قوله وعشيا وفى قوله بالعشى والاشراق وليس فى هذا الورد صلاة الا أربع ركعات بين الاذان والاقامة كما سبق فى الظهر ثم يصلى الفرض ويشتغل بالاقسام

الاربعة المذكورة فى الورد الاول الى أن ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتمتد والافضل فيه اذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن تدبرا وتفهما اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج فى هذا القسم أكثر مقاصد الاقسام الثلاثة * (الورد السابع) اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطى نورها الغبارات والبخارات التى على وجه الارض وترى صفرة فى ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهذا هو الطرف الثانى المراد بقوله تعالى فسبح واطراف النهار قال الحسن كانوا أشد تعظيما للعشى منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة ويستحب فى هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه فى الورد الاول مثل أن يقول استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم واسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذ من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار والاستغفار على الاسماء التى فى القرآن أحب كقوله استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهى أوراد النهار فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لى فى يوم لا ازداد فيه خيرا فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافى ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول الليل لتشتغل بتدارك تقصيره وليحضر فى قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون له بعدها طلوع وعند ذلك تغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا أياما معدودة تنقضى لا محالة جملتها بانقضاء آحادها

* (بيان أوراد الليل وهى خمسة) *

* (الاول) * اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشاءين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعنى الحمرة التى بغيبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقال فلا أقسم بالشفق والصلاة فيه هى ناشئة الليل لانه أول نشوء ساعاته وهو آنى من الآناء المذكورة فى قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وهى صلاة الاوابين وهى المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن واسنده ابن أبى زياد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم الصلاة

بين العشاءين * قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل أنس رحمه الله عن من ينام بين العشاءين قال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسيأتي فصل أحياء مابين العشاءين في الباب الثاني * وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين اولا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلى أربعا يطيلها ثم يصلى الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد وان عزم على العكوف في انتظار العتمة فهو الافضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء * (الورد الثاني) * يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة الى حد نومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق أي وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته * وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور * الاول أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أربعا ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها * والثاني أن يصلى ثلاثة عشر ركعة آخرهن الوتر فانه أكثر ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل والاكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ أو يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم ليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى في ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك والزمر والواقعة وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى أنه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى اذ في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات * الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال ابو هريرة رضي الله عنه أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنام الاعلى وتر وان كان معتاد الصلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة وقالت عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة انحاء ان شئت أوترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني أنه يصير وترا بما مضى وان شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم أوترت من آخر

الليل وان شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الاول
والثالث لا بأس به وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي أن ينقض وروى مطلقا
أنه صلى الله عليه وسلم قال لا وتران في ليلة ولمن تردد في استيقاظه تلطف استحسنه
بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما اذا زلزلت وألهاكم
لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيهما من التبرئة
وافراد العبادة لله تعالى فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر
بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استئناف الوتر
واستحسن هذا أبو طالب المكي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر
آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر أنهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ
ولبطل وتره الاول فكونه مشفعا ان استيقظ غير مشفع ان نام فيه نظر الا أن يصح من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع
بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وترا ان لم يستيقظ وشفعا ان استيقظ ثم يستحب بعد
التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات
والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روى أنه صلى الله
عليه وسلم ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف أجر
القائم وللنائم نصف أجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نائما ☆ (الورد الثالث) ☆
النوم ولا بأس أن يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل
ان العبد اذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل
في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله وفي الخبر
أنه اذا نام على طهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف بالخواص والعلماء
وأرباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال
أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكني أنا أنام ثم أقوم
وأحتسب في نومتي ما أحتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
معاذ أفقه منك ☆ وآداب النوم عشرة ☆ الاول الطهارة والسواك قال صلى الله
عليه وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج روحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم
ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق وهذا
أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب
☆ الثاني أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما
يتنبه يستاك كذلك كان يفعل بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر له
الطهارة يستحب له مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل

بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى * الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض من النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيامة يتزاوره الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم * الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال صلى الله عليه وسلم من آوى الى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم * الخامس أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد * السادس أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال صلى الله عليه وسلم تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لن يمل حتى تملوا وقال صلى الله عليه وسلم خير هذا الدين ايسره وقيل له صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر قال لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض الى نفسك عبادة الله * السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بأن يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على شقه الايمن * الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات ويستحب ان يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الى قوله لقوم يعقلون يقال ان من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الاعراف هذه الآية ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الى قوله قريب من المحسنين وآخر بني اسرائيل قل ادعوا الله الآيتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر

له ويقرأ المعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة ✽ التاسع أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقال وهو الذي يتوفاكم بالليل فسماه توفيا وكما أن المستيقظ ينكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة قال لقمان لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما أنك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ ومليكه الدعاء الى آخره كما ذكرناه في الدعوات فحق العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من أحب ومع ما أحب ✽ العاشر الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تنكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار لتستجر القلب الى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور الى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ ✽ (الورد الرابع) ✽ يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال والليل اذا سجى أي اذا سكن وسكونه هدوءه في هذا الوقت فلا تبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال اذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الليل أسمع فقال جوف الليل وقال داود صلى الله عليه وسلم الهي اني أحب أن أتعبد لك فأي وقت أفضل فأوحى الله تعالى اليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فانه من قام

أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك وارفع الى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى الى سماء الدنيا وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوأ كما سبق بسننه وآدابه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا ويهلل عشرا وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ولك الحمد أنت بهاء السموات والارض ولك الحمد أنت رب السموات والارض ولك الحمد أنت قيام السموات والارض ومن فيهنّ ومن عليهنّ أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار والنشور حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدّمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت أسألك مسئلة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما ياخير المسؤلين وأكرم المعطين وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلاثة عشر وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسرّ وقال صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة وقال صلاة المغرب اوترت صلاة النهار فاوتروا صلاة الليل وأكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاثة عشر ركعة يقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الاخير من الليل • (الورد الخامس) * السدس الاخير من الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار

وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي الدرداء اخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم وذكرا ذلك له قال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة الى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولوا العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا فهذه ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربع في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او بصلة أو كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم الى بعض فقالت مالكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل اذ كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما سأله احد شيأ فقال لا ولكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلاث مائة وستون مفصلا فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك كله

(بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال)

اعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره *(الاول) العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته اما في الصلاة أو في القراءة او في التسبيحات فقد كان في الصحابة رضي الله عنهم من ورده

في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده
ثلاث مائة ركعة الى ستمائة والى ألف ركعة وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة
ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم
مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم أو الليلة في التفكر في آية
واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا وفي
كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك
فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان
وعشرة فراسخ فان قلت فما الاولى أن يصرف اليه أكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم
أن قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه
فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره
وتحليته بذكر الله تعالى وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه
فليواظب عليه فاذا أحس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك ترى الاصوب لاكثر
الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال فيها من نوع الى
نوع لان الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضا تختلف
ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا وأحس لها بوقع في
قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابراهيم بن أدهم عن
بعض الابدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا
فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر
أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من
قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله
سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي
بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في
كل مكان فهذا وأمثاله اذا سمعه المريد ووجد في قلبه له وقعا فيلازمه وأين ما وجد
القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه ✲ (الثاني) العالم الذي ينفع الناس بعلمه
في فتوى وتدريس أو تصنيف فترتيبه الاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى
المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان أمكنه
استغراق الاوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على
ذلك ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم
المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق
وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو
لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس
في الآخرة ويزهدهم في الدنيا أو العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموه على
قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول

الحلق والاولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فان استغراق الاوقات فى ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغى أن يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه فى الورد الاول وبعد الطلوع الى ضحوة النهار فى الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا فى وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس فى عمل اللسان وورده الثانى فى عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر فى عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر فى عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرتا بالعين وعند الاصفرار يعود اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب فى الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعى رضى الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء والسحر ربما لا يحتمل ذلك الا اذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب أوراد العالم (الثالث) المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم فى ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل ان لم يكن متعلما على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالاوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفى سائر الاوقات ففى حديث أبى ذر رضى الله عنه أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الاحبار رضى الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى امارة امارته وكل ذى سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة أكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو اليك قساوة قلبى فقال ادنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهد مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى

فقال هيه فقالت ما تسل عن من أبيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر وعلى الجملة فما يحل عن القلب عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا * (الرابع) المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته بل يواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن أن يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلاة الا ان يكون ناظورا فانه لا يعجز عن اقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الاوراد التي ذكرناها الا ان العبادة المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله تعالى ثم يحصل به فائدة الغير ويجذب اليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الاجر * (الخامس) الوالي مثل الامام والقاضي والمتولي لينظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الاوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال مالي وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه * (السادس) الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله تعالى ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شئ الا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله تعالى فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله عز وجل كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك ويدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عباداته فذلك علامته أن لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا تزعجه هواجم الاهوال ولا تستفزه عظائم الاشغال وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله تعالى قل كل يعمل

على ما كانت فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض وفي الخبر الايمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك للطريق الى الله فاذا الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب وانما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله وأقربهم الى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير الصفات الباطنة وآحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الاثر الاول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فانه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا أو اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا أثبته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به رويته عائشة وام سلمة رضي الله عنهما فان قلت فهل لغيره أن يقتدى به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية فاعلم أن المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت طلوع قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا تتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم

(الباب الثاني) في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل

(فضيلة احياء ما بين العشاءين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها ان أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرا في الجنة قال الراوي لا أدري من ذهب أو فضة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة وروت ام سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة أو قرآن كان

حقا على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام و يغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر رضي الله عنه اذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله أكثر وأفضل أو قال اطيب وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشئ فيما بين ذلك من أمر الدنيا و يقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم ركع و يسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله لله ما في السموات وما في الارض الى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمني شيأ أعمله في كل ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلاثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه ادخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احياء ما بين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما بين المغرب والعشاء تلك صلاة الاوابين وقال الاسود ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت الا ورأيته يصلي فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها و يقول هي ناشئة الليل و يقول فيها نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم

عن المضاجع وقال أحمد ابن أبي الحواري قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأدعى من المغرب والعشاء أحب اليك أو أفطر بالنهار وأحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم تيسر قال افطر وصل ما بينهما

(فضيلة قيام الليل)

(أما من الآيات) فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل الآية وقوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى امن هو قانت آناء الليل الآية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس * (ومن الاخبار) قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفي الخبر أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد ساء خلقه واذا ألعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أني أشق على أمتي لفرضتهما عليهم وفي الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه وفي رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد رضاء ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها نوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا انبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي أنت وامي قال صم يوما شديدا الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروي أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن و يقول يا رب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي

صلى

صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فأذنونى فآتاه فاستمع فلما أصبح قال يافلان هلا
سألت الله الجنة قال يا رسول الله انى لست هناك ولا يبلغ عملى ذاك فلم يلبث الا يسيرا
حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال اخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وادخله الجنة
ويروى ان جبرائيل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان
يصلى بالليل فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال
نافع كان يصلى بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع أسحرنا
فأقول نعم فيقعد ويستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال على بن أبى طالب شبع يحيى
ابن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى اليه
يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى ام وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتى
يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت
الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد
المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح
سرق فقال سينهاه ما يعمل وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من
الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء وقال صلى الله
عليه وسلم رحم الله امراة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان
ابى نضحت فى وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وايقظ امرأته
فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم افضل
الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه
وسلم من نام عن حزبه أو عن شئ منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر
كتب له كأنما قرأه من الليل (الآثار) روى ان عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من
ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها اياما كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضى الله عنه
اذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ويقال ان سفيان
الثورى رحمه الله شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام تلك الليلة حتى
أصبح وكان طاوس رحمه الله اذا اضطجع على فراشه يتقلى كما تتقلى الحبة على المقلى ثم يثبت
او يصلى الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن رحمه الله مانعلم عملا
أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له ما بال المتهجدين من احسن الناس
وجوها قال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره
فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعده على فراش أبدا وكان عبد
العزيز بن أبى رواد اذا جن عليه الليل يأتى فراشه فيمر يده عليه و يقول انك للين ووالله
لفى الجنة ألين منك ولا يزال يصلى الليل كله وقال الفضيل انى لاستقبل الليل من أوله
فيهولنى طوله فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتى وقال الحسن ان الرجل ليذنب
الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم
انك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن اشيم رحمه الله يصلى الليل كله فاذا كان

في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أخرني رحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء اني لا صعف عن قيام الليل فقال له يا أخي لا تعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن ابن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة قالوا نعم فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون الا المكتوبة ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الارض وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال اني أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى أنه ما كان له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرّم شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي أي الرجلين مالك وأي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أتحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها

> أألهتك اللذائذ والاماني ❊ عن البيض الاوانس في الجنان
>
> تعيش مخلدا لا موت فيها ❊ وتلهو في الجنان مع الحسان
>
> تنبه من منامك ان خيرا ❊ من النوم التهجد بالقرآن

وقيل حج مسروق فما بات ليلة الا ساجدا ويروى عن أزهر ابن مغيث وكان من القوامين انه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وأمهرني فقلت وما مهرك قالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصته من زبرجد أخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وقيل ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه الى الارض ثلاثين سنة وكان يقول لئن أرى في بيتي شيطانا أحب الي من أن أرى في بيتي وسادة لانها تدعو الى النوم وكانت له مسورة من أدم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ويقال كان مذهبه أن النوم اذا خامر القلب بطل

الوضوء وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال ان عبدى الذى هو عبدى حقا الذى لا ينتظر بقيامه صياح الديك

(بيان الاسباب التى بها يتيسر قيام الليل)

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا (فأما الظاهرة فأربعة امور) (الاول) أن لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام (الثانى) أن لا يتعب نفسه بالنهار فى الاعمال التى تعيى بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك أيضا مجلبة للنوم (الثالث) أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة الاستعانة على قيام الليل (الرابع) أن لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة قال رجل للحسن يا أبا سعيد انى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول أظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثورى حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يبكى فقلت فى نفسى هذا مرائى وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى فقلت اتاك نعى بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد قلت فما ذاك قال بابى مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبى البارحة وما ذاك الا بذنب أحدثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الدارانى لا يفوت أحدا صلاة الجماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أى شئ تفطر فان العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حاله الاولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل أكلة ويفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا بدينور فبقيت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسئل عن كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر (وأما الميسرات الباطنة فأربعة امور)* (الاول) سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر فى صلاته الا فى مهماته ولا يجول الا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال

يجري الثواب لك نائم * وانت اذا استيقظت ايضا نائم

(الثاني) خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام وقال ذو النون المصري رحمه الله

منع القرآن بوعده ووعيده * مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذلت اليه تخضعا

وأنشدوا أيضا

ما طول الرقاد والغفلات * كثرة النوم تورث الحسرات
ان في القبر ان لقيته * لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه * بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك المو * ت وكم نال آمنا بيات

وقال ابن المبارك

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن في الدنيا هجوع

(الثالث) أن يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والاخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي أن بعض الصالحين رجع من غزوته فمهدت امرأته فراشها فجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح قال والله اني كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتي شوقا اليها (الرابع) وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن يستبعد هذه اللذة اذ يشهد له العقل والنقل فأما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو الملك بسبب انعامه وأمواله انه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله تعالى لا يرى فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواه وكان ينعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بسمع منه وان كان ذلك أيضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى فاعلم انه ان كان يعلم

انه

الليل من النصف الاخير ونومه السدس الاخير قيام داود صلى الله عليه وسلم (المرتبة الرابعة) أن يقوم سدس الليل أوخمسه وأفضله أن يكون في النصف الاخير وقيل السدس الاخير منه (المرتبة الخامسة) أن لا يراعى التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه أولمن يعرف منازل القمر و يوكل به من يراقبه و يواظبه و يوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم أول الليل الى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وأفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر وأولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضى الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فاذا انتبهت ثم عدت الى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فأدنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقالت عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد انه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل اول مرة (المرتبة السادسة) وهى الاقل أن يقوم مقدار اربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جماعة قوام الليل رحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل احياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجرى أمرهما في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ماذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة

(بيان الليالي والايام الفاضلة)

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي أن يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من

لقلبك وبالغيب رأيت ثوري وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا سيدي تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه وفي رواية أخرى يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم

(بيان طرق القسمة لأجزاء الليل)

اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب (الأولى) إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام إلى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى أبو طالب المكي أن ذلك حكي على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وأبو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العباديان وحبيب أبو محمد وجابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم (المرتبة الثانية) أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل (المرتبة الثالثة) أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأول والسدس الأخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة وقالت أيضا رضي الله عنها ما ألفيته السحر الأعلى إلا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم أبو هريرة رضي الله عنه وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث

هذه الليالى فى شهر رمضان خمس فى أوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه وكانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هى ليلة القدر وأما التسع الاخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فى هذه الليلة اثنى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا أن يدعو فى معصية وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه فى صلاة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وسلم من أحيى ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ✽ واما الايام الفاضلة ✽ فتسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والايام المعلومات وهى عشر من ذى الحجة والايام المعدودات وهى أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من أخذ مهناه فى الايام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناه فى الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ✽ ومن فواضل الايام فى الاسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام فى كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله أعلم وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين تم الربع الاول من كتاب احياء علوم الدين ويتلوه الربع الثانى مفتتحا بآداب الاكل بحمد الله تعالى وعونه

تم